

سعد الدين الشاذلي

كبرياء العسكرية المصرية

بقلم

سمير الجمل

مكتبة جزيرة الورد

سعد الدين الشاذلي

كبرياء العسكرية المصرية

بقلم

سمير الجمل



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : سعد الدين الشاذلي كبرياء العسكرية المصرية

المــــــؤلف : سمير الجمل

رقم الايداع ٢٠١٧/٩٠٩٨

الترقيم الدولى / ٩-٨٦-٦٥٦٥-٧٧٩-٨٧٩

الطبعة الأولى ٢٠١٧



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

إلى ......

عمر ويوسف وعلي وزينب

إذا قرأتم حكاية هذا الرجل

سوف تعرفون لماذا يحب جدو

كل بدلة ميري ويفخر بها

سمير



■■ مناورة

عاتبت نفسي مرارًا وتكرارًا عندما عرفت بأمر هذا البطل .. وقررت أن أبحث عنه بنفسي .. وكلما عرفت ازداد إعجابي واحترامي بـه .. وبالعسكرية المصرية العظيمة التي يجسدها الشاذلي وعندما بدأت أعد هذه الحلقات .. عرضت على زميلي جمال عبد الرحيم فكرة نشرها في جريدة الجمهورية وكان وقتها يتولى رئاسة تحريرها ..وحدث بالفعل وبعد ١٣ حلقة وجدنا تكريمًا للرجل يليق به .. وكأننا أنعشنا ذاكرة القيادات .. لإعادة الاعتبار لمهندس حرب أكتوبر وما أحاط بها من بطولات وأبطال وعادت له قلادة النيل التي تم حرمانه منها .. ورأينا اسم الشاذلي يتألق مجددًا ويطلق على أماكن وشوارع بعد أن كانت صورته من الممنوعات في عصر مبارك لأسباب ستعرفها داخل الكتاب .

وذهبت إلى مسقط رأسه في مركز بسيون بطنطا وإلى عائلته وزوجته وأحفاده .. وإلى أبناء عمومته وزملاء الميدان وأهل بلده واستمعت وقرأت كل ما قال هو وكل ما قيل عنه ..

ومنذ اللحظة الأولى وجدت أن «الكبرياء» هو عنوان الحلقات .. وكنت في مستهل الأمر أكتبها في مسلسل تليفزيوني .. واكتشفت أن منتج القطاع الخاص لا يريد هذه النوعية .. وكان الكتاب أولاً .. حتى أجد المنتج الوطني سواء من الدولة أو من القطاع الخاص.

ومع حكاية الشاذلي قدمت بعض الوجوه التي أحاطت به وعاصرته .. حتى أؤكد أن نجاحنا في العبور العظيم لم يكن نتيجة لجهد فرد واحد .. وإنما هي



سيمفونية متكاملة .. بدأت العزف بعد أيام من نكسة ٦٧ مباشرة في عهد جمال عبد الناصر حتى تم إعادة ترتيب البيت العسكري وجاء السادات يكمل المسيرة .. ويتحمل المسئولية وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها .

والذي يقرأ حكاية هذا الضابط الذي تخرج أيام حرب فلسطين وشارك في حروب مصر الحديثة كلها .. حتى أصبح هو «الكوتش» أو المدير الفني لحرب أكتوبر وتلك هي مهمة رئيس الأركان لمن يعرفون الحقائق العسكرية هذه الحكاية تلخص الكثير من خبايا وأسرار جيشنا العظيم .. وما أحوج الشباب والكبار لمعرفة قصص الجيش وأبطاله .. حتى يتأكد أنهم خير أجناد الأرض وكما جاء في حديث رسولنا الكريم ﷺ ..

شكرًا للشاذلي الذي عرفت رحلته بعد رحيله ولم أحصل على شرف اللقاء معه وجهًا لوجه .. ولكني تعلمت منه الكثير .. وهنا يجب الإشارة إلى مساعدة زميلي الكاتب الصحفي مصطفى عبيد الذي سبقني بكتاب بديع عن الشاذلي واستفزني أن أضيف بما كتبت وهو رجل يقال فيه وعنه الكثير ومصطفى أيضًا ساعدني في الوصول إلى أسرة الشاذلي .

والشكر الواجب أيضًا للزميل الصحفي / أحمد فتح الله وقد كان له دوره في عمليات البحث الإلكتروني .. فهو يعرف أني من الجيل الورقي الذي لا يحب النقر على الكيبورد وما يزال يستمتع بالورقة والقلم .

وما أحوجنا إلى سير الأبطال والنبلاء والشرفاء في هذا الوطن .. بعد أن طفت النماذج الطفيلية الكاذبة مهما لمعت على السطح بفعل إعلام يريدها سطحية فارغة .

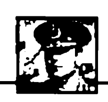
لكن بلادنا التي أنجبت رجالاً من طراز الشاذلي لا يمكن أن تبلع هذا الطعم فهي في رباط إلى يوم الدين بإذن ربها سبحانه وتعالى .

سمير

طلقة (١)



مولود في البدلة العسكرية



لماذا قصة الفريق سعد الدين الشاذلي ؟!.. لأن فيها الكثير من الأسرار والحكايات كانت محجوبة ومستورة بفعل فاعل وسنجد أن عنوانها المناسب والوحيد هو الكبرياء.

ماذا يهم القارئ العربي من المحيط إلى الخليج في مثل هذه القصة؟.. الحقيقة يهمه الكثير وسيكتشف فيها ما لم يعرفه من قبل، لأن حكاية الشاذلي لا تخصه فقط كبطل مصري لأن عروبته هي سر نجاحه وعنوان تميزه وقد دفع ثمن إيمانه العميق بالبعد العربي في أحرج الأوقات خاصة بعد اتفاقية كامب ديفيد عندما وقعت القطيعة، وبسبب هذا الموقف ابتعد عن العمل الدبلوماسي وارتضى لنفسه أن يعيش منفياً في الجزائر ولمدة ١٤ عاماً، فكانت له مع أهلها وقادتها عشرات القصص السياسية والإنسانية، ومثلها مع دول الخليج حواديت، ومع اليمن، والعراق، والسودان، والمغرب، وفلسطين.

تلخص مسيرة الفريق سعد الدين الشاذلي، كل الحروب العربية. ولسنا هنا بصدد حكاية بطل ظلمه نظام مبارك ومن قبله السادات، وتم سجنه ونفيه عمدا مع سبق الإصرار، وهو الذي طالب بمحاكمة تاريخية علنية لمعرفة من الجاني والمجني عليه في ثغرة الدفرسوار التي وقعت أيام حرب أكتوبر وغيرت موازين القوى. هذه ليست حكاية مقاتل مصري وعربي اسمه سعد الدين الشاذلي، لكنها بانوراما لتاريخ عسكري عريض، وأوراق يتم كشفها لأول مرة حول حرب فلسطين ١٩٤٨، وثورة ١٩٥٢ وتنظيم الضباط الأحرار، في هذه الحلقات نغوص في تواريخ وأحداث وحروب وأسرار ووثائق وشهادات أبطال كبار زعماء قادة العسكرية في مصر خلال عدة عصور. وفيها نقول كلمة حق، أو هكذا نسعى، لتعرف الأجيال الجديدة أن حرب ٧٣ لم تكن مصرية فقط بل كانت بامتياز شهادة رائعة في التكاتف العربي الذي يستطيع أن يقهر المستحيل.

***

فن صناعة الرجال:

منذ اليوم الأول لميلاده في أول ابريل عام ١٩٢٢، كانت أسرته التي تمتلك الكثير من الأراضي في زمام قرية شبراتنا التابعة لمركز بسيون، بمحافظة الغربية التي تبعد عن القاهرة في طريق الإسكندرية بنحو ١٣٠ كيلومترا.

منذ اليوم الأول كانت أسرته تعرف أنها بهذا المولود تضيف إلى رصيدها العسكري اسماً جديداً فقد كان جده قائداً حربياً شارك في ثورة عرابي، وكذلك خاله وبعض أعمامه وأبناء عمومته، الوالد هو الحاج الحسيني الشاذلي، وكان الاسم تكريماً للزعيم سعد زغلول، وكان وقتها هو القدوة والرمز، الأسرة تضم تسعة أبناء غير أشقاء، بالإضافة إلى شقيق كان طياراً مدنياً وأختين، هذه الأسرة كان فيها الأزهري مثل محمد الحسيني الأخ غير الشقيق، وفيها العسكري والتاجر والمزارع، وجذورها تمتد إلى الشيخ المتصوف سيدي أبو الحسن الشاذلي الذي يمتد نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

في هذا البيت اجتمعت الروحانية مع العسكرية مع التجارة مع الزراعة مع العلم.

واسم القرية معناه الحديقة الغناء، لذلك انتشر هذا الاسم في أرجاء مصر لمدن وقرى منها شبرا الخيمة وشبرا خيت وشبرا مصر وشبرا النملة.

والقرية التي تقترب من كفر الشيخ وتطل عن قرب على البحيرة، استمدت خصوصيتها.

ومن هنا فان الشاذلي بشكل أو بآخر كان يحن إلى مسقط رأس جده الأكبر الذي تقول كتب التاريخ انه ينتمي إلى مدينة فاس المغربية، ومنها أيضاً العارف بالله السيد البدوي الذي استقر به المقام في طنطا بمحافظة الغربية، بينما استقر الأمر بالشاذلي ناحية البحر الأحمر، وهذا ما يربطه بالمغرب قلباً وجذوراً حيث جاء

الجد.

كان يقطع الطريق كل صباح إلى مدرسة الابتدائية في المركز الذي يبعد عن القرية حوالي ٦ كيلومترات أحياناً مشياً على الأقدام مع زملاء الدراسة، وفي أوقات أخرى راكباً الحمار، لكنه كان يفضل المشي مع رفاقه وفي ظروف الشتاء والمطر والوحل بدأ الفتى خطواته الأولى في مدرسة الرجولة، وبعد الابتدائية انتقلت الأسرة إلى القاهرة في حياة مختلفة ومناخ غير الذي اعتاده الغلام.

التحق الشاذلي بالكلية الحربية في فبراير ١٩٣٩ وكان عمره وقتها ١٧ سنة، وتخرج برتبة ملازم في يوليو ١٩٤٠ وكان يهتم في ذلك الوقت بقراءة مقالات احمد حسين وإحسان عبدالقدوس، حظي بشهرته للمرة الاولى خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١ عندما كانت القوات المصرية والبريطانية تواجه القوات الألمانية في الصحراء الغربية، وعندما صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية بالانسحاب. ظل الملازم الشاذلي في مكانه ليدمر المعدات الثقيلة المتبقية في وجه القوات الألمانية المتقدمة، ثم انتدب للخدمة في الحرس الملكي من ١٩٤٣ إلى ١٩٤٩ ومن خلال خدمته بالحرس الملكي المسمى بالحديدي، عرف الشاذلي كيفية ادارة أمور الحكم، دسائس القصر وصراع الملك مع الأحزاب السياسية، وقد شارك في حرب فلسطين ١٩٤٨ ضمن سرية ملكية مرسلة من قبل القصر، لقد شاهد الشاذلي العصابات اليهودية المهاجرة إلى فلسطين وهي تبدأ ارتكاب مذابح ترويع وارهاب ضد السكان العرب، لاجبارهم على بيع أراضيهم أو الهجرة منها، وفي عام ١٩٤٧ صدر قرار الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وكانت الدول العربية قد أخذت قرارا بالقتال في مايو ١٩٤٨، وكان قوام جيوشها ٢٠ ألف شخص لمقاتلة ٦٠ ألف صهيوني، وحينها سخر العقيد حلمي عبدالرحمن قائد الحرس الملكي من تطوع الشاذلي لحرب الصهاينة، قائلا: أن عاقلا لا يترك حياة القصور والتشريفات الملكية ليلقي بنفسه

في أتون معركة حامية على أرض خارج الوطن، لكن الملك فاروق قرر مشاركة فرقة من الحرس الملكي في الحرب كنوع من الاستعراض السياسي، وبالفعل تطوع سعد للقتال في فلسطين، وقال الشاذلي في مذكراته أن هذه الحرب كشفت عن مدى ضعف التعليم العسكري في ذلك الوقت، حتى أنهم اشتروا من السوق السوداء أسلحة ولم يستطيعوا تشغيلها فأشيع أنها فاسدة، وقال أن بريطانيا تصدت لعدم انتصار العرب في حرب ١٩٤٨ مما أدى بهم للهزيمة ولكنها لم تكن هزيمة كاملة، حيث اعتبر الشاذلي أن الجيوش العربية استطاعت حماية قرى فلسطينية كثيرة من الابادة، وانضم الشاذلي إلى الضباط الأحرار عام ١٩٥١، وللشاذلي تاريخ عسكري مشرف، حيث أسس أول فرقة للمظلات في الجيش المصري عام ١٩٥٤ واستمر في قيادتها حتى عام ١٩٥٩، كما شكل مجموعة من القوات الخاصة عرفت فيما بعد بـ(مجموعة الشاذلي) عام ١٩٦٧، الجدير بالذكر أن العبقرية العسكرية للشاذلي برزت في حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧، عندما مُني الجيش المصري بهزيمة نكراء، الا أن الشاذلي الذي كان يقود وحدة من القوات المصرية الخاصة (المعروفة بمجموعة الشاذلي مجموع أفرادها حوالي ١٥٠٠ فرد) في مهمة لحراسة وسط سيناء، اتخذ قرارا جريئا بعبور قواته الحدود الدولية قبل غروب يوم ٥ يونيو، وتمركز بقواته داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة بنحو ٥كيلومترات، وبقي هناك يومين إلى أن اتصل بالقيادة العامة للجيش المصري في القاهرة التي أمرته بالانسحاب فورا، فاستجاب لتلك الأوامر وبدأ انسحابه ليلا وقبل غروب يوم ٨ يونيو في ظروف غاية في الصعوبة، حيث كان يسير في أرض يسيطر العدو تماما عليها، ومن دون أي دعم جوي، وبالحدود الدنيا من المؤن، واستطاع بحرفية نادرة أن يقطع أراضي سيناء كاملة من الشرق إلى الشط الغربي لقناة السويس (حوالي ٢٠٠كم)، وقد نجح في العودة بقواته ومعداته إلى الجيش المصري سالماً، وتفادى النيران الإسرائيلية، وتكبد خسائر بنسبة ١٠ في المئة إلى ٢٠ في المئة لينفذ الأمر ويعود بقواته ومعداته سالما، ومتفاديا النيران الإسرائيلية،

وكان آخر قائد مصري ينسحب بقواته من سيناء، هـذه الحـادث تحديـدا أكسـبت الشاذلي سمعة كبيرة في صفوف الجيش المصري، فتم تعيينه قائدا للقوات الخاصة بالصاعقة والمظلات، وقد كانت أول وآخر مرة في التاريخ المصري يتم فيها ضـم قوات المظلات وقوات الصاعقة إلى قوة موحدة هي القوات الخاصة، في ١٦ مايو ١٩٧١، وبعد يوم واحد من اطاحة الرئيس السـادات بأقطـاب النظـام الناصـري، فيما سمي وقتها بــ ثـورة التصـحيح بعـدما تصـاعدت الصـراعات بـين الـرئيس السادات ومراكز القوى بسبب تأييده لفكرة اتحاد الجمهوريات العربيـة، واختـار محمد صادق وزيـرا للحربيـة، وبعـد انقـلاب مـايو اسـتدعى السـادات الشـاذلي لاستلام منصبه الجديد رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة وتخطى بـذلك ٤٠ ضابطا يسـبقونه في الأقدميـة، عـين الشـاذلي رئيسـا للأركـان بـالقوات المسـلحة المصرية، حيث أنه لم يكن يدين بالولاء الا لشرف الجندية، فلم يكن محسوبًا على أي من المتصارعين على الساحة السياسية المصرية آنذاك.

يقول الفريق الشاذلي: كان هذا نتيجة ثقة الرئيس السادات به وبامكاناته، ولأنـه لم يكن الأقدم والمؤهل من الناحية الشكلية لقيادة هـذا المنصـب، ولكـن ثقتـه في قدراته جعلته يستدعيه، ويتخطى حوالي أربعين لواء من الألوية الأقدم منه في هـذا المنصب. وعقب تعيينه كـرئيس للأركـان، دب الخـلاف بـين الشـاذلي والفريـق محمد أحمد صادق وزير الحربية آنـذاك حـول خطـة العمليـات الخاصـة بتحريـر سيناء، حيث كان الفريق صادق يرى أن الجيش المصري يتعين عليه ألا يقوم بـأي عملية هجومية الا اذا وصل إلى مرحلة تفـوق عـلى العـدو في المعـدات والكفـاءة القتالية لجنوده، عندها فقط يمكنه القيام بعملية كاسحة يحرر بها سيناء كلها. وجد الفريق الشاذلي أن هذا الكلام لا يتماشى مع الامكانيات الفعلية للجيش، ولـذلك طالب أن يقوم بعملية هجومية في حدود امكانياته، تقضي باسترداد من ١٠ إلى ١٢ كم في عمق سيناء، بنى الفريق الشاذلي رأيـه ذلـك عـلى أنـه مـن المهـم أن تفصـل الاستراتيجية الحربية على امكانياتـك وطبقـا لامكانيـات العـدو. وسـأل الشـاذلي

الفريق صادق: هل لديك القوات التي تستطيع أن تنفذ بها خطتك ؟ فقال له: لا. فقال له الشاذلي: على أي أساس اذن نضع خطة وليست لدينا الامكانيات اللازمة لتنفيذها؟ أقال الرئيس السادات الفريق صادق وعين المشير أحمد إسماعيل علي وزيراً للحربية وكان بينه وبين الفريق الشاذلي خلافات قديمة، وعن قصة خلافه الشهيرة مع أحمد إسماعيل، يقول الفريق الشاذلي: لم أكن قط على علاقة طيبة مع المشير أحمد إسماعيل علي. لقد كنا شخصيتين مختلفتين تماما لا يمكن لهما أن يتفقا وقد بدأ أول خلاف بيننا عندما كنت أقود الكتيبة العربية التي كانت من ضمن قوات الأمم المتحدة في الكونغو عام ١٩٦٠م.

كان العميد أحمد إسماعيل أرسل على رأس بعثة عسكرية لدراسة ما يمكن لمصر أن تقدمه للنهوض بالجيش الكونغولي، وقبل وصول البعثة بعدة أيام سقطت حكومة لومومبا التي كانت تؤيدها مصر بعد نجاح انقلاب عسكري، وقد كانت ميول الحكومة الجديدة تتعارض تماما مع الخط الذي كانت تنتهجه مصر، وهكذا وجدت البعثة نفسها دون أي عمل منذ اليوم الأول لحضورها، وبدلا من أن تعود البعثة إلى مصر أخذ أحمد إسماعيل يخلق لنفسه مبرراً للبقاء في ليوبولد فيل على أساس أن يقوم بإعداد تقرير عن الموقف، وتحت ستار هذا العمل بقي مع اللجنة ما يزيد على الشهرين.

وفي تلك الفترة حاول أن يفرض سلطته علي باعتبار أنه ضابط برتبة عميد بينما كنت أنا وقتئذ برتبة عقيد، وبالتالي تصور أن من حقه أن يصدر التعليمات والتوجيهات .ورفضت هذا المنطق رفضاً باتاً وقلت له انني لا أعترف له بأية سلطة عليّ أو على قواتي، وقد تبادلنا الكلمات الخشنة حتى كدنا نشتبك بالأيدي. وبعد أن علمت القاهرة بذلك استدعت اللجنة وانتهى الصراع ولكن آثاره بقيت في أعماق كل منا، من الأشياء التي قد لا يعرفها الكثير أن الشاذلي كان مفتونا بشخصية جمال عبدالناصر ويدافع باستماتة عن جميع أفعاله، أحيانا عبر مبررات



تبدو واهية، وقال انه اعتذر عام ١٩٥٣ عن عرض عبدالناصر الانضمام إلى جهاز المخابرات بعد إعادة تنظيمه، مفضلا الاستمرار في الخدمة العسكرية، وحينما عاد من الولايات المتحدة بعد فترة تدريب كلفه عبدالناصر بانشاء أول فرقة مظلات في مصر أثناء العدوان الثلاثي على مصر، ولم تتم العملية لتدمير القوات الجوية المصرية وقتها، كما أرسله عبدالناصر في عام ١٩٦٠ وهو برتبة عقيد للقاء لومومبا رئيس الكونغو والحفاظ على وحدة الأراضي هناك، ووزع الشاذلي في هذه الفترة مصاحف على أفراد الشعب الكونغولي مما أدخل بعضهم في الإسلام، وحينما اغتيل لومومبا، وتولى موبوتو الحكم، ومعروف أنه كان يناصب مصر وعبدالناصر العداء ويصفهم بالمستعمرين، قرر الشاذلي بشكل منفرد تسريب جنوده من مواقعهم، كما أمن تهريب أبناء لومومبا إلى مصر قبل انسحاب الكتيبة المصرية، وكانت القوت الاستعمارية وعلى رأسها أميركا يخشون وجود مصر في الكونغو باعتباره من أشكال الهيمنة على إفريقيا، من ناحية أخرى يرى أن الكثير من الساسة والمؤرخين والمحللين يرى أن حرب اليمن هي أكبر ورطة تعرض لها عبدالناصر، ولكن على النقيض يرى الشاذلي أن المكاسب السياسية التي تحققت من حرب اليمن تمثلت في سقوط نظام رجعي متخلف، وقيام نظام تقدمي حديث يتواكب مع القرن العشرين يدخل في النسيج العربي، والمكسب الثاني هو استقلال عدن، فلولا القوات المصرية لما استقلت، فكانت مصر تبعث للثوار بالأسلحة والذخيرة، وحاول الشاذلي التهوين من حجم خسائر مصر في اليمن التي شارك فيها الشاذلي وكان مثالا للجرأة والتضحية، ألم أقل لكم أن الشاذلي كان مفتونا بشخصية جمال عبدالناصر ويدافع باستماتة عن جميع أفعاله، وأخطر ما قاله الشاذلي في مذكراته انه لم تكن هناك خطة هجوم حتى عام ١٩٧١، بخلاف ما ذكره محمد فوزي وزير الحربية خلال الفترة ١٩٦٨ إلى ١٩٧١، وبعد تولي الشاذلي رئاسة الأركان وضع خطة أطلق عليها المآذن العالية، كأول خطة هجومية، وكان تنفيذها يتطلب موافقة الاتحاد السوفياتي على توفير السلاح اللازم

بأسرع وقت، وذكر الشاذلي أن خطته تطورت حتى وصلت إلى الشكل النهائي الذي جرى في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأطلق عليها خطة بدر، وقد وضعها للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس التي سماها المآذن العالية: أن ضعف قواتنا الجوية وضعف امكاناتنا في الدفاع الجوي ذاتي الحركة يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ولكن في استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة، بحيث نعبر القناة وندمر خط بارليف ونحتل من ١٠ إلى ١٢ كيلومترا شرق القناة. كانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن لإسرائيل مقتلين: المقتل الأول: هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظرًا لقلة عدد أفرادها. المقتل الثاني: هو إطالة مدة الحرب، فهي في كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التي تنتهي خلال أربعة أسابيع أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنها خلال هذه الفترة تقوم بتعبئة ١٨ في المئة من الشعب الإسرائيلي وهذه نسبة عالية جدا. ثم أن الحالة الاقتصادية تتوقف تمامًا في إسرائيل والتعليم يتوقف والزراعة تتوقف والصناعة كذلك ؛ لان معظم الذين يعملون في هذه المؤسسات في النهاية ضباط وعساكر في القوات المسلحة؛ ولذلك كانت خطة الشاذلي تقوم على استغلال هاتين النقطتين.

إذا كانت هذه المرحلة بمثابة الموجز لحكاية الشاذلي فهل لك أن تتصور كيف تكون تفاصيلها، والأسماء لكبيرة التي ارتبط بها وارتبطت به من خلال تلك الحكاية، الملك فاروق، البطل أحمد عبدالعزيز، جمال عبدالناصر، عبدالحكيم عامر، زكريا محيي الدين، أنور السادات، حافظ الأسد، أحمد إسماعيل، عبدالغني الجسمي، محمد صادق، محمد فوزي، القذافي، الملك فيصل، وغيرهم. وبخلاف الشخصيات هناك الأحداث كانت حرب فلسطين أولها ولم تكن آخرها.

خارج السياق:

مثيرة وحافلة بأشكال الدراما كلها، حياة الفريق الشاذلي وسترى كيف أن بطولاته تجاوزت الميدان العسكري، إلى الميدان الانساني فهو مقاتل شرس في الدفاع عن قناعته ويذهب في ذلك إلى حد المطالبة بالتحقيق معه، ومع غيره، وهنا يكتب مقدمة الطبعة الرابعة لكتابه مذكرات حرب أكتوبر الذي أثار جدلا واسعا وصدر لأول مرة في عام ١٩٨٦، ثم يتحدث عن قرار اتهامه بافشاء أسرار عسكرية من خلال هذا الكتاب، ويقول في المقدمة مع ملاحظة أنه كثيرا يتحدث عن نفسه بقوله الشاذلي ولا يقول أنا، وهذا التعبير يعني الكثير.

الأشغال الشاقة

عزيزي القارئ مضى أكثر من ١٢ سنة منذ أن صدرت الطبعة الثالثة، وقعت خلالها عدة أحداث مهمة تتعلق بما جاء في هذا الكتاب، وقد رأيت أنه من واجبي تجاه القارئ أن أنوه عن هذه الأحداث وأعقب عليها، ويمكن إجمال هذه الأحداث فيما يلي: أصدرت محكمة عسكرية بتاريخ ١٦/ ٧/ ٨٣ حكما غيابيا على مؤلف الكتاب بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات بتهمة افشاء أسرار عسكرية، وترتب على إذاعتها الاضرار بأمن وسلامة البلاد، نشر الفريق أول محمد فوزي (الذي كان يشغل منصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة من يونيو ٧٦ حتى مايو ١٩٧٠) عام ١٩٨٣ كتابا اسماه حرب الثلاث سنوات (يقصد ٧٦ ٧٠) نشر المشير محمد عبدالغني الجمسي (الذي كان يشغل منصب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ برتبة لواء) عام ١٩٩٢ كتابا عن حرب أكتوبر أسماه يوميات حرب أكتوبر جاء على لسان الفريق أول فوزي والمشير عبدالغني الجمسي سواء في كتابيهما أم جاء على لسانيهما في محاضرات أو أحاديث لوسائل الإعلام ما يعتبر مخالفا لما جاء في كتاب الفريق الشاذلي في المواضيع التالية: يقول الفريق أول فوزي انه كانت هناك

خطة هجومية قبل عام ١٩٧٠، بينما يقول كل من الشاذلي والجمسي عكس ذلك، يقول الجمسي أن فشل هجومنا نحو المضايق يوم ١٤ من أكتوبر يرجع إلى تأخر الهجوم حتى هذا التاريخ، وأنه لو تم الهجوم يوم ٩ أو ١٠ من أكتوبر لكانت فرصته في النجاح أفضل، ولكن الشاذلي يرفض ذلك ويقول أن قرار الهجوم وهو قرار سياسي كان خطأ وأنه كان محكوما عليه بالفشل سواء تم يوم ٩ أم قبل هذا التاريخ أم بعده، ولكي أناقش هذه النقاط الخلافية كان أمامي أحد حلين: فإما أن أناقش كل نقطة من تلك النقاط الخلافية في الفصل والمكان الذي ورد فيه ذكر هذه النقطة في كتابي في الطبعات السابقة، وأما أضيف بابا آخر في الكتاب (في هذه الطبعة الرابعة) أناقش فيه تلك النقاط، واخترت الحل الثاني حتى يبقى كتابي عن حرب أكتوبر مرجعا ثابتا للباحثين والمؤرخين ترتبط وقائعه وتحليلاته بالوقت الذي وقعت فيه تلك الأحداث، والوقت الذي أجريت فيه تلك التحليلات، والله ولي التوفيق.

باطل.. باطل

ان اتهامي أمام محكمة عسكرية بأنني أفشيت أسرارا عسكرية في كتابي الذي نشرته عن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٩، هو اتهام باطل لا يستند إلى أي دليل، أني أتحدى من يدعي بغير ذلك أن يذكر معلومة محددة يعتقد أنها من وجهة نظره تعتبر معلومة عسكرية سرية، لقد جاء في تعليق مدير إدارة القضاء العسكري الذي نشر في مجلة المجلة بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٩٣ أن الفريق الشاذلي بصفته العسكرية كرئيس للأركان قد أفشى أسرارا عن أسلحة ومعدات وخطط ومعلومات عن تشكيلات وتحركات وأفراد وعتاد واستراتيجيات وتكتيكات القوات المسلحة المصرية، وذلك من خلال ما كتبه في الخارج من مقالات نشرت في مجلة الوطن العربي بالإضافة إلى كتاب صدر في باريس تحت عنوان حرب أكتوبر دون اذن خطي من السلطات العسكرية المختصة كما يوجب القانون وأرى أن الجملة



الوحيدة الصادقة في كل هذا التصريح هي أنني لم أحصل على تصريح كتابي من وزارة الدفاع بنشر كتابي عن حرب أكتوبر، أما كل ما جاء على لسان مدير إدارة القضاء العسكرية من اتهامات أخرى فهي ادعاءات باطلة لا تستند إلى أي دليل، نعم لم أطلب تصريحا من وزارة الدفاع لأني أرى أن أي قرار أو قانون يفرض على الأشخاص ضرورة لحصول على إذن مسبق من القيادة العامة للقوات المسلحة، قبل إجراء أي حديث أو قبل نشره هو إجراء غير دستوري ويتعارض مع مبدأ حرية الرأي التي كفلها الدستور لجميع المواطنين، وان كل ما تستطيع السلطة التنفيذية عمله إذا افترضنا احترامها للدستور هو أن ترفع الدعوى ضد من تعتقد أنه أفشى أسرارا عسكرية، ثم يترك الأمر بعد ذلك للقضاء للفصل في الدعوى، نعم لم أطلب تصريحا من وزير الحربية لأنني على قناعة بأني لست أقل منه علما أو وطنية عند تقييمي لما أكتب.

طلقة (٢)

(في الكونغو)



يعرفون الهداف
ويجهلون المقاتل ؟!

سألت أحد الشباب الذي ولد خلال حكم حسني مبارك الذي استمر ثلاثين عاماً قبل أن تضع ثورة ٢٥ يناير حدا له، عن الفريق سعد الدين الشاذلي وأجاب بكل ثقة انه لا يعرف إلا المرحوم الكابتن الشاذلي هداف مصر الكبير في كرة القدم والمحلل الرياضي بإستاد النيل ولم يكن يمزح ولا أنا بمندهش.. فالأجيال هذه لم تشهد أمامها سوى مبارك وقد قال لهم نظامه في الكتب الدراسية انه بطل أكتوبر الوحيد وان الحرب يمكن تلخيصها في ضربة جوية قام بها مبارك ومن يعملون تحت قيادته.. ولم لا.. والصورة الشهيرة في غرفة العمليات أثناء حرب أكتوبر قد تم تزويرها لابراز مبارك قائد القوات الجوية.. والترتيب العسكري الراسخ أن يتوسط الطاولة القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو رئيس الجمهورية وعن يمينه ويساره القائد العام وهو وزير الحربية (المشير أحمد إسماعيل) ورئيس الأركان ثم بعد ذلك يقف رئيس هيئة العمليات وهو المشير الجمسي ثم بعد ذلك قادة القوات الجوية والجوية والبرية..

والصورة تم تغييرها حتى في بانوراما حرب أكتوبر... وقد يسأل الشاب وهذا حقه لماذا بلغت كراهية مبارك للشاذلي درجة التجاهل وإغفال دوره وإهماله وعدم الحديث عنه؟

الإجابة تحكيها قصة الشاذلي الذي يعتبر نموذجا بديعا للعسكرية المصرية ولد في قرية شبراتنا مركز بسيون.. لعائلة كبيرة فيها الكثير من القادة.. شارك في الحرب العالمية الثانية بعد تخرجه من الحربية في عام ١٩٤٠ ثم انضم للحرس الملكي حتى تطوع في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وظهر نبوغه مبكرا وانضم للضباط الأحرار وجمعته الصداقة والخبرة بجمال عبدالناصر وهو مؤسس قوات المظلات والصاعقة وكان قائدا للقوات العربية في الكونغو عام ٦٠ حارب في اليمن وابتكر خطة عسكرية هناك.. كانت مجموعته العسكرية في عام ١٩٦٧ هي الوحيدة التي توغلت حتى حدود فلسطين رغم انسحاب الجيش وعاد بأقل الخسائر.. وهو

قائد معركة شدوان الشهيرة ولما تولى رئاسة أركان الجيش عام ١٩٧١ أعاد بناء القوات المصرية وخطط لحرب أكتوبر بكل دقة ووضع خطته بناء على معرفته بقدراتنا.. وامكانيات العدو واختلف مع السادات في مسألة التعامل مع ثغرة الدفرسوار ووعد أن يقضي عليها بأقل خسائر بشرط سحب بعض القوات من الضفة الغربية لكن السادات رفض وأبعده..

ورشحه بعد ذلك كسفير لمصر في لندن ثم في البرتغال.. ولما قام السادات بزيارة إسرائيل استقال احتجاجا ورفض التعامل مع العدو.. وبدأ في نشر مذكراته واعتبرها السادات إفشاء لأسرار عسكرية وتمت محاكمته غيابيا وظل منفيا بالجزائر لمدة ١٤عاماً.. وفي عام ٩٢ أقنعه البعض بالعودة لكن مبارك وضعه بالسجن ولولا وقفة المشير حسين طنطاوي الكريمة معه لتحول حبسه إلى اهدار لكرامة هذه القيمة العسكرية الكبيرة.

وسر كراهية مبارك له تلك الشعبية الطاغية والنبوغ الذي كان يتمتع به الشاذلي وقد خاف من ذلك كما أن وجوده يعني الكشف عن البطل الحقيقي لحرب أكتوبر وهو عكس ما كان يروج له مبارك ورجاله الذين اغتالوه معنويا في حياته وقد رفض الشاذلي بناء على نصيحة بعض المقربين منه أن يكتب التماسا لمبارك من اجل العفو لأنه لم يرتكب جرما يستحق العقاب.. فقد تم تجريده من الأوسمة التي حصل عليها.. وجمدوا ممتلكاته وأمواله وضيقوا أسباب الحياة حتى على أسرته ولما قامت ثورة ٢٥ يناير أعادت للرجل امتيازاته التي يستحقها وأكثر وجاء الوقت لكي نرد للبطل الأسطوري ما يليق به ونضعه في المكانة الحقيقية له.

وقد قالت العدالة الإلهية كلمتها عندما خرجت جنازة الفريق الشاذلي في ذروة ثورة ٢٥ يناير وقبل ساعات من رحيل مبارك حتى قال القائل: انها لحظة تاريخية فارقة.. احتشدت الجماهير لوداع البطل وتزاحمت وهي تنادي برحيل الباطل!



قبل رحيل مبارك

قبل ثورة ٢٥ يناير بأسابيع.. أجرى الكاتب نشأت الديهي حواراً مطولا مع الفريق سعد الدين الشاذلي نشره في كتاب بعنوان صح النوم سرد في خلاله يوميات الثورة.. وكان الفريق الذي رحل ١١فبراير ٢٠١١ ليلة رحيل مبارك عن السلطة.. كان بعيد النظر عندما قال: الموقف صعب ودقيق جداً فقد عاشت البلاد سنوات القمع جعلت من المستحيل أن يتم الإصلاح بطرق تقليدية وقد علمنا التاريخ أن أي ديكتاتور يستمر في السلطة لفترة طويلة يصعب إزاحته الا بعملية انقلابية لكي ينطلق للمستقبل ولن تؤتي ثمارها ألا إذا بدأت سياسياً ومن أعلى ولا أمل في أي محاولات إصلاحية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها ما لم يكن ذلك مؤيدا من قيادة سياسية قوية.. ولذلك أنا في اعتقادي انه حاليا ليست هناك رغبة أكيدة من القيادة السياسية لهذا الإصلاح وبدلاً من ذلك كرس الخوف في نفوس الشعب فلابد من تغيير القوانين التي تكبل الحريات وهنا يبرز سؤال وتساؤل في غاية الأهمية: ما الذي سيدفع القيادة السياسية أن تقدم بعملية الإصلاح وهي في السلطة وتسيطر سياسياً واقتصادياً على كل شيء....

وأضاف الشاذلي في الفترات التي كان فيها الحكم تسيطر عليه حكومات قوية ومسيطرة على جميع الأوضاع كانت الإصلاحات تتم بسرعة فائقة وعندما تغيب هذه السلطة كما هو في المرحلة الحالية نجد أن الإصلاحات بسيطة وبطيئة جدا فليس أمامنا لا أن نقبل الأصح البطيء مرحليا إلى أن يصل بنا إلى الخطوات الجريئة وقد اكتشفت شيئا غريبا عندما كنت رئيسا لأركان القوات المسلحة أن معظم من يخالفون القانون ويخالفون المصلحة العامة ليسوا على دراية بماهية الخطأ ولا الصواب أنهم غير مدركين لما يرتكبون من أخطاء...

وكان ميدان العمل المتاح أمامي هو القوات المسلحة ولابد في الوقت نفسه أن يكون هناك المثل والقدوة حتى تسهل عملية التصحيح والتوجيه والتعليم وحتى



يحترمك ويثق بك مرؤوسوك لابد وان تكون قدوة ومثلا لذلك فكل خطأ يرتكب في القوات المسلحة كنت أقوم بعمل دراسة لهذا الخطأ وأبدا في شرح هذا الخطأ من كل الزوايا وأوضح تأثيره على سائر المتغيرات وفي النهاية لابد أن أوضح لهم كيف نصحح الخطأ وبالطبع اشرح لهم ما كان يجب فعله حتى لا نقع في تلك الأخطاء، ويضرب الفريق الشاذلي المثل بما جرى في الهند لقد تقدمت بالعلم.. وساعد العلم في الوصول إلى درجة متقدمة من الديمقراطية.. والبشر عموما لديهم نقطة ضعف نحو السلطة.. وأي شخص يقبض عليها لا يفرط فيها بسهولة ويجب أن نسير جميع البرامج في خطوط متوازية لكن الديمقراطية والتعليم هما الأساس الذي يجب أن نبدأ به فورا والأهم هو التمسك بالمثل والقيم الأخلاقية ومحاولة أصابتها من جديد ومصر ولادة بها كفاءات ما يكفينا للبدء فورا في العملية الإصلاحية المنشودة.

وهكذا تنبأ الفريق الشاذلي ورسم صورة للمستقبل ورحل في الليلة الأولى لرحيل مبارك وشتان بين رحيل ورحيل والحكاية فيها الكثير من الأسرار والخفايا في وضع الأبطال.



خارج السياق :

الفريق سعد الدين الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٣ ديسمبر ١٩٧٣. ولد بقرية شبراتنا مركز بسيون في محافظة الغربية في دلتا النيل. يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣.

- مؤسس وقائد أول فرقة قوات مظلية في مصر (١٩٥٤-١٩٥٩).

- قائد أول قوات عربية (قائد كتيبة مصرية) في الكونغو كجزء من قوات الأمم المتحدة (١٩٦٠-١٩٦١).

- ملحق عسكري في لندن (١٩٦١-١٩٦٣).

- قائد لواء المشاة (شارك في حرب اليمن) (١٩٦٥-١٩٦٦).

- قائد القوات الخاصة (المظلات والصاعقة) (١٩٦٧-١٩٦٩).

- قائد لمنطقة البحر الأحمر العسكرية (١٩٧٠-١٩٧١).

- رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية (١٩٧١-١٩٧٣).

- سفير مصر في بريطانيا (١٩٧٤-١٩٧٥)

- سفير مصر في البرتغال (١٩٧٥-١٩٧٨).

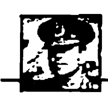
حظي بشهرته لأول مرة في عام ١٩٤١ عندما كانت القوات المصرية والبريطانية تواجه القوات الألمانية في الصحراء الغربية خلال الحرب العالمية الثانية، وعندما صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية بالانسحاب بقي الملازم الشاذلي ليدمر المعدات المتبقية في وجه القوات الألمانية المتقدمة.

أثبت الشاذلي نفسه مرة أخرى في نكسة ١٩٦٧ عندما كان برتبة لواء ويقود

وحدة من القوات المصرية الخاصة مجموع أفرادها حوالي ١٥٠٠ فرد والمعروفة بمجموعة الشاذلي في مهمة لحراسة وسط سيناء ووسط أسوأ هزيمة شهدها الجيش المصري في العصر الحديث وانقطاع الاتصالات مع القيادة المصرية وكنتيجة لفقدان الاتصال بين الشاذلي وبين قيادة الجيش في سيناء، فقد اتخذ الشاذلي قرارا جريئا فعبر بقواته الحدود الدولية قبل غروب يوم ٥ يونيو وتمركز بقواته داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة بحوالي خمسة كيلومترات وبقي هناك يومين إلى أن تم الاتصال بالقيادة العامة المصرية التي أصدرت اليه الأوامر بالانسحاب فورا.

فاستجاب لتلك الأوامر وبدأ انسحابه ليلا وقبل غروب يوم ٨ يونيو في ظروف غاية في الصعوبة، باعتباره كان يسير في أرض يسيطر العدو تمامًا عليها، ومن دون أي دعم جوي، وبالحدود الدنيا من المؤن، واستطاع بحرفية نادرة أن يقطع أراضي سيناء كاملة من الشرق إلى الشط الغربي لقناة السويس (حوالي ٢٠٠ كم). وقد نجح في العودة بقواته ومعداته إلى الجيش المصري سالما، وتفادى النيران الإسرائيلية، وتكبد خسائر بنسبة ١٠ في المئة إلى ٢٠ في المئة. فكان آخر قائد مصري ينسحب بقواته من سيناء.

في ١٦ مايو ١٩٧١، وبعد يوم واحد من اطاحة الرئيس السادات بأقطاب النظام الناصري، فيما سماه بثورة التصحيح عين الشاذلي رئيسًا للأركان بالقوات المسلحة المصرية، باعتبار أنه لم يكن يدين بالولاء الا لشرف الجندية، فلم يكن محسوبًا على أي من المتصارعين على الساحة السياسية المصرية آنذاك. يقول الفريق الشاذلي: كان هذا نتيجة ثقة الرئيس السادات به وبامكانياته، ولأنه لم يكن الأقدم والمؤهل من الناحية الشكلية لقيادة هذا المنصب، ولكن ثقته في قدراته جعلته يستدعيه، ويتخطى حوالي أربعين لواء من الألوية (جمع لواء) الأقدم منه في هذا المنصب. دخل الفريق الشاذلي في خلافات مع الفريق محمد أحمد صادق وزير



الحربية آنذاك حول خطة العمليات الخاصة بتحرير سيناء، حيث كان الفريق صادق يرى أن الجيش المصري يتعين عليه ألا يقوم بأي عملية هجومية الا اذا وصل إلى مرحلة تفوق على العدو في المعدات والكفاءة القتالية لجنوده، عندها فقط يمكنه القيام بعملية كاسحة يحرر بها سيناء كلها.

وجد الفريق الشاذلي أن هذا الكلام لا يتماشى مع الامكانيات الفعلية للجيش، ولذلك طالب أن يقوم بعملية هجومية في حدود إمكانياته، تقضي باسترداد من ١٠ إلى ١٢ كم في عمق سيناء. بنى الفريق الشاذلي رأيه ذلك على أنه من المهم أن تفصل الاستراتيجية الحربية على إمكانياتك وطبقا لإمكانيات العدو.

وسأل الشاذلي الفريق صادق: هل لديك القوات التي تستطيع أن تنفذ بها خطتك ؟ فقال له: لا. فقال له الشاذلي: على أي أساس إذن نضع خطة وليست لدينا الإمكانيات اللازمة لتنفيذها؟ أقال الرئيس السادات الفريق صادق وعين المشير أحمد إسماعيل علي وزيراً للحربية وكانت بينه وبين الفريق الشاذلي خلافات قديمة.

طلقة (٣)

(مع رجاله في كل لحظة)



متصوف على رقعة شطرنج



في قصر عابدين حيث تتواجد قوات الحرس الملكي، كان الضباط الشبان من زملاء الملازم سعد الدين الشاذلي يتندرون فيما بينهم عن ذلك الزميل الذي يريد أن يترك العسكرية الفخمة ويلقي بنفسه إلى البارود والدم.

قال الأول: هل الشاذلي أكثر وطنية منا جميعا؟

قال الثاني: هناك فئة من الناس تبحث عن التعب وتسعى اليه أكثر من الراحة وزميلنا الضابط الشاب من هذا النوع!!

الأول: لأنه من عائلة كبيرة تحب العسكرية.

الثاني: مبروك عليه إذا وافق القائد على إعادته للجيش ربما نستعيد المسجد الأقصى على يديه!!

وكان أغلب زملائه يسألون أنفسهم كثيراً عن التركيبة الفريدة التي ساهمت في تشكيل عقلية ووجدان هذا الضابط دون غيره، حيث أن جذور عائلته تنتمي إلى مولانا أبي الحسن الشاذلي الذي جاء من المغرب وسكن صحراء البحر الأحمر في منطقة حميثرة وكان المعتاد أن تسلك قوافل الحج المغربية طريقاً يسمى بدروب المغاربة وكان قريباً من مدن الصعيد قوص وأسوان وأخميم، حيث تؤدي إلى ميناء عيذاب القصير حالياً على ساحل البحر الأحمر.

وقد غير الشاذلي اتجاهه من قوص إلى الجنوب، حيث مدينة حميثرة، وهناك أدرك أن نهايته ستكون هنا وكانت بصيرته في محلها، وأوصى أتباعه بالمضي على طريق أبي العباس المرسي الذي استقر مقامه بالإسكندرية وأصبح من معالمها، وشكل مع الشاذلي والسيد البدوي في طنطا أضلاع المثلث الصوفي الكبير يضاف اليهم بعد ذلك سيدي ابراهيم الدسوقي هذا عن الجانب الروحاني في تكوين الضابط الشاب فماذا عن الجوانب لعائلة كبيرة فيها المزارع والتاجر والعسكري، فقد كان جده قائد الجيوش المصرية في السودان على أيام الخديوي إسماعيل، إلى



جانب من حاربوا مع القائد أحمد عرابي خلال الثورة العرابية في معركة التل الكبير، وفوق ذلك تشير المصادر التاريخية إلى أن عمه عبدالسلام باشا الشاذلي الذي كان مديراً لمديرية البحيرة أنشئ في عهده دار أوبرا دمنهور التي تقع على بعد ٥٠ كيلومترا تقريباً من الإسكندرية، ثم عمل بعد ذلك وزيراً للأوقاف، وهكذا نجد أن العم قد جمع بين الإيمان بالأوبرا والوصول إلى منصب وزير الأوقاف.

وشب الصبي يستمع على حوارات غريبة وحكايات مثيرة عن الاحتلال الانكليزي، وقد ورث عن والده إلى جانب الحكمة والتعقل وحل المشاكل في المنطقة، ورث حبه للشطرنج وهي لعبة القادة دائماً وأبداً، عاش الضابط الشاب على أعصابه في انتظار الرد على طلبه وكان يحترق شوقاً للذهاب مع الجموع العربية إلى فلسطين، فكيف كان الحال وقتها هناك؟

السادات يحكي

في كتابه صفحات مجهولة من كتاب الثورة الذي أعده الرئيس أنور السادات كتب يقول: بينما كنا نتحرك كضباط أحرار وننظم أنفسنا جاء عام ١٩٤٨ وبدأت أحداث فلسطين تفرض نفسها وكان علينا كضباط أن نولي وجوهنا شطرها، حيث التهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح، وقرر الشباب العربي في مختلف البلاد أن يخوض الحرب المقدسة دفاعاً عن العروبة في أعز ديارها، وفي الأيام الأولى لهذه الأحداث لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش المصري المعركة وكانت الحكومة في موقف لا تستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب من خوض هذه المعركة كمتطوعين أي أن الإعلان الشعبي للحرب سبق الإعلان الرسمي وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد أعلنت عن فتح باب التطوع وقررت أن تحارب.. وبدأ الضباط الشباب الأحرار في الاتصال بقيادة الجماعة، وعقدت عدة اجتماعات في بيت حسن البنا مؤسس حركة الإخوان حضرها جمال عبدالناصر وكان إذ ذاك في كلية أركان



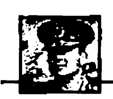
الحرب ومعه ضابط المدفعية كمال الدين حسين وبعض الضباط الذين كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان.. وفي الوقت نفس نشأت صلات بين هؤلاء والحاج أمين الحسين مفتي فلسطين ودخلت جامعة الدول العربية على الخط.

وكان الهدف من هذه التحركات والاجتماعات تكوين تشكيلات مسلحة وتدريبها وإعدادها إعداداً كاملاً بكل ما تحتاج اليه من خبرة ومن سلاح قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة.. وكان الإخوان يقولون انهم مستعدون إلى أقصى حد وأنهم لا ينقصهم سوى السماح لهم بالسفر إلى فلسطين وقد أعلنت الجامعة العربية عن استعدادها لتسليح هؤلاء والإنفاق عليهم.. ولان الجيش حتى هذا الوقت لم يكن قد أعلن موقفه رسمياً من الحرب فكر بعض الضباط في الاستقالة للاشتراك كمتطوعين.

وهكذا نكتشف أن الشاذلي لم يكن وحده الذي فكر في التطوع، وليس هناك ما يدهشنا في ذلك، خاصة أن الشاذلي بشكل أو بآخر كان قريباً من الضباط الأحرار وشاركهم أحلامهم وغضبهم وتواصل معهم وقد جمعته الصداقة والجيرة في السكن مع جمال عبدالناصر الذي كان يسبقه في الرتبة العسكرية والسن، وأدركت الحكومة المصرية أن الغضب الشعبي والعسكري لن يتركها، وفكرت في ارسال جماعة من ضباط المهندسين للقيام بأعمال استكشافية ووجدت أن خير وسيلة لذلك هي أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من اباحة احالتهم إلى الاستيداع أو قبول استقالتهم وتركهم للذهاب إلى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين وفوجئ الضباط باشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان مهدي باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش في ذلك الوقت ولبي الضباط الاشارة وفي مكتب رئيس الأركان وجدوا البطل الشهيد أحمد عبدالعزيز وأخبرهم الفريق عثمان أن طلباتهم قد قُبلت وأنهم يستطيعون إعداد أنفسهم للتطوع، وكانت الجامعة العربية قد بدأت تنظم تشكيلاتها بالاشتراك مع مفتي فلسطين وقرروا تقسيم فلسطين إلى أربعة قطاعات

بأربع قيادات ميدان على أن تخضع كلها للجنة عسكرية ومقرها دمشق ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب وكان القطاع المصري في فلسطين هو قطاع الجنوب وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبدالواحد سبل وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل فقد كان الفريق ابراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش فأقام الضباط له حفل تكريم في نادي الضباط لا لتكريمه فعلاً ولكن تحدياً لابراهيم عطا الله وكان مع اللواء سبل ضابط مخابرات هو اليوزباشي مصطفى كمال صدقي وقد سافر سبل إلى فلسطين مع متطوعي الجامعة العربية والمفتي، ولكنه لم يمكث هناك طويلاً فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته ثم عاد هو ولم يرجع مرة أخرى إلى الميدان، وبدأ الضباط المتطوعون في تلك الأيام يعدون أنفسهم للسفر ويتدربون ولما تم تعيين أحمد عبدالعزيز قائداً لقوات المتطوعين ذهبوا إلى منزل اللواء سبل للحصول على معلومات حول جبهة فلسطين ولم يحصلوا على شيء وكانت ظروف الاعداد قاسية وأصابت أغلبهم بالاحباط.

فهل مايزال الشاذلي بعد ذلك على اصراره للسفر إلى فلسطين؟!



خارج السياق :

في ٢٩ مايو ١٩٩٨ تنشر الصحف ووكالات الأنباء العالمية تصريحات على لسان أحد القادة العسكريين الإسرائيليين بان إسرائيل اعتمدت سياسة القوة مع دول الشرق الأوسط فقامت بعمليات نشر واسعة لعناصر قوتها النووية ميدانياً بحيث تكون جاهزة للاستخدام وتطول جميع العواصم والمدن الرئيسية العربية، بل والمنشآت النووية الإيرانية والباكستانية والقاهرة والسد العالي وفي الوقت نفسه حذر الكيان الصهيوني من امتلاك العرب للسلاح النووي، وأكدت أنها لن تسمح بذلك فماذا يمتلك العرب للدفاع عن أنفسهم وهل يحتفظون بصواريخ لها رؤوس كيماوية وجرثومية.

سألت جريدة الشعب الفريق الشاذلي في ظل وجود مبارك وكان جوابه كاشفًا للمستقبل وتحدث كخبير استراتيجي، وسألوه هل يمكن لنا كعرب أن تتخذ من باكستان نموذجاً حيث لم تترك الهند تنفرد بالقوة النووية في المنطقة حتى امتلكت أسلحة الردع النووي فقال الشاذلي: المعلومات المعلنة والمتاحة لنا قبل اجراء التفجيرات النووية الهندية هو أن كل من الهند وباكستان لديهما القدرات لتصنيع القنبلة النووية، ولكن هناك فرق بين المعلومات المعلنة والحقيقة، وتحقق لنا ذلك عندما قامت الهند بالتفجيرات النووية الأخيرة أما هذه الحقيقة بالنسبة لباكستان فهي في دور الافتراض وتصريحات رئيس وزراء باكستان بان بلاده تستطيع إجراء تفجير نووي فنحن نرحب بذلك إلى أن يتم، وأني أناشد باكستان عدم الاستجابة للضغوط الأميركية التي تسعي لمنع باكستان من اجراء تفجيرات نووية.

** الشعب: نشرت الصحف ووكالات الأنباء العالمية الأيام الماضية تصريحات شاحاك الخبير الاستراتيجي الإسرائيلي عن امتلاك إسرائيل ٨٠ رأساً نووياً موجهة للعواصم والمدن الرئيسية العربية والمنشآت النووية الباكستانية

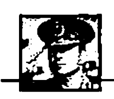
والإيرانية والسد العالي والقاهرة.. ما مدى إمكانية القوة النووية الإسرائيلية لضرب هذه الأهداف؟، وهل تستطيع إسرائيل استخدام القوة النووية ضد دول الطرق المجاورة لها؟

* الشاذلي: المشكلة أننا ننسي حقائق معروفة منذ سنوات طويلة ونعلم أن إسرائيل منذ ١٩٧٥ لديها قدرات نووية إجمالي قوتها التفجيرية مليون طن من مادة تي. ان. تي ومن يمتلك هذه الإمكانيات قوية الاستخدام ويستطيع أن يستخدمها متى يشاء والمفترض أن هذه الحقيقة يعلمها كل الزعماء العرب وكان لابد من امتلاك الدول العربية لنفس هذه الإمكانيات التي تملكها إسرائيل.

** الشعب: ما مدى قدرة الصواريخ طويلة المدى التي تحمل رؤوس كيماوية وجرثومية على تشكيل دفاع رادع للقوة النووية الإسرائيلية؟

* قال الفريق سعد الدين الشاذلي: لا شك أن الأسلحة الكيماوية والجرثومية قوية إذا قورنت بالأسلحة التقليدية، وهناك معاهدات دولية تحرم استخدام الأسلحة النووية، وللأسلحة الكيماوية قوة تدميرية ونفسية أكثر من الأسلحة التقليدية ولا تصل لمستوى الأسلحة النووية، أما فيما يتعلق بالجزء الثاني من السؤال عن قدرة الأسلحة الكيماوية على تشكيل رادع لإسرائيل يجعلها تتردد قبل استخدامها السلاح النووي فليس بالقدر الكافي من الردع وعلى سبيل المثال عند إسرائيل سلاح قوته التدميرية يعادل مائة مرة ما تملكه القوة العربية، ومن هنا فان الردع يكون من جانب من يمتلك السلاح الأقوى.

* الشعب: على الرغم من أن الولايات المتحدة الأميركية تضمن أمن إسرائيل وترتبط معها باتفاق استراتيجي، وعلى الرغم من التفوق الإسرائيلي المطلق على جميع الدول العربية، فان الولايات المتحدة مارست ضغوطاً لعدم امتلاك العرب للأسلحة النووية، فكيف يمكن الإفلات من الحصار الأميركي والتهديد



الصهيوني؟

* **الشاذلي** : من حق أميركا أن تمارس ضغوطاً على الدول العربية لارغامها على أتباع السياسة الأميركية، ومن حق الدول العربية أن ترفض هذه الضغوط التي ليست في مصلحتها وأمنها، وكان الأجدر بالزعماء العرب رفض هذه الضغوط ما دامت تعرض أمنهم للخطر وكان خطأً كبيراً توقيع الأقطار العربية على معاهدة منع الانتشار النووي، ولقد انتقدت بشدة تراجع الموقف العربي نتيجة الضغوط الأميركية على البلاد العربية بما فيها مصر لتعديل مطلبها بشأن ضرورة أن توقع إسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووي، وكنت أشيد في حديث مع ديفيد هيرست الكاتب المعروف عام ١٩٩٥ بالموقف العربي الموحد وأشجع الموقف المصري على رفض التوقيع، وفوجئنا بالتراجع واكتفي العرب بعد التوقيع على المعاهدة بضمانات أن إسرائيل لن تستخدم السلاح النووي في أي حرب مع العرب!!

وإني أناشد زعماء البلدان العربية والإسلامية اتخاذ التفجير النووي الهندي ذريعة للانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووي لان هذه المعاهدة لا تطبق إلى على الضعفاء، الباب مفتوحاً للانسحاب من هذه المعاهدة اذا كان القادة العرب يفكرون فعلاً في الخروج من الحصار والضغوط وان يجعلوا مصلحة الأمن العربي فوق كل شيء.

** **الشعب**: هل هناك عقوبات يمكن أن يفرضها المجتمع الدولي على البلدان التي تقرر الانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووي؟

* **الشاذلي** : عندما يتعلق الأمر بأمن الدولة وأمن الأمة العربية فلا يجوز أن نتكلم عن العقوبات التي يمكن أن توقع علينا نتيجة التزامنا بموقف الأمن العربي، الرئيس مبارك في عدة مناسبات قال أننا لا نقبل الضغوط من أي جهة أخرى، وان مصلحة بلدنا فوق كل اعتبار، وقد أن الأوان أن توضع هذه التصريحات موضع

التنفيذ.

* الشعب: ماذا يقول الفريق سعد الدين الشاذلي عن تصريحات شاحاك عن توجيه الأسلحة النووية الإسرائيلية للسد العالي؟

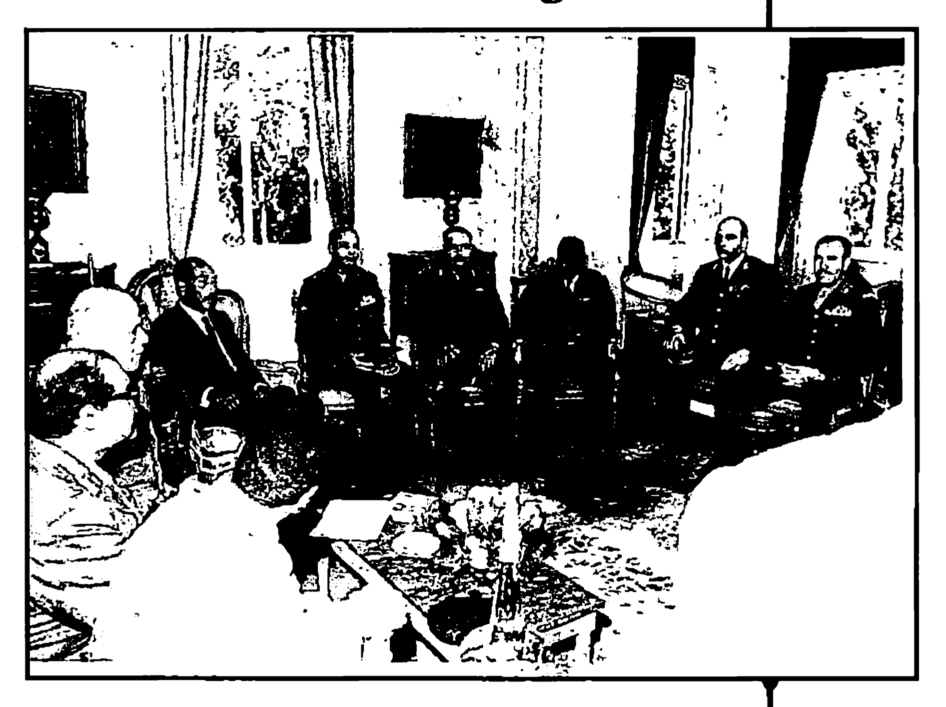
* الشاذلي: لا أستطيع أن استبعد ذلك فهذا ضغط نفسي رهيب والحل الوحيد أن يكون عندي رادع يمنع إسرائيل من قصف السد العالي والقاهرة، فالذي يردع إسرائيل هو أن تعلم أن مصر قادرة على ضرب تل أبيب والقدس وأي مكان في إسرائيل، وان لم تمتلك مصر ذلك فاني لا استبعد أن تقوم إسرائيل بأي ضربة نووية للقاهرة والسد العالي.

* الشعب: من هنا يمكن أن نتنبأ بان إسرائيل لن تتخلي عن الخيار النووي والتفوق النووي واستخدام هذا السلاح كأداة مساوية أو ضغط بهدف اجبار الدول العربية على قبول ما تريده إسرائيل وقيامها فعلياً بفرض ما تريد تحت مظلة القوة النووية؟

* الشاذلي : قال: أن المستقبل في صالحنا وليس ضدنا، فالدول العربية بامكانياتها البشرية وثرواتها الطبيعية الهائلة تتفوق تفوقاً ساحقاً من وجهة النظر الاستراتيجية على إسرائيل، وهذه حقيقة يعلمها الاستراتيجيون العسكريون الأميركيون والإسرائيليون وأنهم يريدون استغلال الضعف العربي الحالي نتيجة السيطرة الأميركية على النظام الدولي الجديدة ونتيجة اختلال التوازن العسكري بين العرب وإسرائيل بسبب التفكك العربي ويطالبوننا بان نوقع على حلول صلح مع إسرائيل بالشروط الإسرائيلية التي ليست في صالح العرب، وأقول لزعماء الأمة العربية اذا كان الجيل الحالي لم يستطيع أن يسترد الأرض العربية المغتصبة بواسطة الكيان الصهيوني فليتركوا الباب مفتوحاً أمام الأبناء والأحفاد ليحققوا ذلك وألا يوقعوا على معاهدة تكون وثيقة لتكريس الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية.

طلقة (٤)

(مع السادات وأحمد إسماعيل)



مع أحمد عبد العزيز إلى القدس



ساعات طويلة قضاها الملازم سعد الشاذلي يستعرض ما يحدث في فلسطين وينتظر ردا للطلب الذي تقدم به إلى قائد الحرس الملكي لكي يسمح له بالتطوع ضمن قوات الجيش التي قررت الذهاب إلى فلسطين لتحريرها لم يكن يتصور أن تدور الحرب لتحرير الأقصى السليب من أيدي العصابات الصهيونية وهو هنا يعيش حياة الضابط المرفه المستريح في البلاط الملكي، وتصل اليه أنباء القائد الضابط أحمد عبدالعزيز الذي كان يقوم بتدريس مادة التاريخ العسكري لطلاب الحربية وكانوا يتلهفون على محاضراته، حيث يقدم لهم وجبة دسمة من المعلومات الشيقة وخلاصاتها المفيدة وهم ينصتون اليها بكل انبهار وكانت له لمحات في خلال حديثه تؤجج العزيمة وتحفزهم على التضحية والفداء وهو صاحب الفضل في تكوين ما سمى بالقوة الخفيفة التي فتحت باب التطوع للحرب في فلسطين قبل الإعلان الرسمي لمصر وقد استشهد في تلك الحرب بطريقة درامية، حيث أصابته رصاصة طائشة من أحد الجنود.

لم يكن البكباشي أحمد عبدالعزيز هو القائد البطل فقط، بل المعلم القدوة الذي اتفقت عليه الأجيال العديدة من الضباط وسبحان الله لو أمد في عمر البطل عبدالعزيز لتغيرت خريطة فلسطين كلها، لكنها ارادة الله.

ساعات قليلة وأطلق البروجي نوبة جمع للضباط في قصر عابدين، من المؤكد أن هناك ما يستدعي الإعلان عنه.

اصطفوا كالمعتاد كأنهم البنيان المرصوص، وجاء العقيد حلمي عبدالرحمن قائد الحرس الملكي وأدى الجميع له التحية وكانت نظراته تتفحص ضباطه حتى استقرت عينه عند سعد الشاذلي وكان ما سيقوله يخصه دون غيره، وقال حلمي:

– لقد وافق مولانا الملك فاروق جلالته ملك مصر على فتح باب التطوع للجيش المصري لحرب فلسطين.

وهكذا تحقق للشاذلي ما تمناه لنفسه ولغيره، رغم أن المشاركة الملكية بفريق جرت كنوع من الاستعراض ليس الا، وكان الشاذلي في طليعة من سجلوا أنفسهم في كشف التطوع.

وخرجت الفرقة المسافرة إلى فلسطين بعتادها في طابور استعراضي تتقدمه الموسيقى العسكرية من قصر عابدين مخترقا وسط العاصمة نحو محطة مصر للسكك الحديدية، حيث يركبون القطار الذي يأخذهم من القاهرة إلى غزة وقد كان القطاع تابعا لمصر ويربطه هذا الخط الحديدي الذي يمر بالعريش.

ويحكي الشاذلي عن تلك الحرب فيقول: لم تكن رتبتي العسكرية تسمح لي بالإلمام بالموقف العام وقد كشفت لنا هذه الحرب ضعف التعليم العسكري وتدهور عمليات القتال فقد كانت دراستنا في الكلية الحربية التي استمرت حوالي ١٨ شهرا فقط، هي دراسة نظرية على الورق، عرفنا القنبلة اليدوية على السبورة في فصول الدراسة، وعندما وجدنا أنفسنا في ميدان القتال كانت المأساة، اكتشفنا أن الأسلحة تم شراءها من السوق السوداء وأغلبها معطوبة وغير صالحة، كما أن أغلبها قديمة ولان الجندي غير مدرب عليها كانت النتائج أحيانا تأتي عكسية، فالقنبلة التي تنفجر بعد ٧ ثوان وجدوا أن النوع المستخدم ينفجر بعد ٤ ثواني وهو ما عرف بالأسلحة الفاسدة، وهي كانت موجودة بالفعل لكنها قليلة، والمعروف أن السوق السوداء كانت تبيع مخلفات السلاح بغير ضمان.

وأضاف الشاذلي: الأهم من ذلك افتقاد التدريب الجيد، بينما جيوش الصهاينة قد خاضت الحرب العالمية الثانية واستفادت منها في الجوانب العسكرية كلها.. كانت القوات العربية قد حشدت ٤٠ ألف جندي بينما إسرائيل كان جيشها يزيد على ١٠٠ ألف وكنا نمتلك الطيران وهنا خرج الطيران البريطاني لكي يتصدى له وأسقط خمس طائرات مصرية وكانت بريطانيا هي الضامن الأساسي لعدم انتصار العرب وهو الدور الذي لعبته أميركا فيما بعد... دخلنا الحرب وعندنا قناعة تامة



من قادة جيوشنا أن اليهود ما هم الا عصابات وبمجرد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين سوف نقضي عليهم في ساعات قليلة ثم اتضح عكس ذلك تماما فهم مدربون تدريبا عاليا ولديهم أسلحة متفوقة وعمل ونظام فكان يتم تصفيح اللوري بحيث لا تستطيع تدميره وكنا نطلق عليه رصاصا فلا يخترقه.

ومع ذلك يكشف الشاذلي مفاجأة مدوية عندما يقول أن ما جرى في حرب فلسطين ما هو بهزيمة لنا أو انتصار للعدو، ولولا الجيوش العربية لما بقي كثير من الأراضي الفلسطينية بعيدا عن أيدي الصهاينة وهي الأراضي التي جرى احتلالها بعد ذلك في يونيو ١٩٦٧.

ونعود إلى أنور السادات الذي يؤكد أن الحكومة المصرية طلبت من ضباطها وجنودها السفر إلى فلسطين عام ١٩٤٨ بالبنادق فقط واعتبروا ذلك انتحارا ورفضوه وبعضهم تراجع عن السفر مثل عبدالمنعم عبدالرؤوف الذى حل محله اليوزباشي خالد فوزي وكان لذلك الأثر السيئ في نفوس الغالبية وكان اليوزباشي أنور الصيحي قد تقدم متحمسا ليحل محل عبدالرؤوف وفي أول معركة استشهد.

وقد جاء الشيخ حسن البنا ومعه الشيخ فرغلي وقد حضرا إلى محطة مصر لوداع الضباط والجنود ويذكر أن بعض الإخوة الليبيين كانوا بين المتطوعين وقد حضر معهم عبدالرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية، وتغلب الحماس على اليأس.

واكتشف بعض الضباط أن الأسلحة التي تم رصدها في كشوف العهدة ليست كاملة، ومع ذلك قام رجال الصيانة في العريش بفحص العربات المسافرة والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشيء ومع ذلك عكفوا على اصلاحها وتأهيلها لكي تصلح إلى حد ما للميدان، وكانت الروح العالية تتجاوز كل هذه المعوقات وسافر المتطوعون مشيا على قضبان السكة الحديد إلى رفح ومنها إلى خان يونس وهناك وجدوا الضابط



عبدالمنعم عبدالرؤوف الذي قيل سابقا انه اعتذر قد سبقهم إلى الميدان.

لكن في أرض المعركة وضح تماما أنها تسير وفق نظام غريب لم يسبق لـه مثيـل في تاريخ المعارك الناجحة أو الفاشلة في العالم بأسره، فالجيش يحارب في فلسطين لكن قيادته في القاهرة بعيدا عن أصول وقواعد العسكرية.

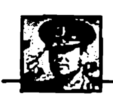
واتضح تماما أن الانكليز قد دبـروا تـدبيرهم لخيانـة الجـيش رغـم أنهـم وعـدوا حكومة النقراشي بمساعدة الجيش بالسلاح والعتاد والذخائر ولكنهم لم يفعلوا عمدا.

وفي وسط هذا المناخ الضبابي والاحباط وقلة الامكانات جاءت الأوامـر مـن القاهرة إلى غزة بإعداد استراحة لجلالة الملك فاروق تسمى ركن فاروق.

وهناك في أرض فلسطين أدرك الضباط أن قيادة البلاد يجب أن تتغير فهي أبـدا لم تكن على مستوى الحدث كانت تلك هي شرارة ثـورة ٢٣ يوليـو التـي أشـعلتها وعجلت بها.

وهنا يرى المؤرخ العسكري جمال حمـاد أن الجيـوش العربيـة رغـم كـل ذلـك اقتربت من تل أبيب لكن تحت سطوة الاسـتعمار خضـعت الحكومـات العربيـة للضغط وتم قبول الهدنة في ١١ يونيو ثم الهدنة الثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨ وتحت ستار تلك الهدنة تدفقت الأسلحة والمعدات على إسرائيل في الوقت الذي تم فيـه حرمان العرب منها وهنا خرقت إسرائيل الهدنة وفاجأت القوات العربية بالهجوم واحتلت القسم الأكبر من الأراضي الفلسطينية وبما يتجاوز ما حصلت عليه بقرار التقسيم الذي صدر في عام ١٩٤٧.

والخلاصة المؤلمة المحزنة للضابط الشاب الذي خاض معركتين في دير زنين وميت سليم أن الحروب هي علم وخبرات وتدريب وليست فقـط مجـرد حمـاس والدرس الأهم عدم التقليل من شأن العدو وكان هناك ما هو أهم من ذلك!!



خارج السياق :

هذه مذكرات عسكرية: سجلي كرئيس أركان القوات المسلحة المصرية أثناء الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣، وعلى حد علمي، تعتبر هذه المذكرات فريدة لأنها السيرة الذاتية الوحيدة من نوعها لقائد عربي معاصر، كتبت هذه المذكرات مكرها وآسفا وغاضبا، وعندما أقول أن غضبي موجه بصفة رئيسية ضد الرئيس المصري أنور السادات يمكنكم فهم لماذا، بعد أن قضيت عمري كله كجندي في خدمة بلادي.

هكذا يحكي الشاذلي في بداية مذكراته ويقول :

أهدي هذه المذكرات إلى جنود وضباط القوات المسلحة المصرية البواسل، فهذه قصتهم، فهي تروي أخيرا الحقيقة عن انتصارهم العظيم، إنني فخور بكل يوم أمضيته كرئيس للأركان، أنني فخور لأنه أثناء وجودي بهذا المنصب تم التخطيط والتنفيذ لأول هجوم عربي ناجح ضد إسرائيل، أهدي تحياتي لكل ضابط وكل جندي اشترك في هذه الحرب وأعاد بذلك العزة للجندي المصري، وهناك شهود على صحة ما كتبته، فبعض أجزاء من القصة معروفة لآلاف الأفراد، وبعضها معروفة لمئات من الأفراد، وأجزاء أخرى لا يعلمها الا أفراد يعدون على الأصابع.

أرجو من الله تعالى أن يعيننا ويهدينا ويهبنا الشجاعة لقول الحق أيا كانت العواقب.

خطة المآذن العالية :

يقول الشاذلي عن الخطة التي وضعها للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس التي سماها المآذن العالية: أن ضعف الدفاع يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ولكن من قال اننا نريد أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ففي

استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة، بحيث نعبر القناة وندمر خط بارليف ونحتل من ١٠ إلى ١٢ كيلومترا شرق القناة.

وكانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن لإسرائيل مقتلين: المقتل الأول : هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظرا لقلة عدد أفرادها. المقتل الثاني: هو اطالة مدة الحرب، فهي في كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التي تنتهي خلال أربعة أسابيع أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنها خلال هذه الفترة تقوم بتعبئة ١٨ في المئة من الشعب الإسرائيلي وهذه نسبة عالية جدا.

الخطة كان لها بعدان آخران على صعيد حرمان إسرائيل من أهم مزاياها القتالية يقول عنهما الشاذلي: عندما أعبر القناة وأحتل مسافة بعمق ١٠ : ١٢كم شرق القناة بطول الجبهة (حوالي ١٧٠كم) سأحرم العدو من أهم ميزتين له؛ فالميزة الأولى تكمن في حرمانه من الهجوم من الأجناب؛ لان أجناب الجيش المصري ستكون مرتكزة على البحر المتوسط في الشمال، وعلى خليج السويس في الجنوب، ولن يستطيع الهجوم من المؤخرة التي ستكون قناة السويس، فسيضطر إلى الهجوم بالمواجهة وعندها سيدفع الثمن فادحا.

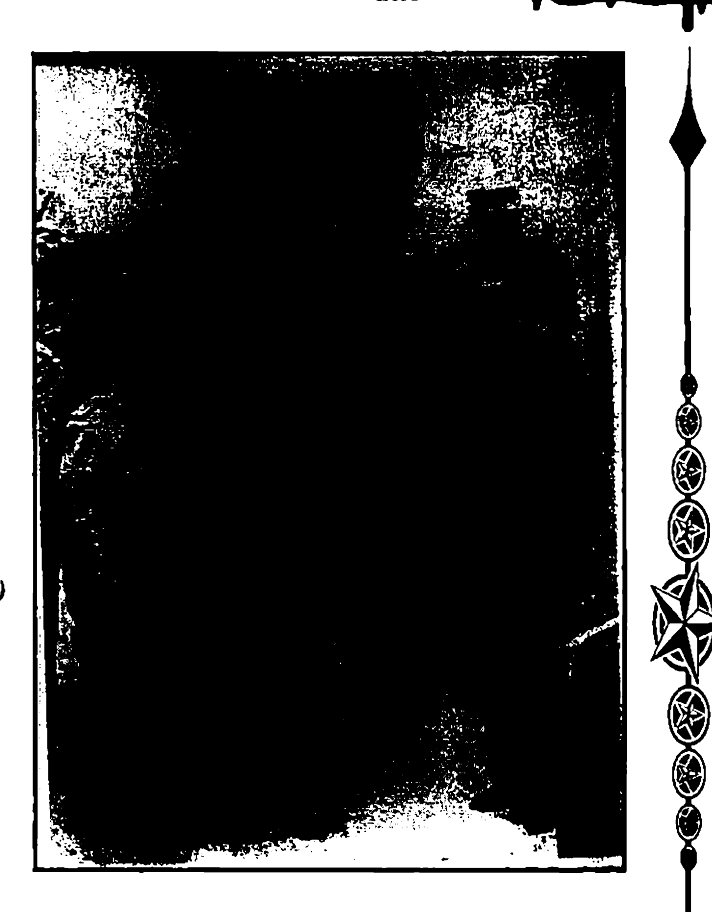
وعن الميزة الثانية قال الشاذلي: يتمتع العدو بميزة مهمة في المعارك التصادمية، وهي الدعم الجوي السريع للعناصر المدرعة التابعة له، حيث تتيح العقيدة القتالية الغربية التي تعمل إسرائيل بمقتضاها للمستويات الصغرى من القادة بالاستعانة بالدعم الجوي، وهو ما سيفقده لأني سأكون في حماية الدفاع الجوي المصري، ومن هنا تتم عملية تحييد الطيران الإسرائيلي من المعركة.

حرب أكتوبر:

في يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ في الساعة ١٣:٠٠ شن الجيشان المصري والسوري

هجوما كاسحا على إسرائيل، بطول الجبهتين، ونفذ الجيش المصري خطة المآذن العالية التي وضعها الفريق الشاذلي بنجاح غير متوقع، لدرجة أن الشاذلي يقول في كتابه حرب أكتوبر: في أول ٢٤ ساعة قتال لم يصدر من القيادة العامة أي أمر لأي وحدة فرعية.. قواتنا كانت تؤدي مهامها بمنتهى الكفاءة والسهولة واليسر كأنها تؤدي طابور تدريب تكتيكي.

طلقة (٥)



تحرير فلسطين من القاهرة

هي الهزيمة في حرب فلسطين لا شيء غير ذلك، لكنها الدرس العظيم الذي تعلمه الملازم الشاب سعد الشاذلي وكان له أكبر الأثر عندما تولى رئاسة أركان الجيش المصري في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبما خرج به من الهزيمة كان هو مهندس النصر العظيم والمخطط الأول له الذي حسب لكل شيء حساباته الدقيقة، بالعلم والخبرة والتدريب، والأهم من ذلك أن الجيوش العربية لو توحدت تستطيع أن تقهر عدوها مهما تحصن بخبرة وبمعدات لان عقيدة القتال لها مفعول السحر.

وقد استقرت في وجدان الضابط الشاب حالة عداء دائمة للدولة الصهيونية التي تم تأسيسها على اغتصاب حقوق الأبرياء واستخدمت التصفيات العرقية والإرهاب في ترويع وتهجير السكان الأصليين، باختصار هي دولة الشر الأولى التي تقوم على الغدر والقهر والسطو وكما قال جمال عبدالناصر أن كفاح الشعوب لا يتوقف ولا يستقر عند نهاية، انه طريق بعيد المراحل كلما بلغ الشعب منه مرحلة لاحت أمامه باقي مراحله.

وبعد أن انتهت حرب فلسطين وعادت الجيوش منها وبعد أن أفلت ناصر من حصار الفالوجا، لم يضع الوقت فقد أدرك أن تحرير فلسطين يجب أن يبدأ أولا من القاهرة وهو ما آمن به الشاذلي مبكرا أيضا وظل مؤمنا به على نهاية حياته ودفع لذلك ثمنا غاليا من التجاهل والنفي والسجن .

في البيت نفسه الذي يسكنه الشاذلي جرت حركة غير عادية في الطابق الأعلى الذي يسكنه جمال عبدالناصر، أنها زيارة مفاجئة وغير مرغوب فيها قام بها الفريق عثمان المهدي رئيس أركان الجيش ومعه مجموعة من ضباط البوليس الحربي وكان الهدف القبض على جمال عبدالناصر وبعد تفتيش بيته لم يجدوا سوى بضعة طلقات فقد كان حريصا للغاية ومع ذلك تم اصطحابه إلى دولة إبراهيم عبدالهادي باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكري العام ووجهت اليه تهمة التعاون

مع الإخوان وتدريب بعض الشبان منهم على السلاح ولا يعرف جمال كيف كان صبورا على هذه المناقشات، وخشي عبدالهادي أن هو أمر باعتقال جمال المحبوب بين زملائه أن يشتعل الموقف وتأتي الرياح بما ما لا تشتهي سفينة الحكومة وفي هذا الوقت بدأت تتضح معالم قيادة الضباط الأحرار كما يقول السادات واستثمروا وجودهم بالقاهرة، جمال الذي كان يحمل رتبة الصاغ ويعمل مدرسا بمدرسة الشفور الادارية للجيش، وعبدالحكيم عامر بمدرسة المشاة، وزكريا محيي الدين المدرس في الكلية الحربية وصلاح سالم وظهرت الملامح الأولى للضباط الأحرار الذين وضعوا لأنفسهم أهدافا عدة واضحة منها القضاء على الاستعمار الأجنبي وأعوانه من الخونة وتكوين جيش وطني وحكم نيابي سليم، وكان قانونهم السرية المطلقة وتخصيص ضابط من كل سلاح يتولى شؤون الخلية التي تعمل بعيدا عن الخلايا الأخرى، وتكليف كل ضابط بتقديم تقرير أسبوعي عن مجموعته ومن هنا اختلطت الأوراق على بعض المؤرخين حول الضباط الأحرار، خاصة قبل الثورة، حيث يلتقي الضابط بزميله في التنظيم وهو لا يعرف ولا زميله أيضا ومن هنا لعبت السرية دورها في نجاح التنظيم ومن هنا اختلفت الآراء بعد ذلك حول انضمام فلان إلى الضباط الأحرار من عدمه الذي جاء في منشورها الأول بضرورة ضم أعضاء جدد كل أسبوع وهو ما يعني توسع الأعداد بعد أن بدأت الخلايا خماسية أي من خمسة أعضاء، ثم يصبح كل عضو منها نواة لخلية جديدة.

وبدأت التحرك لمواجهة القصر ومخابراته الخاصة، وكذلك قيادة الجيش وتحرك صلاح سالم لكسب ثقة حيدر باشا وزير الحربية وتحرك السادات كما يقول داخل القصر عن طريق الدكتور يوسف رشاد.

وهنا يجب الوقوف عند نقطة مهمة للغاية فقد هاجم البعض الشاذلي واتهموه بالانضمام إلى الحرس الحديدي الذي أنشئ في الأربعينيات لخدمة القصر والملك، وانتهزوا في ذلك وجود الشاذلي كضابط بالحرس الملكي، ويكشف



الأمر بوضوح ويعترف للإعلامي أحمد منصور في قناة الجزيرة وفي برنامج شاهد على العصر حيث قال:

- لم يكن لي علاقة بالحرس الحديدي بل اني لم أعلم بأمره الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو، وعندما سأله منصور أن كان الانضمام إلى هذا الحرس جريمة أم أنها خدمة يفخر بها الضابط؟

فقال الشاذلي:

عندما كان التنظيم يقوم بتصفية الانكليز وقتلهم فان ذلك أمر مشرف لكنه عندما يصفي خصوم الملك فانه لا يشرف!

وقد حدث ذلك مع أمين عثمان وزير الخارجية في حكومة الوفد في عام ١٩٤٦ وقد كان عثمان مكروها من جانب الجماعات الوطنية المختلفة لأنه وصف علاقة مصر بانكلترا بأنها زواج كاثوليكي.

وقد لعب يوسف رشاد دورا بارزا في تكوين الحرس الحديدي بمجموعة أصدقاء كانوا يسهرون في منزله من صغار ضباط الجيش وقد كلفهم باغتيال مصطفى النحاس وأمين عثمان.

وأحضر أحد أفراد الحرس سيارة مطافئ وانطلقوا ناحية منزل النحاس واقتربوا من البيت وأطلقوا النيران بالفعل وفشلت المحاولة ثم في مرة أخرى أحضروا سيارة حملوها بالديناميت وقادها الضابط مصطفى كمال صدقي وتركوها أمام منزل النحاس وانفجرت بعد ربع ساعة ونجا النحاس مرة أخرى رغم أن الشظايا التي تطايرت كسرت زجاج غرفة نومه، واعتبر الناس أن النحاس رجلا مبروكا وأكد هذا الكلام جمال عبدالناصر الذي قال لأنور السادات: يبدو أن النحاس من أولياء الله ومن يظلمه لا يكسب!

ويكشف المؤلف سعيد جاد في كتاب الحرس الحديدي كيف أن بعض أعضاء

هذا الحرس تلونوا وتغيروا بعد ثورة يوليو ومنهم حسن عبدالمجيد وخالد فوزي وقد عينا بعد سفيرين لمصر بالخارج، وأصبح مصطفى كمال صدقي مناصرا متطرفا للثورة ثم انقلب عليها وحوكم بتهمة محاولة قلب نظام الحكم وتزوج تحية كاريوكا ثم مات في احدى المصحات النفسية، أما سيد جاد نفسه وهو أحد أعضاء الحرس فقد قبع في السجن شهور عدة ثم عمل بالمحاماة فترة وجيزة ولم يحقق نجاحا.

وهكذا أثبتت كل الوثائق والكتب التي تناولت قصص الحرس الحديدي بما في ذلك الوثائق البريطانية أن سعد الشاذلي لم يكن له صلة من قريب أو بعيد.

صفحة جديدة

ولان جمال عبدالناصر بدأ الانشغال بالثورة على القصر والنظام في فترة تقارب فيها مع الشاذلي عسكريا والسكن الواحد، وكذلك حب الوطن والرغبة الصادقة في تحريره من الاستعمار، والايمان المطلق بالقومية العربية والحب المشترك لكتابات أحمد حسين واحسان عبدالقدوس وفي حوارات طويلة جمعت بين الرجلين كان الوطن حاضرا، وبعد ما جرى في فلسطين، اتجه الكثير من الضباط بشكل أو بآخر إلى السياسة بعضهم انضم إلى منظمة سرية (حدتو) التي ضمت اليساريين وبعضهم الآخر انضم إلى الإخوان المسلمين، فعلوا ذلك تمردا على القصر والحكومة والاحتلال.

وعندما أصدر الرئيس أنور السادات قرارا بمنح معاش خاص تكريما لـ ١٦٨ ضابطا كانوا ضمن تنظيم الضباط الأحرار خلت القائمة من اسم الشاذلي وهو دليل قاطع على أنه انضم فقط لهذا التنظيم بطريقة شفهية أو أمسك العصا من المنتصف خوفا من كشف التنظيم رغم تعاطفه معه، وهو قول مردود عليه باجابة بسيطة للغاية، إذا رجعنا إلى تاريخ قرار السادات وهو عام ١٩٧٢ ووقتها كان

الشاذلي رئيسا لأركان حرب الجيش المصري أي أنه في الخدمة وبالتالي لا يحتاج إلى معاش، بدليل أن القائمة خلت من بعض الأسماء الكبيرة المعروفة في تنظيم الضباط الأحرار لان لهم وضعية سياسية خاصة وفي غنى عن المعاش، وعند الشاذلي أدلة أخرى!!

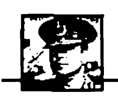
خارج السياق :

لم أفش أي أسرار عسكرية: أن اتهامي أمام محكمة عسكرية بأنني أفشيت أسرارا عسكرية في كتابي الذي نشرته عن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٩، هو اتهام باطل لا يستند إلى أي دليل، أني أتحدى من يدعي بغير ذلك أن يذكر معلومة محددة يعتقد أنها من وجهة نظره تعتبر معلومة عسكرية سرية.

لقد جاء في تعليق مدير ادارة القضاء العسكري الذي نشر في مجلة المجلة بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٩٣ أن الفريق الشاذلي بصفته العسكرية كرئيس للأركان قد أفشى أسرارا عن أسلحة ومعدات وخطط ومعلومات عن تشكيلات وتحركات وأفراد وعتاد واستراتيجيات وتكتيكات القوات المسلحة المصرية. وذلك من خلال ما كتبه في الخارج من مقالات نشرت في مجلة الوطن العربي، بالاضافة إلى كتاب صدر في باريس تحت عنوان حرب أكتوبر، دون اذن خطي من السلطات العسكرية المختصة كما يوجب القانون.

* ويقول الشاذلي: وأرى أن الجملة الوحيدة الصادقة في كل هذا التصريح هي أنني لم احصل على تصريح كتابي من وزارة الدفاع بنشر كتابي عن حرب أكتوبر. أما كل ما جاء على لسان مدير إدارة القضاء العسكري من اتهامات أخرى فهي ادعاءات باطلة لا تستند إلى أي دليل.

نعم لم أطلب تصريحا من وزارة الدفاع لأنني أرى أن أي قرار أو قانون يفرض على الأشخاص ضرورة الحصول على إذن مسبق من القيادة العامة للقوات المسلحة، قبل إجراء أي حديث أو قبل نشره هو إجراء غير دستوري ويتعارض مع مبدأ حرية الرأي التي كفلها الدستور لجميع المواطنين. وان كل ما تستطيع السلطة التنفيذية عمله- اذا افترضنا احترامها للدستور- هو أن ترفع الدعوى ضد من تعتقد أنه أفشى أسرارا عسكرية. ثم يترك الأمر بعد ذلك للقضاء للفصل في



الدعوى.

نعم لم اطلب تصريحا من وزير الحربية لأنني على قناعة بأني لست أقل منه علما أو وطنية عند تقييمي لما أكتب من حيث أن ما أكتبه يمكن أن يستفيد منه العدو في تهديد أمن وسلامة وطني. واذا علمنا بالكم الهائل من المقالات والكتب التي يتحتم عرضها على وزارة الحربية لاحتوائها على موضوعات عسكرية. وان الوزير وكبار معاونيه لا يستطيعون مراجعة كل هذه المقالات والكتب. وان الأمور عادة ما تنتهي بإحالة هذه الكتب والمقالات إلى ضباط ينقصهم العلم والخبرة، اتضحت لنا خطورة النتائج التي يمكن أن تسفر عنها مثل هذه الرقابة والتي عادة ما تتمسك بالشكل دون المضمون والتي قد تخضع أحيانا لعوامل شخصية وتصفية حسابات قديمة. أو قد تتأثر بموقف انتهازي من الضابط الرقيب اذا شعر أن رفضه التصريح بنشر كتاب لمؤلف ما، قد يرضى رئيسه، نظرا لما يعلمه من وجود خلافات سابقة بين المؤلف وبين رئيس الضابط الرقيب.

نعم رفضت طلب التصريح بالنشر من وزير الحربية، لان كتابي عن حرب أكتوبر كان مليئا بالنقد اللاذع لرئيس الجمهورية ولوزير الحربية. ولأنني طالبت في هذا الكتاب بالغاء منصب القائد العام للقوات المسلحة، وابعاد وزير الحربية عن القرارات العسكرية.

طلقة (٦)

(الشاذلي الملحق العسكري في لندن)



الأبطال يدفعون الثمن

لا يعترف الفريق سعد الدين الشاذلي بالإنسان الكامل.. فهو يستطيع كما يرى المزايا أن يكتشف العيوب وغالبا ما يبدأ ذلك مع نفسه.. وقد يأتي هنا السؤال كيف كان الشاذلي قريبا من جمال عبدالناصر.. ومع ذلك لم يظهر بين الضابط الأحرار بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وكان من بينهم؟ واذا كانت السرية قد فرضت عليه ذلك فلماذا لم يتم تصعيده ومنحه المناصب مثل غيره !

من يسأل هذا السؤال حتما لا يعرف طبيعة الفريق الشاذلي الذي لا يحب أن يزاحم غيره على منصب أو موقع.. لكن يجب أن يأتيه هذا المنصب إلى حيث يكون.. ومن يقرأ سيرته جيدا سيدرك هذا وكم كلفه الكبرياء الكثير إلى حد المبالغة ولكن هذا هو قدر الأبطال بل انهم أحيانا من يدفعون الثمن لأنهم رفضوا الاستسلام لمنطق الخضوع للأمر الواقع وآمنوا بان النصر لا يتحقق ألا بالاعتراف المر بالهزائم، لكن للسياسة حساباتها التي تصطدم بالعسكرية وأنا لا أريد أن اكشف أوراق القصة المثيرة مبكرا لأنها تمثل الذروة الدرامية في رواية الكبرياء وبطلها الشاذلي لكننا لن نبتعد عنها كثيرا...

وفي الأشهر القليلة قبل الثورة مباشرة كان الضابط الشاب سعد الشاذلي منتظما في دورة دراسية لأركان الحرب وكان الضابط (معروف الخضري) مسؤول الخلية التي تضم الشاذلي مع الضباط الأحرار.. يعرف هذا وبالتالي لم يكلفه بشيء لعمله بانشغاله بتلك الدورة التي تحتاج إلى تفرغ وهي هامة جدا في الميدان العسكري.

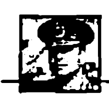
ويكتشف الشاذلي كيف أن جمال عبدالناصر كان هو قائد الثورة ومحركها الأول بعكس ما قيل عن استخدامه للقائد محمد نجيب كستار ثم الانقلاب عليه ولك أن تسمع القصة من أنور السادات كما رواها في حلقات نشرتها الجمهورية وقت أن كان هو مديرها العام الأول: في عام ١٩٥٠ كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلي والخلايا والمخابرات وبدأنا نفكر في تحديد ميعاد الثورة.. وقررنا أن أمامنا خمس سنوات على الأقل لكي تكتمل قوتنا وبما يجعلنا كضباط أحرار

نستطيع أن نتغلب على الملك والاستعمار لكن السياسة لا تستقر على حال.. ولذلك عدلنا الفترة الزمنية إلى ثلاث سنوات والسبب في ذلك ما جرى من حزب الوفد وقد كانت الحسابات تعول عليه دورا كبيرا لكنه هادن القصر مما تحول إلى صدمة لدى الشعب.

ويعترف السادات بأنه كان يتحرك بصعوبة بعد خروجه من السجن على اثر قضية مقتل أمين عثمان وفي عام١٩٥١ تم نقل صلاح سالم وعبدالحكيم عامر والسادات إلى سيناء وجمال سالم إلى العريش وكان لابد للبحث عن رئيس يجمع شتات الضباط وقد تفرقت بهم السبل على هذا النحو وبالاجماع تم انتخاب جمال عبدالناصر وفي الاجتماع نفسه تقرر اختيار اللواء أركان حرب محمد نجيب قائدا للحركة يوم تنفيذها فهو من كبار الضباط وشخصية محبوبة.. ولكن هذا القرار ظل سرا لا يعرفه اللواء نجيب.. وكان عبدالحكيم عامر هو الذي عمل معه ورأينا أن يكون هو همزة الوصل بينه وبين البكباشي جمال عبدالناصر بعد عودته من الفالوجا وكان عبدالحكيم أيضا قد تم تكليفه بعمل ما يسمى تقرير حالة أو تقرير موقف وقد جاء فيه أن الحركة تستطيع أن تنفذ مخططه في أول فرصة تحين لها.

وكان جمال قد قام بجولة داخل العديد من وحدات الجيش للوقوف بنفسه على ما يحدث وفي نفس الوقت جرت اتصالات مع الوفدي الكبير فؤاد سراج الدين وجاءت انتخابات نادي الضباط لتكون أول اختبار لتحركات الضابط الأحرار واستشعر القصر بذلك فأعلن تأجيل الانتخابات حتى ضغطت الحركة ونجحت.

وقد أكد الفريق الشاذلي في أحاديث عدة أن جمال عبدالناصر هو العقل المدبر للثورة قولا وفعلا.. لذلك أعلن عن تأييده للثورة.. وكان طبيعيا أن يعرض جمال بعد أشهر قليلة من الثورة على الفريق الشاذلي أن ينضم إلى جهاز المخابرات بعد اعادة تنظيمه لكنه طبقا لشهادته ثم شهادة زوجته فيما بعد السيدة زينات السحيمي اعتذر عن قبول العرض مفضلا الاستمرار في الخدمة داخل القوات المسلحة



وهنا يوضح الكاتب مصطفى عبيد ويفسر هذا الأمر في كتابه (العسكري الأبيض) فيقول:

جهاز المخابرات كان قائما في مصر تحت مسميات أخرى لكنه لم يتحول إلى جهاز حقيقي مهمته الدفاع عن الأمن القومي الا بعد الثورة ومن الثابت تاريخيا أن عبدالناصر أوكل مهمة انشاء الجهاز لزكريا محيي الدين وفيما بعد شهد الجهاز نهضة كبيرة خلال عهد صلاح نصر الذي حقق من خلاله كثيرا من العمليات الناجحة قبل أن يقال ويقدم للمحاكمة بتهمة الانحراف بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ .

ولا شك أن ذلك يدفعنا إلى الاستنتاج أن قرار الشاذلي بالاعتذار عن العمل في ذلك الجهاز لان طبيعة الشاذلي نفسه طبيعة أخلاقية أقرب إلى التدين والالتزام ولا تتوافق مع أفكار ومبادئ الاستغلال والتجسس والوشاية وانتهاك حقوق الانسان.

كان الشاذلي عاشقا للحياة العسكرية ومحباً للعلوم البحرية وكان يرى انه يمكن أن يقدم خدمات جليلة للوطن من خلال القوات المسلحة لذا كان عبدالناصر حريصا على تكريمه وتقديره ومساندته داخل الجيش المصري الذي بدأت شهرته وقدراته تتسع بعد نجاح مجلس قيادة الثورة في امتلاك جميع شؤون الحكم بعد أزمة مارس الشهيرة في عام ١٩٥٤.

ولنا هنا وقفة مهمة بطلها الدكتور ثروت عكاشة أحد الضباط الأحرار من سلاح الفرسان ورائد الثقافة المصرية في مستهل الثورة حيث يرشدنا إلى كتاب (قائد البانزر) للألماني الجنرال هاينز جوديريان وهو من أبرز القادة واحد صانعي التاريخ العسكري من خلال فكره المبتكر في استخدام المدرعات وسنجد أن الشاذلي كما لو كان قرأ الكتاب وحفظه حيث يقول الجنرال أن أفضل المزايا التي تخلق القائد العظيم العسكري أولها دقة الملاحظة وعمق التحليل وسرعة الرد والثقة بالنفس والقدرة على مفاجأة الخصم وابقائه في حالة اضطراب تنتهي به إلى الشلل هذا إلى جانب قدرته على تعميق المودة بينه وبين جنده وتحريك أعجابهم والتأثير فيهم بما يحفزهم لبذل

أقصى جهد ممكن ويذكر د. عكاشة أن الجنرال الألماني كان شديد البراعة في التحايل على جعل المستحيل ممكنا اذا كان واسع الخيال في الافادة مما لديه من معدات بادخال تحسينات على بعض الأسلحة أو تطويرها والاسراع بتجربة ابتكاره وهو الأمر الذي لم يقدم عليه قائد عسكري من قبل اذا كان ذلك متروكا للأخصائيين المدنيين والعسكريين وأنا أتمنى من القارئ الكريم أن يحتفظ بتلك الأسطر في ذاكرته لكي يعرف عندما نصل إلى رئاسة الشاذلي لأركان حرب الجيش المصري كيف انطبقت عليه كافة شروط الجنرال الألماني بل وزادت.

ويضيف عكاشة، وبندر أن تجد في التاريخ مبتدع فكرة تسنح له الفرصة كي يضع نظريته موضع التنفيذ والتطبيق ولقد كان لجوديريان من القدرة على التخيل الانشائي والطاقة الديناميكية والجسارة في استغلال الفرص التي تسمح له ما هيأ له أن يخرج على العالم بنتائج فورية في فن الحرب وما أثار دهشتي أن وجدت بين ثنايا الكتاب اسم الجنرال مونزل يتكرر في أكثر من موضع مرتبط بالثناء عليه من قائده الأعلى فزادني هذا اعجابا به وعدت استفسر منه تفصيل ما ذكر في الكتاب عنه مجملا واذا بي أجدني مسوقا إلى ترجمة هذا الكتاب إلى العربية بعد أن وجدت فيه من الدروس ما ينبغي أن يفيد منه كل مقاتل في قواتنا المدرعة وقدمته إلى القوات المسلحة التي تولت طبعه ونشره وظهرت طبعته الأولى عام ١٩٦٠ في جزأين ضخمين مزودين بالخرائط بعنوان (قائد البانزر).

وكنت قد قرأت فيما مضى شيئا عن القائد المغولي (جنكيز خان) مما كتب في العربية لابن الأثير وابن الفرات ومحمد بن القسوي ثم علاء الدين الحويني وعبدالله بن فضل الله ولقد كان يحوز بعضهم حديث لا يعرفونه ويملي على بعضهم الآخر ويحملونه فأصابوا في شيء وأخطأوا في أشياء وفي ظل هذه البحوث الإسلامية نشأت محاولات غريبة ما أشك في أن هذا التراث الشرقي كان مادتها الأساسية فكانت بعض هذه المحاولات ترجمة لما كتب في العربية وبعضها تأليفا



استعين فيه بتلك المادة العربية ورأيت في جنكيزخان صورة من القوة العارمة التي لا تأبه للشدائد والعنف الصاخب الذي يستهين بالمصاعب.

مصري خالص

ان تجتمع الثقافة مع روح الانضباط بالأخلاقيات تكون النتيجة دائما قيادة رشيدة وطنية عرفنا عن جمال عبدالناصر انه العاشق للقراءة وقد كانت له محاولات عديدة في الكتابة الأدبية والسياسية معها قصة (ثمن الحرية) وكتاب (فلسفة الثورة) وكان السادات فصيحا وخطيبا وتولى ادارة مؤسسة دار التحرير (الجمهورية) وله أكثر من كتاب والفريق الشاذلي كان حريصا في مستهل حياته أن يقرأ كل ما يكتبه احمد حسين في مصر الفتاة وكذلك كتابات احسان عبدالقدوس والى جانب ذلك درس الكثير من العلوم العسكرية في أميركا والاتحاد السوفيتي وكان حريصا على متابعة كل مستجدات العلوم العسكرية وله عدة مؤلفات وختم القرآن الكريم مرات عدة في سجنه الذي فرضه عليه الرئيس السابق مبارك.. وهو أول قائد كان يتواصل مع جنوده بشكل مباشر فلما اتسعت الدائرة وشملت الجيش المصري كله بعد أن تولى رئاسة الأركان كان يصدر تباعا كتيبات يخاطب فيها رجال الجيش من ضباط وجنود أولا بأول ومازال بعضهم يحتفظ بتلك الكتيبات التي كان لها ابلغ الأثر في رفع الروح المعنوية والعبور من إحباط الهزيمة إلى آفاق النصر.

والآن نسأل كيف لقائد أن ينفتح على المدرسة الأميركية العسكرية ثم المدرسة السوفيتية وهي على النقيض منها ثم يرتد إلى بلاده مصريا خالصا!!

خارج السياق :

بطل فلسطين :

بطل فلسطين هو القائد أحمد عبدالعزيز المولود في ٢٩ يوليو ١٩٠٧(١٨جمادي ثاني ١٣٢٥ هجرية) واستشهد عن طريق الخطأ برصاص مصري فعندما كان في طريقه بصحبة اليوزباشي صلاح سالم (أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة في مصر فيما بعد) إلى القيادة المصرية في المجدل ليلة ٢٢ أغسطس ١٩٨٤م (الموافق ١٦ من شوال ١٣٦٧هـ) ووصل بالقرب من مواقع الجيش المصري في الفالوجة أطلق أحد الحراس (واسمه العريف بكر الصعيدي) النار على سيارة الجيب التي كان يستقلها أحمد عبدالعزيز بعد اشتباهه في أمرها فأصابت الرصاصة صدر القائد البطل الذي ما لبث بعدها أن لفظ أنفاسه الأخيرة وأسلم الروح شهيداً.

يقال انه قد تم نقل جثمانه إلى بيت لحم حيث دفن في مقبرة قبة راحيل شمال المدينة حيث أقيم نصب تذكاري له عرفانا لما قدم على أرض فلسطين وشاهد على جهاده ونضاله المشرف وهناك رواية مختلفة بأنه قد دفن في غزة ومن المرجح أن الحكومة نقلت رفاته مع أخوته من الشهداء المصريين إلى مصر لاحقا.

لتقديم لمحة موجزة عن البطل للأجيال التي لا تعرف من كان هذا القائد الذي روى بدمائه الزكية تراب فلسطين وقدر الله له أن تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها على أرض الفالوجة الحبيبة انه بطل معارك العريش وخان يونس ورامات راحيل وغيرها من مواقع الشرف والبطولة الذي سطر اسمه بأحرف من نور تفوح وتضوع عطرا ومسكا في سجل الخلود ولد في مدينة الخرطوم بالسودان حيث كان والده الأمير الاي (العميد) محمد عبدالعزيز في مهمة عسكرية كقائد للكتيبة الثامنة بالسودان عاد بعدها إلى مصر.

وقد عرف عن البطل أحمد عبدالعزيز الحس الوطني والرجولة المبكرة منذ صغره فقد اشترك وهو لم يزل بعد في الثانية عشرة من عمره في ثورة ١٩١٩، وفي العام ١٩٢٣ دخل السجن بتهمة قتل ضابط انكليزي ثم أفرج عنه وتم إبعاده إلى المنصورة.

التحق البطل بالمدرسة الحربية وتخرج منها وصار لاحقا ضابطا متميزا بسلاح الفرسان المالكي لكي يصبح بجدارة آنذاك احد ألمع الطيارين المصريين ودرس التاريخ الحربي في الكلية الحربية كما أن القائد الشهيد كان كاتبا في العلوم العسكرية والسياسة ومن أعماله:

رسالة عسكرية بين السياسة والحرب.

وكتاب النجاة من الموت في البحار والغابات والصحارى.

بالاشتراك مع صديق عمره ورفيق سلاحه عبدالرحمن زكي رحمهما الله جميعا.

وحينما صدر قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، كان البطل (أحمد عبدالعزيز) هو أول ضابط مصري يطلب بنفسه احالته للاستيداع، هكذا تخلى عن رتبته وامتيازاته من أجل الجهاد في سبيل الله على أرض فلسطين; ليشكل كتائب المجاهدين المتطوعين الفدائيين لانقاذ فلسطين من أيدي اليهود. ويصبح قائدا لما يعرف بالقوات الخفيفة في حرب فلسطين.

فتولى تدريب أولئك المجاهدين واعدادهم وتسليحهم على ما أمدّته به قيادة الجيش من مدافع خفيفة وأسلحة وبقدر من الذخائر بعد أن ألح في طلب ذلك، واتخذ كل وسيلة لاقناع المسؤولين بأهمية تزويد المتطوعين بالسلاح، كما اعتمد على ما جمعه من المتطوعين من الأسلحة التي خلّفتها الحرب العالمية الثانية؛ فأصلح ما يُمكن اصلاحه منها.

إليكم بعض كلماته التي كان يحفز بها المجاهدين:

* أيها المتطوعون، أن حربا هذه أهدافها لهي الحرب المقدسة، وهي الجهاد الصحيح الذي يفتح أمامنا الجنة، ويضع على هاماتنا أكاليل المجد والشرف؛ فلنقاتل العدو بعزيمة المجاهدين، ولنخشَ غضب الله وحكم التاريخ اذا نحن قصرنا في أمانة هذا الجهاد العظيم....

وكان له رأي مغاير حيال دخول الجيش المصري الحرب، على أساس أن قتال اليهود يجب أن تقوم به كتائب الفدائيين والمتطوعين، لان دخول الجيوش النظامية يعطي اليهود فرصة كبرى في إعلان أنفسهم كدولة ذات قوة تدفع بالجيوش العربية إلى مواجهتها؛ إلا أن معارضته لم تمنعه من القتال بمعية الجيوش النظامية.

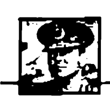
البطل المقتحم :

وبرغم صغر حجم قواته، وانخفاض مستواها من حيث التسليح والتدريب مقارنة باليهود، إلا أن البطل اقتحم بهم أرض فلسطين، ودارت بين الجانبين معارك حامية الوطيس، بداية من معركة مدينة العريش، مرورا بمعركة خان يونس. وكان يساعده في قيادة هذه الكتائب كل من اليوزباشي النقيب كمال الدين حسين عضو قيادة مجلس الثورة في مصر لاحقا واليوزباشي عبدالعزيز حماد.

وبرغم مماطلة المسؤولين في القاهرة في ارسال أسلحة للمتطوعين، الا أن قوات الفدائيين بقيادة البطل حققت انتصارات مذهلة على اليهود، فقطعت الكثير من خطوط اتصالاتهم وامداداتهم، وساهمت في الحفاظ على مساحات واسعة من أرض فلسطين، ودخلت مدينة القدس الشريف ورفعت العلم الفلسطيني والعلم المصري جنبا إلى جنب.

وأعاد بعد ذلك رسم الخرائط العسكرية للمواقع فى ضوء الوجود اليهودي، ما سهل من مهمة القوات النظامية العربية التي دخلت فيما بعد في حرب ١٩٤٨ .

حين وصل البطل أحمد عبدالعزيز إلى بيت لحم، حتى بدأ باستكشاف الخطوط الدفاعية للعدو التي تمتد من تل بيوت ورمات راحيل في الجهة الشرقية الجنوبية للقدس، ليس بعيدا كثيرا عن قبة راحيل في مدخل بيت لحم الشمالي، حتى مستعمرات بيت هكيرم وشخونات هبوعاليم وبيت فيجان ويفنوف ونشر قواته مقابلها.



والتحق به منضويا تحت امرته القائد الأردني البطل عبدالله التل بما معه من قوات الجيش الأردني. بمعية هؤلاء الرجال خاض معركة رمات راحيل. حيث كانت مستعمرة رمات راحيل تشكل خطورة نظرا لموقعها الاستراتيجي المهم على طريق قرية صور باهر وطريق القدس - بيت لحم، لذا قرر أحمد عبدالعزيز احتلال المستعمرة وقاد هجوما عليها يوم الاثنين ٢٤/ ٥/ ١٩٤٨م، بمشاركة عدد من الجنود والضباط من قوات الجيش الأردني. بدأ الهجوم بقصف المدافع المصرية للمستعمرة، بعدها زحف المشاة يتقدمهم حاملو الألغام الذين دمروا أغلب الأهداف المحددة لهم. ولم يبق الا منزل واحد احتمى فيه مستوطنو المستعمرة. وحين انتشر خبر انتصار أحمد عبدالعزيز، بدأ السكان يفدون إلى منطقة القتال لجني الغنائم، والتفت العدو للمقاتلين، وذهبت جهود أحمد عبدالعزيز في اقناع الجنود بمواصلة المعركة واحتلال المستعمرة أدراج الرياح، وأصبح هدف الجميع ارسال الغنائم إلى المؤخرة. ووجد أحمد عبدالعزيز نفسه في الميدان وحيدا الا من بعض مساعديه - ممن لم يبدلوا تبديلا. وتغيرت نتيجة المعركة.

وقادت العصابات الصهيونية هجوما في الليل على أحمد عبدالعزيز ومساعديه الذين بقوا، وكان النصر فيه حليف الصهاينة، والمؤرخون يقارنون بين هذا الموقف وموقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين سارع الرماة إلى الغنائم وخالفوا أوامره في معركة أحد وتحول النصر إلى الهزيمة.

بعدما قبل العرب الهدنة في عام ١٩٤٨، نشط اليهود في جمع الذخيرة والأموال وقاموا باحتلال قرية العسلوج التي كانت مستودع الذخيرة الذي يمون المنطقة، احتلالها كان يعني قطع مواصلات الجيش المصري في الجهة الشرقية ومع فشل محاولات الجيش المصري استرداد هذه القرية استنجدوا بالبطل أحمد عبدالعزيز وقواته التي تمكنت من دخول هذه القرية والاستيلاء عليها.

حينما حاول اليهود احتلال مرتفعات جبل المكبر المطل على القدس، وكان

هذا المرتفع احدى حلقات الدفاع التي تتولاها قوات أحمد عبدالعزيز المرابطـة في قرية صور باهر، قامت هذه القوات برد اليهود على أدبارهم وكبدتهم خسائر كثيرة، واضطرتهم إلى الهرب واللجوء إلى المناطق التي يتواجد فيها مراقبو الهدنة ورجال هيئة الأمم المتحدة.

هذه ومضات من تاريخ نوراني لرجل نذر نفسه للكفاح فوهبه الله الخلـود بـين حنايا الشهادة والبطولة.

طلقة (٧)



واثق الخطوة والابتسامة

الله .. الوطن .. الشرف

الوطنية لا تباع ولا تشترى وعندما يكون الولاء الأعظم لله سبحانه وتعالى ثم لتراب وطنك.. لا بأس أن تأخذ من الشرق أفضل ما فيه.. ومن الغرب أحسن ما عنده.. ثم تأكد لك في نهاية المطاف وجهة نظرك الخاصة ومنهجك الذي تؤمن به ويحقق لك التميز والتفرد في مجالك.

في عام ١٩٥٣ كانت هناك ترشيحات لبعثة تدريبية في الولايات المتحدة الأميركية.. وتقدم لها وخاض امتحانها مع غيره وكان أفضلهم وأقربهم إلى البعثة لكنها لسبب أو لآخر ذهبت إلى غيره، لقد ابتعد الشاذلي عامدا عن ضباط الثورة في فترة تقسيم الغنائم والمناصب بعد الثورة.. كان ينظر إلى ما هو أبعد من ميزة يحصل عليها، وينتفض لأجلها وأهم ما يتميز به نظرته البعيدة للأمور حيث العسكرية عنده قبل كل شيء وبعد كل شيء وهي كل شيء، كانت البعثة لدراسة فنون المظلات.. وهو الذي تم تكليفه بعد ذلك بانشاء أول فرقة مظلات في مصر وبدأ التدريب عليها لكي يستعرض فنونها أمام جمال عبدالناصر في العرض العسكري الذي سيقام في ٢٣ يوليو ١٩٥٤.. وتسمى قوات الصاعقة والمظلات بالسلاح الأقوى والأشد وأشهر المدارس التدريبية في أميركا وانكلترا وفرنسا، وأشهر الوحدات: نافي سيل، صقور الجو،رجال الجبهات الخضراء، رينجرز، أس. أ. أس، دلتا فورس، رينبو سكس.. هذه كلها دورات رفيعة المستوى تقوم بما يسمى العمليات الخاصة.

وللأسف هناك خطأ كبير وقعت فيه بعض مواقع الانترنت وأيضا كتاب المقالات عندما تجاهلوا أن مؤسس المظلات هو سعد الشاذلي حيث أن الشاذلي في هذا الوقت حصل على رتبة رائد وهو من أول من حصل على فرقة رينجرز ومن مدرسة المشاة الأميركية وكلمة رينج معناها قاطع المسافات الطويلة وهم الرجال الذين كانوا يحرسون القوافل الأميركية من الغرب للشرق أو العكس.. بعد ذلك ذهبت مجموعة أخرى للحصول على نفس الفرقة منهم جلال هريدي.

وبالتحقيق في الموضوع وعبر العديد من المصادر اكتشفت أن سبب تجاهل اسم الشاذلي في تأسيس فرقة المظلات راجع لوجود المقدم احمد إسماعيل قائد كتيبة هريدي.. وهو نفسه المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية والمعروف أن بينه وبين الشاذلي خصومة ولها قصة سوف نقف على تفاصيلها.

ثم اننا سنجد أن أحد أبطال المظلات الأوائل الشهيد ابراهيم الرفاعي الذي انضم اليها وهو ملازم أول والنقيب نبيل الوقاد وهو شقيق الكابتن محمود بكر المعلق الرياضي الشهير، وبعد المظلات أنشئت الصاعقة التي أصبحت عالميا في المركز الثاني بعد صاعقة الهند التي تأكل لحوم البشر الموتى وكانت قوات المظلات في أول الوحدة مع سورية وكانت ٧٥ وأخرى في سورية هي (٧٦) وقد عادت الأخيرة إلى دمشق بعد الانفصال.. وبعد ذلك تأسست الصاعقة وتم ضمها إلى المظلات فيما يعرف بالقوات الخاصة.

وهنا يكشف الفريق الشاذلي لأحمد منصور في برنامج شاهد على العصر (قناة الجزيرة) كيف ذهب إلى أميركا وهو يحمل رتبة الرائد.. ووقتها كانت مصر بعد ثورتها مباشرة بأشهر قليلة وعلاقتها قائمة مع أميركا الدولة التي بدأت تتصدر المشهد العالمي على حساب الإمبراطورية الانكليزية التي غربت عنها الشمس.. وكان الضابط الشاب يعرف أن المجتمع الأميركي الذي يعيش وسطه لا يمثل قيادته السياسية ويعترف بان الشعب الأميركي بسيط في تعاملاته ومن الممكن الاندماج معه بسهولة وكان يطلق على الضابط المصري انه حليف ومع ذلك في بعض المحاضرات كنا كشرقيين يتم منعنا منها.. وقد استفاد من تلك الدورة التي ذهب لأجلها وكانت تجربة مثيرة لان سلاح المظلات لم يكن معروفا في مصر وفي أغلب الدول العربية ورجاله كما هو معروف- صفوة العسكريين وهذه الدورة لم يحصل عليها مصري قبله سوى حسن فهمي عبدالمجيد ولكنه لم يستمر في المظلات بعد عودته وللأمانة مثل هذه الدورة التي تضيف إلى الشخص خبرات

خاصة تجعله يشعر بالكبرياء وحتما ستزداد درجته بعد العودة إلى مصر.. وتلقى الأمر من جمال عبدالناصر بتأسيس سلاح المظلات بعد أن كانت مجرد وحدة صغيرة.. وعندما أقول عبدالناصر فان ذلك تم عن طريق القيادة العسكرية لكن بموافقة رئيس الدولة. ويقول الشاذلي: وأصبحت أنا قائدا لأول كتيبة مظلات وعرفت بان احتفالات الثورة سوف تشهد عرضا أمام الرئيس وكانت الكتيبة مجرد سريتين ولم تكتمل قوتها ومع ذلك كان الاستعراض دافعا للانطلاق وهدفا نريد أن نصل اليه بنجاح وكنا نجري يوميا لمدة ٣ كيلومترات ونعمل استعراضا بالخطوة السريعة والتقيت مع قائد منطقة القاهرة وهو اللواء نجيب غنيم وشرحت له برنامج الاستعراض وكان المطلوب أن يتم اخلاء ميدان العرض حيث تمشي القوات البرية ومن خلفها الدبابات وخشينا أن تظن القيادة أن هناك خللا في البرنامج بسبب لحظات الصمت هذه بين قوات تمشي بخطوة عادية وأخرى ستمشي بخطوات سريعة ومع ذلك مرت اللحظات بشيء من القلق على الحاضرين ثم بدأت الموسيقى تعزف بما يتناسب مع خطواتنا بايقاعها الخاص.. ونجحت الفقرة وأصبحت هذه الخطوة السريعة مرتبطة بقوات الصاعقة والمظلات وبما يميزها عن سائر القوات ونقلتها الدول العربية فيما بعد وكانت الكتيبة رقم ٧٥ هي الرائدة.

ولنا هنا أن نسأل: لماذا تجاهلت مواقع الانترنت، التي نقلت عن بعضها البعض، اسم الشاذلي وهو قائد الكتيبة مع أنها ذكرت رقمها.. الا أن تكون المسألة متعمدة وعلينا أن نعرف دور المظلات والناس تعرف أن المظلي يهبط من الطائرات العسكرية مستخدما البراشوت أو المظلة وبها ينزل خلف خطوط العدو وبذلك تستطيع ضرب خطوط المواصلات ومراكز القيادة ومنع الاحتياطي عن الوصول إلى القوات البرية.. وعليه أن يعتمد على نفسه لمدة ٢٤ساعة حتى يلتحم مع قواته البرية ولذلك يتم تزويده بسلاح وذخيرة وتعيين (غذاء +ماء) وبهذا المنهج عملنا في الاعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ حيث تصورت أن تكون عملية

العبور الأولية باستخدام المظلات تلحق بها قوات المشاة قبل الدبابات والأسلحة بـ١٨ ساعة وبالأرقام والأوزان حسبنا ما يمكن أن يحمله الجندي وما أقصى مدة يمكن أن يقطعها سيرا على الأقدام بالحمولة الواجبة من أسلحة وعتاد وقوته ولذلك تكون نسبة المخاطر بالنسبة لجندي المظلات عالية ولابد لذلك من تدريب خاص.. الطائرة التي ستقله معرضة للضرب قبل أن يهبط منها.. وهو أثناء نزوله يمكن للمدفعية أن تصطاده.. فاذا نزل سليما من الممكن أن تتأخر عليه القوات البرية المنتظر أن تلتحم به وبدلا من أن يستمر ٢٤ ساعة يجد نفسه في حسابات أخرى قد تصل إلى ٤٨ ساعة أو أكثر وعليه أن يهيئ نفسه بما لديه، حتى مخاطر المظلات قائمة وقت السلم أثناء التدريب العنيف الذي يتعرض له الجندي وابسط احتمال أن تخذله المظلة ولا تفتح في الوقت المناسب ومع ذلك يشعر الجندي بالزهو لان اختياره تم بالانتقاء وقد يتهمه البعض بالاستعلاء والغرور على زملائه الجنود كما أن ملابسه متميزة بألوانها وشكلها ونحن ندربه على أن يفصل تماما بين الاحساس بالثقة وبين التكبر.. وهنا لابد من العقلانية.

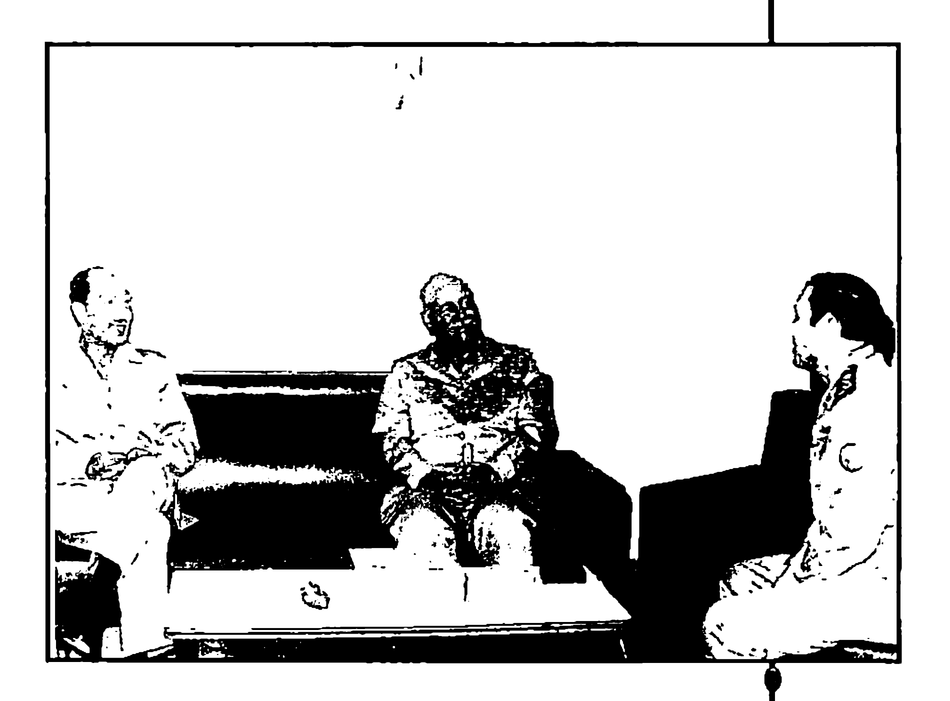
سؤال خاص

وعندما سألوا الفريق الشاذلي عن الأزمة التي وقعت بين الرئيس محمد نجيب والرئيس جمال عبدالناصر في عام ١٩٥٤.. كانت اجاباته: هذه أزمة لم أكن طرفا فيها ولا شاهدا عليها لذلك أرفض أن أتحدث نقلا عن أحد.. لذلك نقول للتاريخ أن مجلس قيادة الثورة تراجع عن قبول استقالة اللواء محمد نجيب في ٢٧ فبراير ١٩٥٤ بعد أن اندلعت المظاهرات لصالحه نظرا لشعبيته فقد كان نجيب رئيسا لسلاح الحدود.. ثم أن ضباط الفرسان انحازوا للديمقراطية.. وبالفعل عاد نجيب إلى الرئاسة وتم اعلان ذلك في بيان حفاظا على وحدة الأمة.. وهذه شهادة الكاتب أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار بينما مضى ثروت عكاشة على نهج الشاذلي وعمد ألا يتعرض في مذكراته إلى ما جرى في الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨

وقد سافر فيها إلى سويسرا وفرنسا كسفير ويتحدث الشاذلي عن العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦.. كقائد كتيبة فقط لا علم له بما يدور في الكتائب الأخرى ولا يدعي البطولة.. وكان الهدف ضرب الثورة الناهضة وتحجيم شعبية جمال عبدالناصر الطاغية وطموحاته المصرية والعربية والافريقية والآسيوية. لكن أنور السادات في كتابة (البحث عن الذات) يردنا إلى أزمة نجيب وجمال التي دخلت مجالها الأخير بعد توقيع اتفاقية الجلاء مع الانكليز في أكتوبر ١٩٥٤ وهي التي أنهت احتلال ٧٥عاما لمصر وقد جرت المفاوضات برئاسة عبدالناصر وبلغت العقبات أشدها داخل مجلس قيادة الثورة.. ثم بين الإخوان والثوار من جانب ومع الانكليز من جانب آخر وتكاتفت الظروف لكي تعلن الثورة فشلها عند هذا الحد، لكن مجلس الثورة تمكن من ابعاد ضباط سلاح الفرسان الذين اختلفوا معهم وأبرز هؤلاء خالد محيي الدين وثروت عكاشة الذي سبق له السفر ربما لأنه استشعر الأزمة قبل وقوعها وهو صاحب الحس المرهف وتم توقيع اتفاقية الجلاء مع الانكليز وفي الضربة نفسها جرى عزل نجيب في ضواحي القاهرة بمنطقة تسمى المرج ظل بها نسيا منسيا حتى مات هناك معدما.. وفي ٢٢ يونيو ١٩٥٦ تم انتخاب جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية أو بمعنى آخر.. أعلن قائد البلاد الحقيقي عن نفسه. انه الرجل القوي وتم حل مجلس قيادة الثورة وقبض جمال على زمام الأمور وبعد أسابيع قليلة أعلن دالاس وزير خارجية أميركا افلاس الاقتصاد المصري وتراجع أميركا والبنك الدولي عن تمويل السد العالي وظهر الاتحاد السوفييتي في الصورة بحضور وزير خارجيته لاحتفالات أعياد الثورة وأعلن جمال في ميدان المنشية تأميم قناة السويس ردا على دالاس.. وكانت العاصفة!!

طلقة (٨)

(لحظة صفاء نادرة مع السادات وإسماعيل)



انهزمنا وكسبنا حرب ٥٦ !



إنها الحرب يا جمال... هكذا همس أنور السادات إلى جمال عبدالناصر والقطار يعود بهما من الإسكندرية إلى القاهرة بعد الإعلان عن تأميم قناة السويس.. هكذا يقول السادات في مذكراته ولكنه لم يذكر لنا ماذا كان جواب عبدالناصر عليه خاصة أن الجماهير في جميع المحطات بين الإسكندرية والقاهرة قد خرجت مستقبلة في إشارة تأييد لقراره غالبية من الشعب.. وما جرى أن رئيس وزراء بريطانيا، وكان على مأدبة عشاء أقامها الملك فيصل ملك العراق ونوري السعيد رئيس وزرائه، هب منتفضا لكي يتصل بقادة فرنسا وإسرائيل وكانت نصف أسهم القناة ملكا لانكلترا ونصفها الآخر لفرنسا وكان عبدالناصر بخلاف التأميم قد افسد على الانكليز حلف بغداد وكان قرارهم بالحرب الثلاثية في ٢٩ اكتوبر١٩٥٦ وهو الموعد نفسه الذي حدده وزيرا خارجيتي انكلترا وفرنسا للاجتماع مع وزير الخارجية المصري محمود فوزي.. وهاجمت إسرائيل سيناء وأمر جمال بسحب القوات المصرية منها وبدأت الحرب.

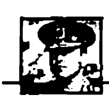
عودة إلى الشاذلي

يقول الشاذلي هجم الطيران الثلاثي على الطائرات المصرية وهي في أماكنها وكان باستطاعة جمال عبدالناصر أن يقف فوق سطح منزله ويرى بسهولة مطار ألماظة والنيران تشتعل في الطائرات وتنفجر.. في هذا الوقت كنت أنا قائد كتيبة مطلوب منه تنفيذ ما يتلقى من أوامر سواء اقتنع بها أو لم يقتنع.. وللعلم الكتيبة يتراوح عدد أفرادها بين ٥٠٠:١٠٠٠ فرد وتتكون من ٣ سرايا مشاة وسرايا معاونة للهاون والمدفعية المضادة للدبابات.. واللواء يتكون من ٣ كتائب مشاة وتكون قوته في حدود ٣:٤ آلاف جندي والفرقة يصل عددها إلى ١٥ ألف جندي.. ومعظم التشكيلات العسكرية في الجيوش تتم على هذا النحو بزيادة أو أقل قليلا وهناك طبعا وحدات للمشاة أو المدفعية أو المهندسين أو الاشارة ومع ذلك وصلت قواتنا التي توغلت في سيناء إلى ممر متلا وضربت عند ذلك وطلب

الانكليز أن يتم سحب قواتنا.. وتقرر بالفعل كما ذكرنا من قبل وكانت قوات فرنسية وانكليزية قد نزلت جوا في بورسعيد وقابلتها المقاومة الشعبية الباسلة وحاولت قواتنا منعهم من احتلال السويس.

وتأهبت للطيران إلى سيناء والنزول هناك خلف خطوط العدو ولما تم ضرب الطيران بما في ذلك الطائرة التي كنت سأستقلها مع الكتيبة وتحولت بذلك إلى وحدة مشاة عادية واتجهت فيما بعد إلى السويس ثم أخذوا سرية للمعاونة في صد الهجوم على بورسعيد وهي في حدود مئة فرد.

وهذه الحرب نستطيع أن نقول انها ساهمت في تقوية شوكة إسرائيل التي لم تحارب بالمعنى المفهوم.. لان الطيران الفرنسي والانكليزي تكفل بالجانب الأكبر منها.. وكانت حسابات جمال عبدالناصر أن انكلترا وفرنسا لن يقدما على الحرب بسهولة ولكن حدث غير ذلك ولذلك سحب قواتنا من سيناء لمواجهتهما.. وطبعا تدخل الاتحاد السوفييتي وأميركا لوقف هذا العدوان. وهنا يتحول الشاذلي إلى ناقد عسكري وينظر لحرب ٥٦ بعين المحلل فيقول: الهدف من أي حرب أن تنتصر على عدوك لكي تملي عليه شروطك ويتصرف وفقا لارادتك سياسيا ولو حدث غير ذلك فأنت خاسر حتما في هذه الحرب وقد دخلت انكلترا وفرنسا الحرب لاسقاط جمال عبدالناصر وتشجيع الشعب على ذلك وهو الهدف الذي لم يتحقق لان الشعب التف حول جمال أكثر وبذلك كان تعديهم العسكري بدون نتيجة سياسية بينما تحقق ذلك لجمال.. ثم انك تنظر إلى هذه المعركة التي دخلتها ثلاث دول.. ضد مصر بمفردها والتي قاتلت بسلاح روسي لم يتم التدرب عليه ولم يصل بكمياته المنتظرة وعلى ذلك بدأت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي تأخذ مسارا جديدا بينما حدث الشقاق مع أميركا وكانت حربهما الباردة على أشدها وقانونها أن لم تكن معي فأنت ضدي وكان هذا يتم حتى داخل أميركا نفسها بما عرف (بالكارثية) وهكذا وجدت نفسي في بعثة إلى الاتحاد السوفييتي..



أمام مدرسة مختلفة تماما عن الأميركية التي سبق لي التعرف عليها.. وشاءت الأقدار لي أن تفتح أبواب اكبر قوتين في فترة زمنية وجيزة.. والبعثة العسكرية.. بالنسبة لي.. ليست مجرد تدريبات ودراسة لفترة معينة في علم بعينه ولكنها أسلوب حياة أيضا مع شعب ومكان وكان الخلاف انك في أميركا ترسل بضابط أو اثنين لكنك في الاتحاد السوفييتي ترسل بمئة وبذلك تصبح عملية التعليم سريعة لان هذا العدد عندما يرجع يقدم خبرته لغيره وبذلك تتسع الدائرة.. إلى جانب ذلك كان هناك خبراء سوفييت يحضرون إلى مصر لنفس الغرض أيضا.

وكان خيار جمال عبدالناصر في هذا التوقيت ذكيا وعمليا.. لان أميركا لن تدعم الجيش المصري بحيث يتفوق في قوته على إسرائيل مهما كانت الأسباب.. ومن هنا وجب أن نتجه إلى روسيا حيث تريد محاصرة المد الأميركي والاستعماري.. ولو عدنا بالذاكرة إلى الوراء في عام ١٩٤٧ سنجد أن روسيا أيدت قيام دولة إسرائيل ولكن بمقاييس السياسة ليست هناك ثوابت ومع ذلك تشكك الروس عندما حاول جمال أن يتقرب منهم على حساب أميركا وتمت أول صفقة سلاح بطريقة غير مباشر عن طريق تشيكو سلوفاكيا وكان السوفيت يدركون أن مصر قد تفتح لهم أبواب العالم العربي كلها.. التي أغلقها الأميركان في وجوههم.. نعم الامكانات العسكرية في أميركا أكبر بحجم مشاهدتي.. وهي في بعثاتها تهتم بجوانب فنية لأفراد.. لكن السوفيت يركزون على القيادات كما قلت وهذا ما يذكرنا بالفارق بين الاستعمار الانكليزي الذي كان يهتم بالموارد بينما الفرنسي يركز على الجوانب النقابية وقد تأثرت القيادات العسكرية المصرية بالفكر السوفييتي.. لكن المهارة المصرية كانت حاضرة ونادرة على الاستيعاب بل وتطوير ما تعرفه بأسلوبها الخاص.. لكن البصمة السوفييتية كانت حاضرة وموجودة بعد ١٩٥٦.

إلى الكونغو

مرة أخرى يأتي اسم الشاذلي متصدرا لأول قوة عسكرية مصرية تشارك في مهمة

تابعة للأمم المتحدة ومعنى ذلك أن نفوذ مصر وعبدالناصر بدلا من أن يتقلص سياسيا بعد معركة ٥٦ ازداد وتوسع وهذا هو الدليل حيث تحول إلى زعيم مصري وعربي وافريقي بعد أن مد يده إلى تحركات التحرر في كل مكان. ورغم أن الكونغو تبعد عن مصر خمسة آلاف كيلو.. لكن يد التعاون كانت ممدودة وهناك تظللها الأمم المتحدة.. والمدهش كما قال الشاذلي أن القوات المصرية سافرت إلى الكونغو بطائرات أميركية وهذا هو التناقض السياسي الذي يتعامل مع هذه الأمور بكل بساطة.. وكان الهدف دعم (لومومبا).. رغم توتر العلاقات المصرية الأميركية ونستطيع أن نفسر ذلك أيضا بان أميركا تعودت أن تتخلى عن حليفها اذا أدركت انه تحول إلى ورقة محترقة لا لزوم لها.. وقد تكرر ذلك في مصر مع الرئيس السابق مبارك أثناء ثورة ٢٥ يناير حيث كانت تخرج البيانات والتصريحات من البيت الأبيض تطالبه بالرحيل.. ناو أي الآن وتدعم الثورة عليه وهو المحسوب كأحد رجالها.. بل أن إسرائيل وصفته بالكنز الاستراتيجي بالنسبة لها.. ولابد أن يكون كذلك بالنسبة لأميركا بالتبعية. كانت الكونغو مستعمرة بلجيكية وقرروا الانسحاب وكان ضروريا أن تتواجد قوات تثبت لومومبا وتعوض الفراغ الذي أحدثه الانسحاب البلجيكي وتلك هي مهمة القوة المصرية في إطار الأمم المتحدة مع قوات أخرى ولان العملية تتم تحت علم الأمم الأميركية لا بأس أن تأتي طائرات لكي تأخذ الجيش المصري إلى «ليوفووليت».. ولا نستطيع أن نفصل واقعيا بين دعم لومومبا.. وحفظ السلام في تلك المنطقة.. وأنا كقائد كتيبة مصري أعرف جيدا أن مهمتي مساعدة الدول الإفريقية لكي تنهض.. وبالنسبة للرائد سعد الشاذلي الذي جاء من تلك الأرض البعيدة يمثل بلدا بأكمله جيشه وشعبه بل ورئيسه.. وهو بطبعه يحب أن يتصرف بحرية ويكون سيد قراره.. لان عمل الضابط تحت من هو اكبر منه وله حق إصدار القرار النهائي.. يجعله مكبلا.. وليس معنى ذلك أن الرئيس أو القائد عليه أن يتصرف من تلقاء نفسه.. بل هي المشورة والتخطيط ويبدو أن جمال عبدالناصر

هو الذي رشحه لهذه المهمة دون غيره فهي تحتاج كتيبة بمواصفات خاصة وليس هناك من هو أفضل من المظلات بل زاد على ذلك أن أمر بصرف ٥٠ ألف دولار تكون تحت تصرف قائد الكتيبة في تلك البلاد البعيدة وهكذا اكتملت عند الشاذلي عناصر القيادة ماديا ومعنويا مع أن الأمم المتحدة هي التي تقوم على رعاية الكتيبة تمدها بالطعام ومصروف الجيب لكن هذا المبلغ لأي ظرف طارئ وكانت المفاجأة السارة هناك في ليوبوفيل استقبال رجل الشارع الكونغولي للجيش المصري وهو يحمل إعلام مصر مرحبا في إشارة إلى قوة مصر ورئيسها في إفريقيا وكان الشاذلي يحمل معه مجموعة مطبوعات عن مصر بالعربية والفرنسية لتوزيعها على الناس هناك.. ومن أنكر على عبدالناصر اهتمامه الإفريقي واتهامه بإهدار المال والرغبة في زعامة واهية على من يسأل أو يفكر بهذا النحو.. أن ينظر ماذا حدث لنا في مصر عندما تركنا أفريقيا عندما أدار الرئيس السابق حسني مبارك ظهره لها.. واصطفاف دول حوض النيل ولأول مرة ضد مصر مطالبة بإعادة توزيع أنصبة المياه.. وكانت بتدبير سوداني كما قيل وعلى ذلك أسرعت الوفود الشعبية تشد الرحال إلى دول حوض النيل.. بعد ثورة يناير ٢٠١١ لاستعادة الأرض والاهتمام بمنطقة لا غنى عنها تركناها لإسرائيل تتصرف فيها كما تشاء.

خارج السياق :

الفريق محمد أحمد صادق

تخرج الفريق أول محمد صادق من الكلية الحربية عام ١٩٣٩ عمل ضابطا في الحرس الملكي.

واستبقي في صفوف القوات المسلحة بعد تطهيرها عام ١٩٥٢ خدم في الفرقة الثانية بسيناء في حرب ٥٦، وككبير لمعلمي الكلية الحربية أوائل الستينيات، ثم ملحقا عسكريا بألمانيا الغربية حيث يحسب له انه من كشف الستار عن صفقة الأسلحة الألمانية لإسرائيل مطلع عام ٦٥ صيف ٦٦ كافأه المشير عامر باستنسابه مديرا للمخابرات العسكرية ليستأمنه على أمن القوات المسلحة اثر اكتشاف اختراق الإخوان المسلمين المحدود لها ضمن مؤامرة ٦٥.

والبادي أن أداءه في منصبه، كما امتحن في أزمة ٦٧، قصُر عن المطلوب لاسيما لجهة الانذار عن نوايا العدو وتوفير دقيق المعلومات عن امكاناته. لكنه استبقي في تطهير ٦٧ في ذات المنصب أمضى صادق في المخابرات سنوات ثلاث ونيف إلى أن وقعت حادثة الزعفرانة يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩.

يومها كان عبدالناصر مصحوبا بالفريق أول محمد فوزي وزير الحربية واللواء أحمد إسماعيل على رئيس أركان الحرب (من خلف الفريق رياض اثر استشهاده في مارس ٦٩ صاعدا من رئاسة هيئة العمليات) يحضرون مناورة حية لفرقة مدرعة حين وصلت أخبار نزول إسرائيلي برمائي على شاطئ خليج السويس في منطقة الزعفرانة.

أعلنت إسرائيل بفرقعة إعلامية مدوية أن قواتها الآن على أرض افريقيا، وأنها لم تواجه البتّة أية مقاومة مصرية. أمر عبدالناصر من فوره رئيس الأركان بالتوجه لموقع الحدث وادارة المواجهة من هناك على الطبيعة، لكن أحمد إسماعيل فضّل العودة للقاهرة مخالفا أوامر قائده ومقنعا نفسه بان أداء أفضل ينتظره من غرفة



العمليات عنه من الزعفرانة. استشاط عبدالناصر غضبا من فعلة رئيس الأركان فأمر بعزله في التو واللحظة ومعه قائد البحرية اللواء فؤاد ذكري، والذي فشل في تحريك قطعة بحرية واحدة تعترض الإنزال.

وفي مذكراته يقول الشاذلي:

في عام ١٩٦٣ تم تعيين صادق ملحقا حربيا في ألمانيا وكانت له على حد قوله عدة مهام خاصة منها ما يذكره بفخر من انه كان الابن الشرعي لعملية القاء القبض على قائد نازي كبير حيث أودعته السلطات الألمانية السجن رهن المحاكمة، ومن خلال المحنة التي كان يعيشها، قرر أن يرسل صديقته لي، لتعقد معي صفقة، ففي مقابل تهريبه من السجن، سأحصل على حقائب من الوثائق عن اليهود والصهيونية وإسرائيل. ودرست الأمر من كل أبعاده، بعد أن تيقنت من صدق الرجل وان الأمر ليس كمينا للملحق الحربي المصري. ورأيت أن الصفقة متكافئة، قررت تعيين صديقة القائد سكرتيره بمكتب الملحق الحربي المصري، لسهولة الاتصال ونقل المعلومات والتعليمات. ووضعت خطة لتهريب القائد وحارسه معا، بعد أن وافق الحارس على الهرب وتهريب القائد، وفي مزرعة استأجرتها من أجل خطة التهريب كانت تنتظرهما طائرة صغيرة بروبيلر، لتنقلهما إلى مزرعة خيول بالقرب من الحدود السويسرية. وفي المزرعة كان في انتظار الجميع جوازات سفر جديدة وبطاقات سفر إلى القاهرة، وهناك كانت في انتظارهما مجموعة خاصة من المخابرات العامة.

وبعد سفرهما نظمت سفر أطفالهما والمربية الخاصة، ليقيم الجميع معا بالقاهرة. وسلم الرجل الوثائق للقاهرة، وكانت قيمتها عالية. وللقصة في مصر بقية - فالقائد الألماني بعد أن استقرت أوضاعه بالقاهرة، اكتشف الجميع انه زير نساء، وانه كان على علاقة بكل من صديقته والمربية، واكتشفت صديقته ما يجري فما كان منها الا أن أخبرت صحافيا ألمانيا، يقيم بالقاهرة ويعمل بها، عن وجود

القائد النازي الهارب بالقاهرة. وخططت مع الصحافي لتصويره بما يؤكد صدق قصته الصحافية، وفعلا تمكن الصحافي من التقاط صورة له بفندق مينا هاوس.

وذاع الخبر وفوجئت سلطات الأمن الألمانية بوجود القائد الهارب في القاهرة، وكانت الشكوك قد اتجهت إلى الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية. وحضر إلى القاهرة أكثر من ٧٠ صحافيا ومصورا ألمانيا وبصحبتهم عدد من المسؤولين بالمخابرات الألمانية، وروت لهم السكرتيرة كل ما عرفته، وكان ما تعرفه قليلا جدا، ولكن أهم ما اكتشفته السلطات الألمانية أنني طرف في هذه القضية. وفي مقابل اعترافها، حصلت من السلطات الألمانية على قرار يعفيها من كل المسؤولية، كما سبق أن تعهدوا لها. وبعدها سعى الصحافيون ورائي دون جدوى. وانتهت القصة بان وافق القائد الألماني على تسليم نفسه لألمانيا الغربية لاستكمال فترة سجنه، ولم تعترض القاهرة على قرار القائد الألماني.

لم الشمل

وفي موضوع آخر، حاول صادق، قبل سفره إلى ألمانيا، جمع المعلومات المتاحة وقراءة التقارير السياسية والأمنية الخاصة بالجالية المصرية، ومن بين ما سمع - وفقا لروايته اتهام الطلبة المصريين الموجودين بألمانيا، بالانتماء للإخوان المسلمين، أو على الأقل، العمل على نصرة قضية الإخوان، نتيجة نشاط سعيد رمضان ورجاله الموجودين بألمانيا،

بل رأيت أن هذا الاتهام قد تحول إلى اقتناع لدى المسؤولين. وأدى هذا الاقتناع إلى التوقف عن بحث واستقصاء الموقف، أو محاولة معرفة الأسباب التي أدت إلى ذلك، هذا فيما اذا كان هذا الاتهام يمثل الحقيقة. ورفضت هذا الاتهام وهذه الصورة. وبعد أن وصلت ألمانيا،

وحتى قبل أن أستقر، بدأت أتصل بهم وأدعوهم وأحاورهم وأناقشهم وأجيب

على أسئلتهم. كانوا في حاجة للرعاية، فالبعثة التعليمية والمكتب الثقافي والسفارة، ككل، تنأى عنهم ولا يقوم أي من هؤلاء المسؤولين بدوره تجاههم.

وكان الطلبة، من جانبهم، ساخطين متبرمين من هذا الموقف السلبي للمسؤولين المصريين.

بل كانت لديهم شكوك عميقة في أن معظم الموجودين تابعون لأجهزة الأمن ومن كتبة التقارير. وحاولت تصحيح هذه الأوضاع بقدر ما أستطيع، وتدخلت وضغطت واتصلت بالقاهرة من أجل هذا الهدف. وكانت الغالبية منهم قد ابتعدت كثيرا عن الوطن، وافتقدوا بذلك أسرهم التي غابوا عنها طويلا.

وكان معظمهم يرفض العودة للقاهرة خشية عدم الخروج منها مرة أخرى لأي سبب من الأسباب. ومن لم يسافر للقاهرة استفاد من درس البعض الذي سافر للزيارة ولم يتمكنوا من الخروج. وساهم البعد عن الوطن في الانقطاع عن الأخبار، وكان مصدر معلوماتهم أجهزة ووسائل الإعلام الأجنبية، بكل ما هو معروف عن موقفها السلبي من مصر ومن جمال عبدالناصر. ولم أخف عنهم الحقيقة، أجبت عن أسئلتهم، وأرضيت فضولهم وشوقهم للمعلومات وبحثهم عن حقيقة ما يجري في الوطن. وحاولت أن أزيل الشبهات التي رأوا أنها تحيط بمستقبلهم. وبالاتصال المباشر والحوار تولدت علاقة صداقة واحترام بيننا ولم أحاول، من قريب أو بعيد، أن أشير إلى الصورة المرسومة لهم أو الاتهامات الموجهة إليهم.

طلقة (٩)

(الشاذلي وصادق ولقاء خليجي)



سر استفزاز الطيران الفرنسي



في الكونغو وجد العقيد سعد الدين الشاذلي أن مهمته ليست عسكرية فقط كقائد لقوة تساهم باسم الأمم المتحدة في تأمين الرئيس لومومبا لكنه أيضا يلعب دورا سياسيا فهو يمثل الزعيم جمال عبدالناصر الذي أصبح عند الأفارقة في هذا الوقت رمزا للحرية والاستقلال وهنا لابد من وقفة ليست بعيدة عن موضوعنا وقد جاءت هذه القصة في كتاب «مبارك وزمانه.. من المنصة إلى الميدان» للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل حيث ذكر أن الملك حسين عندما كان مبارك نائبا لرئيس الجمهورية وكان قد ترك الخدمة العسكرية قائدا للطيران أبدى دهشته من الطاعة العمياء التي ينفذ بها أوامر الرئيس السادات في كل صغيرة وكبيرة فهو يحتضن حقيبة الأوراق التي يحملها ويكتفي بالتوصيل فقط واذا ما طلب منه شيء من الشرح والإيضاح قرر العودة إلى السادات لكي يسأله وقد تعود على ذلك في الجيش أن ينفذ الأوامر حرفيا ولا عيب في ذلك لكن لابد للقائد من مساحة للابتكار والإعلان عن رأيه واجتهاده.. فهو ليس مجرد حامل أختام.. ويؤكد هيكل أن هذا هو سر ترقية مبارك بهذه السرعة دون باقي أبناء جيله فهو لا يناقش أو يجادل وهو ما يجعل رئيسه في كل موقع يعتمد عليه.

لكن مهمة الشاذلي وفرت له مبكرا أن يمزج بين العسكرية والسياسة وهو ما حقق له أراءه المستقلة والقاطعة بعد اتفاقية كامب ديفيد وكانت سببا في ابعاده عن مصر كما ستعرف تفصيلا فيما هو قادم.

الوضع في الكونغو كان ساخنا فقد أسس لومومبا حركة وطنية هدفها طرد المستعمر البلجيكي الذي كبل البلاد ٨٠ عاما ولان مصر في هذا الوقت منارة ولها كلمتها المسموعة في افريقيا ولم تتأخر مصر ناصر عن تلبية النداء فورا لكن الاستعمار البلجيكي حرض بعض الأقاليم على التمرد والوقوف في وجه لومومبا الذي طالب بالحماية الدولية وعرفت كتيبة الشاذلي بالكتيبة العربية. وطارت الكتيبة إلى كينشاسا العاصمة واستقر بها المقام بالقرب من اقليم الليجنجي الذي

كان تابعا للسيطرة الفرنسية وهو ما جعل تلك الكتيبة في مواجهة ملتهبة فقد كانت أجواء العدوان الثلاثي على مصر مازالت حاضرة في الأذهان وفرنسا كانت ضلعا في مثلث العدوان وحاول الفرنسيون استفزاز المصريين بالطيران المنخفض فوق معسكرهم وكان الشاذلي ينظر إلى ذلك ضاحكا: يبدو أن مصر بمساندتها للجزائر أيضا أثارت فرنسا أكثر مما كانت مثارة من الخسارة السياسية لمعركتها العسكرية في عام ٥٦.

وبالطبع بدأ جنود الكتيبة العربية ينظرون إلى استعراضات الطيران الفرنسي باستخفاف ووجد الشاذلي أن تقاربه مع الشعب الكونغولي الذي كان يستقبل الجنود بإعلام مصر نجاحًا وبدأ في توزيع المصاحف والكتيبات السياحية على الجماهير وكان من نتيجة ذلك دخول بعضهم إلى الإسلام.

وهنا لا يترك الشاذلي موقفا الا وخرج منه بدرس جديد فهو يتحرك في دولة افريقية ويواجه المستعمر الفرنسي والبلجيكي وجها لوجه.. ومع ذلك كانت كلمته هي الأعلى وفي الوقت نفسه كان يسعى جاهدا لمعرفة كل جديد لدى ضباط وجنود هذه الجيوش... اكتسب خبرات من الاتحاد السوفييتي ومن أميركا وها هي أمامه من فرنسا وبلجيكا. لكن الاستعمار مهما حاول أن يتحمل فهو بغيض ويمتص خيرات البلاد والعباد التي ينقض عليها وسرعان ما تغير الحال عندما نجحت المخابرات البلجيكية بالتعاون مع بعض العملاء في اغتيال لومومبا وأحد مرافقيه واذابتهما في حامض ووصل موبوتو إلى الحكم الذي اتخذ موقفا مختلفًا تجاه مصر وعبدالناصر!!

التحولات

كان موقع العسكر المصري يبعد عن العاصمة بألف كيلو متر على الحدود مع افريقيا الاستوائية وقد كانت مستعمرة فرنسية ويفصل النهر بين الدولتين وكانت



موسيقى المعسكر الفرنسي.. تصل إلى الجانب المصري على الضفة الأخرى من النهر.. وبعدما جرى للرئيس لومومبا عقد الشاذلي اجتماعا مع الكتيبة العربية التي كانت تضم ثلث رجالها من السوريين والباقي من المصريين وكان ذلك أيام الوحدة بين مصر وسورية وهذه اضافة كان الشاذلي شديد الاعتزاز بها. وبالطبع جرت اتصالات مع القيادة في مصر وتركت له حرية التصرف بما يقتضي عليه الظرف خاصة أن بعض الكونغوليين قد وصفوا المصريين بالمستعمرين..

وبدأ الشاذلي في تسريب بعض جنوده إلى المواقع الرئيسة في المطار وعلم الجنرال (رانهوا) قائد قوات الأمم المتحدة بالامر فاستدعاه وطلب منه سحب الجنود المصريين من المطار ورفض الأمر وكانت وجهة نظره الاعلان السياسي عن التواجد المصري في الكونغو وهو نفس أسلوب تفكير عبدالناصر.. وبعدها بأيام طلب سفير مصر في الكونغو السيد مراد غالب وأخبره أن مندوب أمين الأمم المتحدة همرشلد يريد مقابلة الشاذلي الذي قال أن اللقاء كان مملا وسخيفا وظل مراد غالب يناور ولم يتحدث في موضوع الجنود الذين احتلوا مساحة من المطار واندهش الشاذلي من ذلك.. لكنه تعلم درسا دبلوماسيا أن هذه المناورة معناها أن حل المشكلة لن يتم الا من خلال عبدالناصر والأمين العام للأمم المتحدة.

ونجح الشاذلي في تهريب أبناء لومومبا إلى القاهرة وعاشوا فيها واستقروا بها لان أمهم مصرية، ثم جاءت الأوامر بسحب الكتيبة العربية.

وتكشف الأيام أن أميركا لم تكن غائبة عما يحدث في الكونغو وكانت تتربص بالحضور المصري العربي الافريقي وتريد أن تحاصره بكل السبل.. ومن العجيب أو الطريف أن قوات الأمم المتحدة كانت تضم كتيبة مسلمة من اندونيسيا.. لكن القوات المصرية لها سحرها وكلمة السر هي عبدالناصر ومن هنا تحولت الكتيبة إلى داعية شعبية بين أهل الكونغو.

وجاء إسماعيل

وشهدت الكونغو شرارة الخلاف بين الشاذلي والمشير أحمد إسماعيل وكان وقتها يحمل رتبة عميد وقد جاء إلى هناك على رأس بعثة عسكرية لدراسة الأوضاع للنهوض بالجيش الكونغولي.. وعندما وصلت كان موبوتو قد تربع على رأس السلطة وبالتالي فان البعثة وجدت نفسها بلا عمل منذ اليوم الأول وبدلا من عودتها، لان المناخ لم يعد ملائما، بدأ إسماعيل يخلق لنفسه المبررات لكي يستمر حتى طالت مدته إلى شهرين.. وخلال ذلك حاول أن يفرض سلطانه على الكتيبة لان قائدها هو عقيد أي أن رتبته اقل منه درجة.. وبدأ في إصدار الأوامر والتوجيهات وهو ما رفضه الشاذلي تماما.. وهو أيضا ما لم يقنع احمد إسماعيل ووقع الصدام الذي بدأ بالكلام الخشن حتى شارف على الاشتباك بالأيدي.. وعلمت القاهرة بذلك وتم استدعاء إسماعيل لكن الصدام ترك آثاره في النفوس رغم مقابلات بحكم العمل تتم هنا وهناك لكنها غالبا جفوة أو يتحاشي كلاهما الآخر بقدر ما يستطيع.. واستمر الأمر على هذا النحو لسنوات حتى جاء أحمد إسماعيل رئيسا لأركان حرب الجيش بعد ٩ سنوات وكان وقتها يحمل رتبة اللواء.. وكانت دواعي العمل تقتضي الحوار بين المتخاصمين والحياة العسكرية لها أصولها وضوابطها وبحكم الموقع أصبحت سلطة إسماعيل تشمل القوات المسلحة كلها.. وفكر الشاذلي في الاستقالة وكان وقتها مسؤولا عن قوات المظلات والصاعقة في انشاص حيث توجه إلى مكتب وزير الحربية وكتب استقالته بالفعل وذكر فيها الأسباب التي دفعته إلى ذلك واتجه مباشرة إلى منزله.. وخلال ثلاثة أيام جرت محاولات عديدة لاقناعه بسحب الاستقالة التي رآها وزير الحربية لا تستحق حتى فوجئ الشاذلي بأشرف مروان زوج ابنة الرئيس عبدالناصر وقد جاء يحمل رسالة شفوية إلى الشاذلي:

الرئيس يبلغك أن استقالتك هذه موجهه اليه هو شخصيا حيث انه هو الذي قام



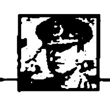
بتعيين اللواء احمد إسماعيل كما أن ظروف البلاد (عام ١٩٦٩) لا تسمح بمثل هذه الإشكاليات!! وقد أشار أنور السادات في سلسلة أحاديث إلى الكاتب الكبير أنيس منصور نشرها بعنوان من أوراق السادات وقال انه خلاف عادي قد يحدث بين الضباط. ومن هذا المنظور ستجد أن الشاذلي بالغ في افتعال الخلاف والأقدمية في الجيش لها حقوقها.. لكن بمعرفة الرواية كاملة كما جاءت على لسان الشاذلي نفسه تؤكد لك أن إسماعيل حاول أن يفرض إرادته في غير محلها وإسماعيل كان مكلفا بمهمة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بمهمة الشاذلي. ويبدو أن القيادة العسكرية أرادت أن تحل الأشكال بطريقة تحافظ على الطرفين فقررت تعيين الشاذلي ملحقا حربيا وهو منصب يعني انه ممثل للعسكرية المصرية كلها في هذا المكان الهام.. وكان ذلك بمثابة رسالة شكر وتقدير للدور الجيد الذي لعبه الشاذلي في الكونغو وهو الرجل الذي كتب في تقريره النهائي أن ملاحظاته على القوات المتواجدة من تونس والمغرب واندونيسيا والسودان لا يرقى إلى مستوى تسليح الجيش المصري.. وهو ما أعطاه الثقة في قوة النيران التي يتسلح بها في مواجهة الجيش الفرنسي الذي حاول ارهاب الكتيبة المصرية بالتحليق المنخفض فوقها وتأهب الشاذلي لمواجهته بما يملك من مواقع مضاد للطائرات وضعها في مستعمرة قريبة وبما يمكنه من اصطياد تلك الطائرات التي لم تكررها مرة أخرى.

أبو المسؤولية

يبدو أن الوقفات ضرورية واجبارية ولازمة في قصة الشاذلي لانها تكشف لنا الكثير من الجوانب الاستثنائية في حياة هذا الرجل.. فعندما تم اكتشاف أمر الـ ٢٠٠ جندي الذين دفعهم إلى مطار العاصمة ليوبونفيل (كينشاسا فيما بعد) واكتشاف الأمر حاول قائد قوات الأمم المتحدة في مقابلة معه أن يهدده بمحاكمة عسكرية لكنه لم يهتم بذلك وأصر على موقفه الذي يعني أن مصر لها قوتها في الكونغو حتى بعد وصول موبوتو إلى الحكم وهو المعادي لنا.. ورفض الشاذلي أن

يضع سفير مصر مراد غالي في الصورة حتى يتحمل هو كامل المسؤولية وحده عن تصرفه الذي بناه على معرفته ودرايته بفكر عبدالناصر وسياسة مصر رغم كونه رجل جيش.. وقد استوعبت درسا دبلوماسيا من مراد عندما قابلا مندوب الأمين العام للأمم المتحدة وتكلما في كل شيء.. الا أزمة المطار.

والسؤال هنا هل تحركات عبدالناصر هذه في الكونغو ثم في اليمن ساهمت في نكسة ٦٧ وأضعفت الجيش المصري؟! أم أن لها مكاسب في اتجاه آخر؟!



خارج السياق :

أحمد إسماعيل بعين أخرى

قصدت هنا ألا اكتفى بسرد حقائق ومعلومات مجردة عن المشير أحمد إسماعيل ورأيت من الأفضل أن أقدم له هذه الصورة التي تعطيه حقه كواحد من أبطال الجيش كتبتها هويدا يوسف في مجلة نصف الدنيا ونشرت بعد ٣٦ عاما من وفاته وقد جاء بها :

أول قائد مصري ١٠٠ في المئة ينتصر منذ الملك أحمس.. هكذا وصف الكاتب على أمين عام ١٩٧٤ المشير أحمد إسماعيل وزير الدفاع ونائب رئيس الوزراء في عموده الشهير فكرة.. ووصفه الرئيس السادات بصاحب الشخصية القوية التي ظهرت في وقت مبكر وهو تلميذ في الكلية الحربية، بينما توقع زملاؤه أن يكون قائدا ممتازا، تحلى بخفة الدم المصرية الأصيلة والحزم والذكاء الفطري الفذ، خاض ثلاث حروب تجرع فيها مرارة الهزيمة وعندما تولى مهمة القيادة لجيش العبور كان النصر في أكتوبر حليفا لمصر بعد سنوات الهزيمة.. وللمرة الأولى ومنذ وفاته عام ٧٤ فتحت حجرة مكتبه بما تحويه من أسرار ولوحات ثمينة وذكريات أمام نصف الدنيا لتنفرد بهذا التحقيق وتلك الصور النادرة.

تتذكره شريكة عمره السيدة سماح الشلقاني وتقول كان زوجا حنونا فلم اسمع منه طوال الثلاثين عاما التي عشتها معه كلمة جرحت كرامتي بل كان زوجا وأباً في منتهى الحنان فرغم أننا تزوجنا في سن صغيرة وبطريقة تقليدية انما كان بيننا تفاهم كبير لدرجة أن ابننا عندما كبر سأل والده (ليه أنت وماما مش بتتخانقوا) فرد عليه وقال والدتك سيدة عظيمة وتستاهل أعظم وسام فقال له (ليه هيه حاربت معاك) فقال له (لولاها ما كنت تفرغت لمسؤوليتي ووصلت إلى ما أنا فيه)، فقد وضع مبادئ للبيت ولمعاملة بعضنا البعض وسرنا عليها فهو لم يكن يسير في أي شيء ارتجاليا فكان يخطط لكل شيء حتى اذا أراد شراء شيء معين فلابد أن

يخطط له ويفكر فيه، كان الذي لا يسمحه لي لا يسمح لنفسه به، فكان لنا نزهات في أوقات معينة مثل يوم الجمعة كنا نذهب إلى النادي، انما بعد حرب ٦٧ كان يعطي كل وقته للقوات المسلحة وأنا مع الأولاد ولم أتضايق من ذلك لانني كنت منذ صغري وأنا أعلم بأنني أتزوج ضابط جيش وأتفهم طبيعة عمله ورغم انشغاله كان يتابع البيت والأولاد عن طريقي فكان يجيء من الجبهة ٤ ايام في الشهر لكنه يتابع حياتنا في البيت ساعة بساعة فكان يحدثني في التليفون كل يوم ليلا ويعرف مني ما دار مع الأولاد خلال اليوم صحيح كنت أداري عنه بعض الهموم لانه لديه ما يكفيه في عمله.

كان يحب العلم ويقدر التعليم فهو كان يدرس ويقرأ كثيرا وكان يدخل جميع مسابقات القوات المسلحة ويفوز بالمركز الاول في أغلبها، فهو أب وزوج مثالي لذلك لم أخلع الملابس السوداء سواء داخل البيت أو خارجة منذ وفاته من ٣٦ عاما. وتروي السيدة سماح عن فترة ما قبل حرب اكتوبر وتقول عندما بدأ في رسم خطة حرب اكتوبر كان يرسمها في البيت على ترابيزة السفرة وفي أثناء عمله بها كان ممنوعا على أي أحد أن يدخل عليه وكان يغلق الباب وكان يزوره في هذه الأثناء الرئيس الراحل أنور السادات ليناقش معه الخطة ويحضر معه سبورة كبيرة للرسم فكان الجيران يقولون أن الرئيس أنور السادات يزورنا كل يوم ومعه هدايا كثيرة ولم يعرفوا أنها السبورة التي يرسم عليها خطة حرب أكتوبر، وعندما قرروا ميعاد الحرب لم يخبر أحد منا بالميعاد وتصرف يوم الحرب بطريقة عادية داخل البيت وعرفنا ببدء الحرب من الاذاعة مثل بقية الشعب. وكان لديه يقين انه لا يمكن أن نستريح مع إسرائيل طالما هناك مهانة في جبين الجيش المصري ولابد أن ندخل معركة وننتصر وبعد ذلك نسعى إلى السلام، فالهزيمة كانت تؤلمه جدا. وتتذكر السيدة سماح انه قبل وفاته بيوم قال لها سأقول شيئا لك للتاريخ أن حرب أكتوبر لم ننتصر فيها بالمصادفة أو الحظ انما هذه الحرب خطط لها جيدا ولم يترك شيئا



صغيرا لم يوضع في الاعتبار.

ويقول السفير د. محمد إسماعيل أكبر أبناء المشير أحمد إسماعيل كان والدي قدوة لنا منذ الصغر فكانت تصرفاته باستمرار عاقلة وسليمة ومتزنة وكان يحثنا على انه لابد أن يكون الشخص محترما صادقا مع نفسه ومع الناس وان عمل عملا لابد أن يجيده ويبتكر فيه، فمسيرته بالنسبة لي شخصيا رمز للاصرار فهو تقدم للكلية الحربية ورفض وتقدم مرة أخرى ورفض وأصر وتقدم للمرة الثالثة وعندما أصبح ضابطا أخذ دورات تدريبية فهو كان باستمرار مهتم بالعلم والتدرج في التعليم، وطريقة اعداده للأبحاث وأيضا للحرب كل هذا كان يمثل لنا قدوة يحتذي بها.

وأضاف د. محمد أنه كان مرفوض تماما أن نذكر أننا أبناء القائد من ولم يتجرأ أحد منا أن يذهب إلى مكان ويقول انه ابن الوزير أو المشير أحمد إسماعيل وحتى الآن إذا عرف أحد إنني ابن أحمد إسماعيل فبالتأكيد انه عرف من شخص آخر غيري رغم أننا فخورون بأننا أبناء هذا الرجل العظيم لكننا تربينا على هذا، فكان لديه مبدأ وهو لماذا تحصل على شيء لا تستحقه لأنك ابن فلان وأبناء الناس الآخرين لا يحصلون عليها لمجرد أن أباهم في غير مركز، وكان يرى أن رفع الظلم جائز لمن يستحق إنما إعطاء ما لا يستحق فهو شيء مرفوض، ذلك تعودنا أن ننجز ما نريد بأنفسنا ونقف في الطابور ونشعر بضيق شديد عندما أحد يخترق الطابور لان لديه واسطة.

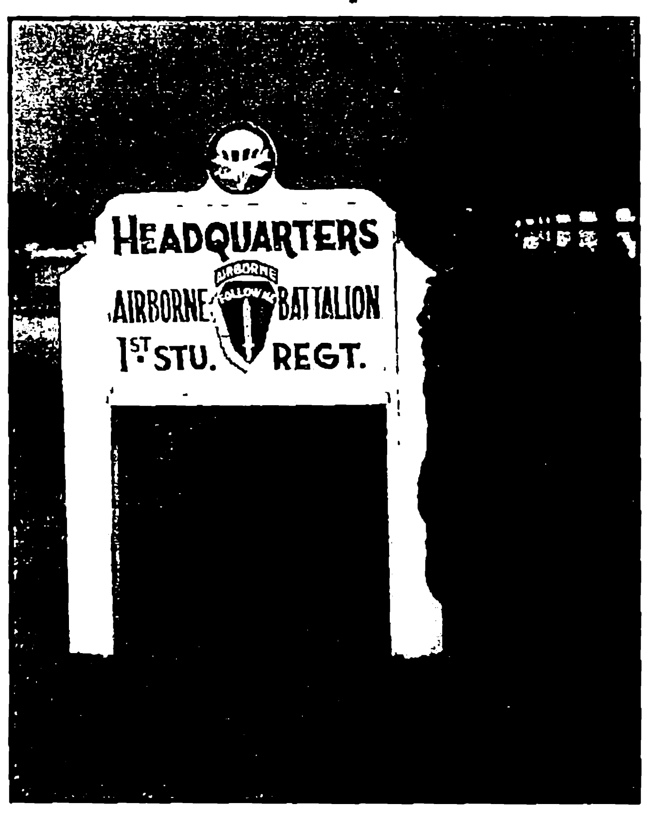
ويرى د. محمد أن والده حصل على التقدير الذي يرضي أسرته ويقول أن والدي حصل على تقدير كبير من الشعب فالناس تتعامل معنا بكل الحب والتقدير بمجرد معرفتهم أننا أبناؤه، فسائق تاكسي غلبان رفض أن يأخذ ثمن توصيل ابني عندما جاء لزيارة جدته وعلم السائق أن هذا البيت هو بيت المشير أحمد إسماعيل وهذا بعد مرور ٥٣ عاما من وفاته، وهناك مدارس وشوارع باسمه وايضا دفعات

بالقوات المسلحة باسمه، ويرجع الدكتور محمد عدم تسليط الأضواء على دوره في حرب أكتوبر لسبب تواضعه فهو عندما كتب خطابا بعد انتصارنا في حرب أكتوبر قال (ما أنا الا أحد من هؤلاء الناس وضعني الله في موقع المسؤولية فانتصرت بهم) فهو كان رمزا للتواضع وانكار الذات، فكل الذي كان يهمه أن تنجح العملية العسكرية وليس ابراز دوره.

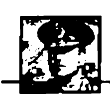
وتقول د. نرمين إسماعيل والدي كان قائدا عظيما بل وانسانا أعظم فقد كان يمتلك كل مفردات الرحمة والحب وفي الوقت نفسه الحزم والشدة والهدوء والثقة وفوق ذلك كان يتحلى بالايمان، والحقيقة أن جميع أبنائه تعلموا منه فنون القيادة التي تربينا عليها.

طلقة (١٠)

(في الكونغو)



لليمن ... حسابات أخرى



هذه شهاداتي لوجه الله والتاريخ أقولها بكل صدق: جيوش مصر التي ذهبت إلى الكونغو ومن بعدها إلى اليمن لم ترهق ميزانية الدولة أو تحملها فوق طاقتها، في الكونغو تولت الأمم المتحدة معظم نفقات الإقامة والإعاشة والانتقال وفي اليمن كانت ميزانية الإنفاق محدودة، لكن أبعد من الأمور المادية كانت السياسة المصرية لها كلمتها في الميدان العربي والافريقي ويكفي أن القوى العظمى كانت تعمل ألف حساب وبالأرقام تقول أن ديون مصر وقت وفاة عبدالناصر أقل من ٢ مليار دولار، وانظر إلى تكلفة بناء المصانع والسد العالي والمنشآت الأخرى سنجد أنها تفوق الـ ٢ مليار أي أنك تنفق على مشاريع، لكن الديون بعد ذلك تضاعفت عشرات المرات والمردود على المواطن والوطن لا شيء، وقد كنا خلال فترة ناصر دخلنا خمسة حروب، وبعد ٧٣ لم ندخل حربا واحدة ومع ذلك زادت الديون. هكذا يتحدث الشاذلي:

حربي وليس عسكري

ونعود إلى لندن عام ١٩٦١ التي ذهب اليها الفريق كملحق حربي وليس عسكرياً، والاختلاف بينهما أن الحربي يمثل جميع القوات الجوية والبحرية والبرية، لكن العسكري يمثل البرية فقط، وأتاح له ذلك حضور مناورات للجيش البريطاني واكتساب خبرات جديدة، ويقول : ركبت حاملة طائرات وعشت معهم لمدة أسبوع كمراقب لهذه التدريبات ونوعية السلاح وكيفية استخدامه، ولندن متميزة في هذا الجانب... يا سبحان الله مرة أخرى السياسة تلعب لعبتها، حيث لا عداء دائم ولا صداقة دائمة، فهذه انكلترا الدولة الاستعمارية أشهد مناوراتها العسكرية رسميا وتفتح لي أبواب جديدة للمعرفة الميدانية تزيد من خبراتي وعلى أرضها، والبعض ربما يفسر أبعاد رجل الجيش إلى سفارة من السفارات كملحق عسكري أو حربي كنوع من الإبعاد أو العقاب، لكن هناك تفسيرا آخر بأنه التقدير وهذا يتوقف على نظرة القيادة للضابط والمكان الذي سيعمل فيه ويسافر اليه.

وفي هذا العمل أن تتحرك كعسكري بغطاء دبلوماسي يسمح لك أن تلتقي بشخصيات عسكرية من جنسيات عديدة في الحفلات وهي شبه يومية، وهو يلتقط المعلومات التي قد تفيد بلده حتى انه يقال في بعض الأحيان انها مهمة تجسسية مشروعة، ولان الشاذلي يحسبها جيدا ويحاول استثمار كل فرصة لصالح مصر ولخبراته التي هي تعود في نهاية المطاف إلى بلده كان يضع لنفسه شعارا في هذا الوقت يقول: عدو إسرائيل هو صديقي. لذلك تحركت مع الأحزاب المعادية لإسرائيل والموالية إلى حد ما للعرب وهي غالبا اليسارية وبعضها كان في السلطة والبعض الآخر كان بعيدا عنها، وحدث أنني التقيت برئيس أحد الأحزاب المعادية لليهود وكانوا في بريطانيا يصفونه على انه نازي ويطالب بطرد اليهود من فلسطين وزارني في مكتبي واستقبلته، وبعد ذلك اقتحموا مكتبه ووجدوا بعض الأوراق تدل على علاقته معي، وتم تسريب الخبر إلى بعض الصحف البريطانية التي أرادت استثمار ذلك وخرجت تقول أن الملحق الحربي المصري على اتصال بالنازيين، وان مسؤولا أخذ دعما من السفارة المصرية، ومع ذلك لم يبلغ الأمر درجة التحقيق معي، لأنها اتهامات شفوية لا تستند إلى دليل، ولو ثبت أنها صحيحة لصدرت الأوامر فورا باعتباري شخصية غير مرغوب فيها ويجب ترك بريطانيا.. ومعنى ذلك أن النفوذ الصهيوني في بريطانيا كان قويا وان العداء لمصر كان واضحا رغم وجود علاقات دبلوماسية لأنهم مثلا فيما كتبوا أكدوا أنني زرت مسؤول الحزب هذا في مكتبه وهو أمر لم يحدث لكنه زارني في ظروف عادية جدا أخذت أكثر من حجمها، وقضيت في لندن حوالي ٣ سنوات عدت بعدها إلى مصر في عام ١٩٦٤، لكي تكون وجهتي التالية هي اليمن!.

نظرة تحليلية

كانت نظرة القيادة المصرية إلى النظام السياسي في اليمن الذي كان متخلفا بشكل بشع، ثم كان الأهم النظر إلى استقلال عدن بموقعها المهم سيؤثر على



الكثير من دول الخليج وبالتالي على الأمن المصري والعربي، والسياسة تلعب دائما على بُعد النظر، وكنا نمد الثوار بالسلاح والذخيرة وأنت هنا كدولة، تمسك بزمام الأمور، وقد تراجع الدور المصري غربيا وافريقيا بسبب نظرة مبارك المحدودة، والفارق كبير كما يقول الشاذلي بين أن تعطي السلاح عن بعد، وان تتواجد قواتك ستكون العملية سهلة وأيسر ومأمونة، وقد كان للتواجد المصري آثاره الايجابية على استقلال الإمارات والبحرين وقطر والكويت أو بمعنى آخر عجل بالاستقلال، ويؤكد الشاذلي أن مخزون الذهب المصري لم ينفذ بسبب اليمن، وقد سمع من عبدالناصر نفسه أن الدولة رصدت مصاريف النقل البحري من السويس إلى اليمن إلى جانب المرتبات، وكان الضابط يأكل مثل الجندي ويحصل على ٤٠ ريالا مكافأة، بخلاف راتبه في مصر وهي أرقام عادية، ثم أن الحرب في اليمن لم تكن تقليدية فهي أقرب إلى حرب العصابات، حيث كان اليمني يدفن اللغم في الطريق ثم ينسى مكانه، وقد ينفجر فيه هو دون أن ينتبه، وبذلك لم يكن جيشا بالمعنى المفهوم، وأحيانا كانت هذه العصابات تطلع على سيارات التموين التي تأتي من صنعاء أو من مصر ويتم توزيعها على الوحدات، وبالتالي تحاول أن تستولي عليها، وأنت لم تكن ترى عدوك أمامك فهذه العصابات تطلع عليك بطريقة خاطفة من هنا أو هناك، وبصراحة نظام الحرب هذا وضع الجيش في أخطاء عسكرية عديدة، أنت تحارب بأسلوب نظامي عدو غير نظامي كما أن جنودنا كانوا ينظرون باستهتار إلى العصابات وتكون النتيجة عكسية، لان الجبال والطبيعة هم أدري بها وأعلم، ومع ذلك كانت خسائرنا طوال سنوات وجودنا في اليمن لا تزيد على ألف شهيد، وهو رقم متواضع ولذلك تحولت حرب اليمن إلى خرافة ومجموعة أكاذيب ومبالغات والواجب في مثل هذه الأمور الرجوع إلى الأرقام والحقائق ويعترف الشاذلي صراحة أن أسوأ ما في حرب اليمن أنها وضعت الجيشين المصري والسعودي وجها لوجه، خاصة في منطقة الجوف التي كانت تساعد الملكية اليمنية لان الأمر في غاية الصعوبة أن يتواجه العربي مع أخيه

العربي بالسلاح تحت أي ظرف.

ومع ذلك في الحصاد النهائي وكما قال الشاذلي تكون مكاسب حرب اليمن من الناحية السياسية أكبر من خسائرها المادية والبشرية التي تبدو بسيطة للغاية وأجمل ما يمكن ذكره في هذا الجانب أن هذه المكاسب عادت على مصر ودول الخليج، كذلك لولا استقلالها الذي تم بالتواجد المصري ما أمكنها أن تنعم بثرواتها إلى هذا الحد وتساهم من خلاله في الحرب مع مصر، أيضا لولا استقلال اليمن الذي دفعت فيه مصر الثمن استطعنا في عام ٧٣ نغلق باب المندب بعد استقلال اليمن وعدن، وعلينا أن نعرف بان المكاسب قد لا تتحقق في وقتها، لكنها قد تأتي بعد سنوات كما ترى.

من اليمن إلى سيناء

السؤال الذي يربط بين تواجد مصر في اليمن، وخسارتنا في حرب ٦٧ طرحه الزميل أحمد منصور على الفريق الشاذلي في برنامج شاهد على العصر الذي قال: أحيانا نحاول أن نجد لأنفسنا المبررات لأخطاء نرفض الاعتراف بها، نعم كانت لمصر قوة كبيرة في اليمن وهي مسألة لا تسمح لك بالدخول في حرب أخرى على أرض سيناء وكان الواجب أن تنهي المشكلة اليمنية قبل أن تولي وجهك شطر سيناء ودخول الحرب مع إسرائيل التي بالغت في الاستفزاز، ومع ذلك لا يمكن بحال أن نجزم بان حرب اليمن كانت سببا في خسارة أو نكسة ١٩٦٧، والحقيقة أن هناك أخطاء قيادية سياسية وعسكرية من الواجب الاعتراف بها لأنها واضحة.

· وهنا يعلن الكاتب مصطفى عبيد عن رأيه صراحة في كتابه الشاذلي.. «العسكري الأبيض» وفي الفصل الذي جاء بعنوان ورطة اليمن استهله بعبارة لنابليون بونابرت قال فيها: جيش من الوعول يقوده أسد، خير من جيش من الأسود يقوده وعل، وهو بهذا يمهد لقناعته بان الكونغو كانت مناورة، لكن اليمن



كانت مغامرة، في الكونغو كسبنا المعركة بدون دم وفي اليمن خسرنا علاقتنا بنصف العالم العربي بعد أن سفحت دماء الآلاف من المصريين ذبحا في الصحراء.

ويعتبر مصطفى أن دفاع الشاذلي عن حرب اليمن ومكاسبها جاء من جانب عاطفي يدفعه اليه في المقام الأول حبه لجمال عبدالناصر لان حرب اليمن بشهادة المؤرخين العسكريين هي المطب الصناعي الذي حطم سيارة عبدالناصر المندفعة بسرعة في طريق النهضة، وهو يميل هنا إلى رأي الكاتب الكبير الراحل وجيه أبو ذكرى في كتابه مذبحة الأبرياء، لكننا هنا من الواجب أن نستمع إلى شهادة الفريق عبدالمحسن مرتجى الذي كان قائدا لقواتنا في اليمن بعد الفريق أنور القاضي، حيث قال: عندما كنت قائدا لقواتنا في اليمن جاء عبدالناصر وكان زميلي لمدة عامين في كلية أركان حرب وهو وحده الذي تحدث عن المعركة مع إسرائيل وكان ذلك في عام ١٩٦٤ فقال: كنت مخططا أن أصعد الأمور مع إسرائيل في عام ١٩٦٥ ولكن بعد تورطنا في اليمن لا أعتقد أنني أفكر في هذا الموضوع قبل عام ١٩٧٠، وسأفكر جيدا وأدرس الموقف دراسة عميقة قبل الدخول في صراع مسلح مع إسرائيل وحكاية الورطة هذه يقدمها سامي جوهر في كتابه الصامتون يتكلمون، وتبدأ عندما جاءت الأخبار تعلن عن انقلاب مسلح ضد حكم الأمير البدر بقيادة عبدالله السلال، وقرر عبدالناصر ارسال سرية عسكرية بحرا تضم مائة شخص لمساندة الثورة، وهناك اكتشفوا أن البدر مايزال حيا وان الكثير من القبائل تقاتل معه وان مصر تعرضت لخديعة، الا أن عبدالناصر لم يستطع التراجع حفاظا على كرامته واضطر أن يدفع بأعداد كبيرة من الجنود بلغت ٧٠ ألفا، لكن الكاتب محمد حسنين هيكل وهو المقرب من عبدالناصر له رأي آخر!

خارج السياق :

أسد الصاعقة

هذا واحد من أبرز تلاميذ الفريق الشاذلي في ميدان الصاعقة.. انه العميد ابراهيم الرفاعي عبدالوهاب لبيب (٢٧ يونيو ١٩٣١ ١٨ أكتوبر ١٩٧٣) قائد سلاح العمليات الخاصة في حرب أكتوبر ١٩٧٣. قائد المجموعة ٣٩ الشهيرة بأداء العمليات الانتحارية. أسطورة العمليات الخاصة. قام بتنفيذ ٧٢ عملية انتحارية خلف خطوط العدو من بين ٦٧، ١٩٧٣. قام بتدمير معبر الجيش الإسرائيلي على القناة الدفرسوار. حصل على ١٢ وساما تقديريا لشجعاته استشهد في حرب أكتوبر فكان استشهاده أروع خاتمة لبطل عظيم.

ولد ابراهيم الرفاعي في حي العباسية بالقاهرة لأسرة تنحدر من محافظة الدقهلية في ٢٧ يونيو ١٩٣١، وقد ورث عن جده (الأميرالاي) عبدالوهاب لبيب التقاليد العسكرية والرغبة في التضحية فداءاً للوطن، كما كان لنشأته وسط أسرة تتمسك بالقيم الدينية أكبر الأثر على ثقافته وأخلاقه.

التحق ابراهيم بالكلية الحربية عام ١٩٥١ وتخرج ١٩٥٤، وأنضم عقب تخرجه إلى سلاح المشاة وكان ضمن أول فرقة قوات الصاعقة المصرية في منطقة (أبو عجيلة) ولفت الأنظار بشدة خلال مراحل التدريب لشجاعته وجرأته منقطعة النظير.

تم تعيينه مدرسا بمدرسة الصاعقة وشارك في بناء أول قوة للصاعقة المصرية وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ شارك في الدفاع عن مدينة بورسعيد. يمكن القول أن معارك بورسعيد من أهم مراحل حياة البطل ابراهيم الرفاعي، اذ عرف مكانه تماما في القتال خلف خطوط العدو، وقد كان لدى البطل اقتناع تام بأنه لن يستطيع أن يتقدم ما لم يتعلم فواصل السير على طريق اكتساب



الخبرات وتنمية امكانياته فالتحق بفرقة بمدرسة المظلات ثم أنتقل لقيادة وحدات الصاعقة للعمل كرئيس عمليات. أتت حرب اليمن لتزيد خبرات ومهارات البطل أضعافا، ويتولى خلالها منصب قائد كتيبة صاعقة بفضل مجهوده والدور الكبير الذي قام به خلال المعارك، حتى أن التقارير التي أعقبت الحرب ذكرت انه ضابط مقاتل من الطراز الأول، جريء وشجاع ويعتمد عليه، يميل إلى التشبث برأيه، محارب ينتظره مستقبل باهر. خلال عام ١٩٦٥ صدر قرار بترقيته ترقية استثنائية تقديرا للأعمال البطولية التي قام بها في الميدان اليمني.

بعد معارك ١٩٦٧ وفي يوم ٥ أغسطس ١٩٦٨ بدأت قيادة القوات المسلحة في تشكيل مجموعة صغيرة من الفدائيين للقيام ببعض العمليات الخاصة في سيناء، باسم فرع العمليات الخاصة التابعة للمخابرات الحربية والاستطلاع كمحاولة من القيادة لاستعادة القوات المسلحة ثقتها بنفسها والقضاء على احساس العدو الإسرائيلي بالأمن، وبأمر من مدير ادارة المخابرات الحربية اللواء محمد أحمد صادق وقع الاختيار على ابراهيم الرفاعي لقيادة هذه المجموعة، فبدأ على الفور في اختيار العناصر الصالحة للتعاون معه.

كانت أول عمليات هذه المجموعة نسف قطار للعدو عن الشيخ زويد ثم نسف مخازن الذخيرة التي تركتها قواتنا عند انسحابها من معارك ١٩٦٧، وبعد هاتين العمليتين الناجحتين، وصل لإبراهيم خطاب شكر من وزير الحربية على المجهود الذي يبذله في قيادة المجموعة.

مع الوقت كبرت المجموعة التي يقودها البطل وصار الانضمام اليها شرفا يسعى اليه الكثيرون من أبناء القوات المسلحة، وزادت العمليات الناجحة ووطأت أقدام جنود المجموعة الباسلة مناطق كثيرة داخل سيناء، فصار اختيار اسم لهذه المجموعة أمر ضروري، وبالفعل أُطلق على المجموعة اسم المجموعة ٣٩ قتال، وذلك من يوم ٢٥ يوليو ١٩٦٩ وأختار الشهيد البطل ابراهيم الرفاعي

شعار رأس النمر كرمز للمجموعة، وهو الشعار نفسه الذي اتخذه الشهيد أحمد عبدالعزيز خلال معارك ١٩٤٨.

كانت نيران المجموعة أول نيران مصرية تطلق في سيناء بعد نكسة ١٩٦٧، وأصبحت عملياتها مصدرا للرعب والهول والدمار على العدو الإسرائيلي أفرادا ومعدات، ومع نهاية كل عملية كان ابراهيم يبدو سعيدا كالعصفور تواقا لعملية جديدة، يبث بها الرعب في نفوس العدو. تناقلت أخباره ومجموعته الرهيبة وحدات القوات المسلحة، لم يكن عبوره هو الخبر انما عودته دائما ما كانت المفاجأة، فبعد كل اغارة ناجحة لمجموعته تلتقط أجهزة التصنت المصرية صرخات العدو واستغاثات جنوده، وفي احدى المرات أثناء عودته من اغارة جديدة قدم له ضابط مخابرات هدية عبارة عن شريط تسجيل ممتلئ باستغاثات العدو وصرخات جنوده. وبسالة وشجاعة المجموعة ٣٩ قتال للأسف لم تجمع حتى اليوم نظرا لانتساب جميع أفرادها للمخابرات وطبقا لمبدأ حماية هوياتهم لم يتم نشر موسع لعملياتهم.. وقد يكون ما أعلمه عنهم ضحلا للغاية ولا يذكر، فهم الذين قاموا صباح استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض بعبور القناة واحتلال موقع المعدية رقم ٦ الذي أطلقت منه القذائف التي تسببت في استشهاد الفريق رياض وابادة ٤٤ عنصر إسرائيلي كانوا داخله بقيادة الشهيد ابراهيم الرفاعي الذي كانت أوامره هي القتال باستخدام السونكي فقط. وكانت النتيجة أن إسرائيل تقدمت باحتجاج لمجلس الأمن في ٩ مارس ١٠٦٩ أن قتلاها تم تمزيق جثثهم بوحشية.

كما أن المجموعة ٣٩ قتال هي صاحبة الفضل في أسر أول أسير إسرائيلي في عام ١٩٦٨ عندما قامت أثناء تنفيذ أحد عملياتها بأسر الملازم الإسرائيلي داني شمعون بطل الجيش الإسرائيلي في المصارعة والعودة به للقاهرة دون خدش واحد.

وكانوا أول من رفع العلم المصري في حرب الاستنزاف على القطاع المحتل،



حيث بقي العلم المصري مرفرفا ثلاثة أشهر فوق حطام موقع المعدية رقم ٦. وفي ٢٢ مارس ١٩٦٩ قام أحد أفراد المجموعة القناص مجند أحمد نوار برصد هليوكوبتر عسكرية تحاول الهبوط قرب الموقع وبحاسته المدربة ومن مسافة تجاوزت الكيلو متر ونصف اقتنص رأس أحدهم وكان القائد الإسرائيلي العام لقطاع سيناء. كانوا الفرقة الوحيدة التي سمح لها الرئيس جمال عبدالناصر بكسر اتفاقية روجرز لوقف إطلاق النار عندما تم تغيير اسم الفرقة من المجموعة ٣٩ قتال إلى منظمة سيناء العربية وسمح لهم بضم مدنيين وتدريبهم على العمليات الفدائية وتم تجريدهم من شاراتهم ورتبهم العسكرية ليمارسوا مهماتهم بحرية خلف خطوط العدو ويقال أن أفرادها هم من ألف نشيد الفدائيين المعروف... استردوا شاراتهم ورتبهم العسكرية واسمهم القديم (المجموعة ٣٩ قتال) صباح الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ عندما تم اسقاط خلف خطوط العدو لتنفيذ مهمات خاصة واستطلاعات استخبارية أرضية تمهيدا للتحرير وأطلق عليهم الجيش الإسرائيلي في تحقيقاته فيما بعد مجموعة الأشباح.

الفدائي

عندما حدث العدوان الثلاثي على عام ١٩٥٦ تطوع الضابط ابراهيم الرفاعي ليقود احدى مجموعات الفدائيين التي أرعبت القوات الغازية في مدينة بورسعيد التي ظل يقاتل بها حتى انسحاب قوات العدوان. وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ عبر إلى سيناء ليجمع الجنود والضباط العائدين ويعود بهم. شرع الرفاعي في تكوين مجموعته ويبدأ في مهاجمة العدو بسيناء.

وفي عام ١٩٦٨ عاد الرفاعي من احدى العمليات ومعه أول أسير إسرائيلي هو الملازم دان شمعون (كان عبدالناصر لا ينام قبل أن يعود الرفاعي من عمليات العبور ويتصل به شخصياً ليطمئن منه على نجاح العملية).

وبعد استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض في ١٩٦٩/٣/٩ أثناء تفقده لجبهة القتال طلب الرفاعي الإذن بمهاجمة الموقع الإسرائيلي الذي خرجت منه الطلقة

وعبر ورجاله وقتلوا كل من في الموقع .

في يوم ١٨ أكتوبر تم تكليف مجموعة البطل بمهمة اختراق مواقع العدو غرب القناة والوصول إلى منطقة (الدفرسوار) لتدمير المعبر الذي أقامه العدو لعبور قواته. فقد تقدم شارون ومعه ٢٠٠ دبابة من أحدث الدبابات الأميركية للاستيلاء على مدينة الإسماعيلية.

وعلى ضوء التطورات الجديدة بدأ الرفاعي في التحرك ونظم مجموعة من الكمائن على طول الطريق من جسر المحسمة إلى قرية نفيشة، وما أن وصلت مدرعات العدو حتى انهالت عليها قدائف الـ آر. بي. جي لتثنيه عن التقدم.

وأدرك شارون أن أحلامه تبخرت وانه فشل في أداء مهمته بعد أن رأى اشتعال دباباته وسمع صرخات جنود المظلات وهم يطلبون الرحمة. وادعى الاصابة ويربط رأسه ويطلب طائرة هليوكوبتر تنتشله من الجحيم الذي اشتعل حوله ويترك جنوده

وحدهم يواجهون الموت وشراسة أبناء الرفاعي ويفر الجنود اليهود مذعورين بعد معرفتهم بفرار قائدهم ما دفع بعض القادة اليهود للمطالبة بمحاكمة شارون لفراره من أرض المعركة بعد انكشاف كذبة اصابته ولفشله في تحقيق مهمته رغم كل القوة الرهيبة التي وفرتها له القيادة الإسرائيلية.

الإسماعيلية صامدة

وبينما يخوض رجال المجموعة قتالاً ضارياً مع مدرعات العدو، وبينما يتعالى صوت الأذان من مسجد قرية المحسمة القريب، تسقط احدى دانات مدفعية العدو بالقرب من موقع البطل، لتصيبه احدى شظاياها المتناثرة، ويسقط الرجل الأسطوري جريحاً، فيسرع اليه رجاله في محاولة لانقاذه، ولكنه يطلب منهم الاستمرار في معركتهم ومعركة الوطن.

طلقة (١١)

(تعظيم سلام)



أطول ليلة في تاريخ الشاذلي

يقول محمد حسنين هيكل: بالنسبة للجيش المصري فان حرب اليمن كانت تجربة قاسية لم تقتصر قسوتها على مجرد توزيع قواته على مسرحين يفصل بينهما أكثر من ألفي كيلومتر وانما الأقسى من توزيع القوات أن المسرح الساخن في البداية وهو اليمن قد أعطى القوات المسلحة دروسا خاصة تضر أكثر مما تفيد!.

وعند الفصل الخامس من كتاب البحث عن الذات لأنور السادات يكشف وجهة نظر أخرى عن حرب اليمن تكتمل بها الصورة من جوانبها العديدة، ويعترف قائلا: عبد الحكيم عامر كعادته أساء التصرف فبدلا من أن يجعل من حرب اليمن ميدانا لتدريب قواتنا على حرب العصابات وعلى تكتيكات جديدة انقلبت الحرب إلى تجارة ومنفعة وأصبحت مسرحا جديدا يثبت عليه عامر أقدامه وينشر نفوذه بحيث لا يستطيع أحد أن يزحزحه عن مكانه كمركز القوة الأول في مصر، هذا إلى جانب تورطه في المعونة العسكرية من لواء إلى لواءين إلى أن أصبح لنا في يوم من الأيام ٧٠ ألف جندي هناك لم يتم سحبهم الا بعد هزيمة ١٩٦٧ عندما اتفق الملك فيصل مع عبدالناصر على ذلك في مؤتمر الخرطوم فشلت حرب اليمن عسكريا فقد كنا نحارب بجيش نظامي عدوا متمرسا في حرب العصابات، ولكن رغم كل شيء لا أستطيع القول بان تضحياتنا ذهبت هباء فاليمن قد تخلص من حكم الامام الذي كان أسوأ من أي حكم في العصور الوسطى ثم أن عدن نالت استقلالها كنتيجة طبيعية لمعركتنا في اليمن، صحيح أن الحرب قد استنفدت جزءا كبيرا من رصيدنا من العملات الصعبة وأنها أعاقت فرقتين من أكفأ الفرق العسكرية عندنا عن الاشتراك في حرب ٦٧، ولكن هذا كله لا ينفي أن التدخل في ثورة اليمن كان ضربة سياسية لابد منها....

الطريق إلى النكسة

عندما عاد الشاذلي من اليمن التحق بهيئة التدريب، ولم يكن هناك في الأفق ما يلوح أو ينذر بحرب مقبلة مع إسرائيل كما يقول حتى إلى ما بعد شهر ابريل عام ١٩٦٧،

وقتها كان عبدالحكيم عامر هو نائب القائد الأعلى، والقائد العام، ولهذا عين شمس بدران وزيراً للحربية وجاءت الأخبار عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية وسافر الفريق محمد فوزي وكان وقتها رئيس أركان الحرب إلى هناك لكي يشهد الموقف على الطبيعة، وكان الشاذلي في هذا الوقت قد رفع إلى رتبة اللواء ولكنه من غير أفراد المطبخ العسكري كما قال وعندما وصلته التعليمات وكان مطلوباً أن ينفذها في وقت قياسي أبدى استغرابه لذلك، خاصة أن قوات كبيرة كانت لاتزال في اليمن واستراتيجياً ليس من الواجب فتح جبهتين في وقت واحد ومع ذلك كان القرار من القيادة العليا وعلينا الامتثال، وكانت الخطورة أن أغلب قادة الجيش في هذا الوقت لديهم شحنات بالغة من كراهية إسرائيل، من حارب عام ١٩٤٨، أو شارك في العدوان الثلاثي لكن هذا الشحن ذهب في اتجاه اليمن وليس إسرائيل أولاً.

ويمكن أن نلخص الوضع قبل حرب ٦٧ بما جاء على لسان الرئيس الراحل أنور السادات، خاصة أن الشاذلي لا يحب الكلام عن أمور لم يكن طرفاً فيها أو شاهداً عليها.

يقول السادات: كانت الأجواء في عام ١٩٦٧ تتسم بالكآبة ومصر مفلسة ومشاكل الخدمات التي أجلها رئيس الوزراء علي صبري متراكمة منذ عام ١٩٦٢ والصراع بين عبدالناصر وعبدالحكيم تصاعدت وتيرته وفي يوم جمعة من شهر فبراير من ذلك العام ذهبت لزيارة عبدالناصر على غير موعد فسألت الضابط المختص أن كان الرئيس قد استيقظ أم لا؟، فأخبرني انه في غرفة مكتبه فدخلت عليه ووجدته يجلس وقد وضع رأسه بين يديه حزيناً مهموماً وقفت أراقبه حوالي دقيقتين ثم فاجأته بسؤالي: جرى ايه يا جمال؟، مالك؟

التفت اليّ في دهشة فقد كان واضحاً انه لم يحس بدخولي الحجرة وقال:

ايه اللي جابك النهاردة يا أنور؟



قلت: النهاردة الجمعة وأنا لي مدة لم أرك قلت أفوت عليك ندردش سوا وأنا عارف أنك يوم الجمعة بتبقى لوحدك.

قال لي: والله عملت طيب.. أقعد.

جلست وسألته مرة أخرى: مالك شايل الدنيا على دماغك ليه يا جمال؟

قال: يا أنور البلد بتحكمها عصابة وأنا مستحيل أكمل بهذا الشكل أكون أنا المسؤول وعبدالحكيم ينفذ ما يريد، الأفضل لي أن أترك منصبي وأجلس في الاتحاد الاشتراكي ويتولى هو رئاسة الجمهورية ومستعد للتحقيق معي عن الفترة التي توليت فيها.

والسادات يرمي بمسؤولية فشل الوحدة بين مصر وسورية على أكتاف عبدالحكيم، وبعد أيام عرف أن حكيم أرسل شمس بدران إلى عبدالناصر يطلب رئاسة وزراء مصر وبذكاء طلب منه أن يترك الجيش مقابل ذلك، قال عبدالناصر ذلك وهو يعرف مقدماً أن عبدالحكيم لن يفرط في منصبه العسكري.

وفي اجتماع ضم زكريا محيي الدين وعبدالحكيم عامر وحسين الشافعي وعلي صبري وصدقي سليمان رئيس الوزراء في هذا الوقت، وأيضاً السادات الذي يحكي:

قال لهم جمال عبدالناصر: حشودنا في سيناء تجعل الحرب محتملة بنسبة ٥٠ في المئة أما اذا أغلقنا المضايق فالحرب مؤكدة مئة في المئة، ثم التفت إلى عامر وسأله:

هل القوات المسلحة جاهزة يا حكيم؟

فوضع عامر يده على رقبته وقال: برقبتي يا ريس كل شيء على أتم الاستعداد.

ويكمل السادات مؤكداً أن تسليح مصر كان قوياً بالفعل وقد سألنا عبدالناصر عن اغلاق المضايق ووافقنا جميعاً على اغلاقها باستثناء صدقي سليمان الذي طلب التروي وان نأخذ في الاعتبار حالتنا الاقتصادية والخطط التي توقفت بسبب منع المعونة الأميركية، ولم يهتم عبدالناصر بذلك وكان ميالاً لاغلاق المضايق حتى

يوقف مزايدات العرب عليه وحتى يحتفظ بمكانته الكبيرة في الأمة العربية، وبهذا أصدر أوامره باغلاق المضايق وسحب قوات الطوارئ الدولية.

ويقول الشاذلي كانت عمليات حشد القوات المصرية تتم بطريقة استعراضية، أشبه بالمظاهرة بينما الحرب تقوم على السرية، ويؤكد أن خطة حشد القوات في العريش ورفح مرتبكة لا هي هجومية ولا دفاعية، والتخطيط العسكري في مجمله كان عشوائياً، وأفضل ما يجيب على هذه التفاصيل الفريق محمد فوزي رئيس الأركان، ولكنني عندما أتحدث عن التخبط وقد لمسته، عندما استدعاني إلى القيادة في منتصف مايو والأوامر التي تصدر حائرة، تمركز هناك تحرك هناك إلى الشمال، إلى اليمين، حتى قطعت سيناء بأكملها ذهاباً وايابأ وهذا ما يؤدي إلى استهلاك الدبابات وانهاك القوات، وحيث انني كنت في هيئة التدريب وهي جهة ليس لها قوات تم انتدابي وشكلت مجموعة عمليات خاصة من بعض وحدات منها كتيبة مشاة وكتيبة صاعقة وكتيبة دبابات، وأصبحت أنا قائدها وكانت تتبع قيادة سيناء مباشرة برئاسة الفريق صلاح محسن وهذه المجموعة التي شكلتها عرفت بعد ذلك في الدراسات العسكرية بمجموعة الشاذلي وخلال ١٠ أيام تغيرت المهام المكلف بها ٣: ٤ مرات حتى استقر بي المقام لحراسة المنطقة الموجودة بين المحورين الأوسط والجنوبي في سيناء.

وللتوضيح فان سيناء لها ٣ محاور، المحور الشمالي من القنطرة ثم يميل بجوار الساحل الشمالي إلى العريش ورفح وغزة والطريق الأوسط الذي ينطلق من الإسماعيلية في اتجاه الحسنة وبير سبع، والمحور الجنوبي من منطقة الشط والسويس ويتجه غرباً إلى نخل والتمد والحدود الإسرائيلية والمسافة واسعة بين المحور الجنوبي والأوسط وكانت هناك مخاوف أن العدو اذا أراد الهجوم فسينطلق من المحور الرئيس على طريق الاسفلت عبر الأراضي المفتوحة ثم يحاول الاختراق من المنطقة التي أقوم بحراستها، والأمر لا يتوقف هنا على عدد



القوات الموجودة معي، لكن على طريقتي في توظيفها وكيفية مواجهة العدو.

وفي يوم ٤ يونيو وصل ضابط اتصال من القيادة في سيناء وأخبرني أنني مطلوب في الثامنة صباحاً، حيث سيصل المشير عبدالحكيم عامر ليلتقي بالقادة وأنت منهم.

وكان مكان الاجتماع مع المشير في مطار فايد وهو ما يحتاج إلى ٥ ساعات حتى أصل إلى هناك لان الطرق وعرة وأخبروني بان طائرة هليوكوبتر ستصل في السادسة صباحاً لكي تأخذني أي أنني في صباح يوم الحرب ٥ يونيو وفي الاجتماع أو المؤتمر وجدت القادة ومنهم عبدالعزيز سليمان وعبدالقادر حسن وصلاح محسن وقادة من أسلحة المدرعات والمدفعية، ومن الطبيعي ونحن زملاء في لقاء مثل هذا أن نتبادل الأحاديث الودية والسلامات انتظارا لوصول المشير، ولكن فجأة سمعنا صوت انفجارات ووجدنا المطار الذي نحن فيه ينفجر وقد تم ضربه، تصور معظم القادة هنا، والجيوش وحدها وإسرائيل تضرب، هل هي صدفة؟، أم أنها مدبرة؟ إلى هذا الحد، والمفترض أن طائرة المشير في الجو والمدفعية عندها علم بذلك أي ممنوع الضرب، وكان بامكان إسرائيل لو عرفت بوجود كل القادة في هذا الاجتماع أن تضربهم جميعاً بضربة واحدة وتصبح القوات بدون رأس وهي مجرد جسد وعرفنا أن مطارات عدة في أنحاء مصر يتم ضربها في التو واللحظة.

انها أمور تحتاج إلى بحث وتثير علامات الاستفهام وكان ذلك في الثامنة صباحاً وكان ضرورياً أن يعود كل قائد إلى موقعه وسط جنوده، أخذوا سياراتهم وانطلقوا الا أنا لابد لي من طائرة لكن كيف تطير في هذا المناخ وقد سيطرت إسرائيل على الوضع جوياً، وقد تم تدمير أغلب المطارات خلال ساعتين على أكثر تقدير.

أي أننا باختصار خسرنا حرباً لم ندخلها، ولم يكن أمامي الا الركوب بالسيارة مع أقرب قائد لمجموعتي، وحتى هذا الوقت لم نكن نستشعر مدى الكارثة، وكنا نرى الطائرات الإسرائيلية تتجول فوق رؤوسنا ونحن في السيارة، وبعد حوالي ١٢ ساعة كنت قد وصلت إلى معسكر مجموعتي، ولم تكن القوات الإسرائيلية قد

اقتربت من المحور الذي أقوم بحراسته وكنت على بعد ٢٠ كيلومترا من الحدود الفلسطينية، ولان الاتصالات شبه مقطوعة وجدت القائد المناوب أو النائب لي يضرب أخماسا في أسداس ولا يعرف ماذا يفعل، لكنه أخذ وضع الاستعداد وحاولت الاتصال بقيادة سيناء وفشلت، وحاولت مع القيادة العامة وفشلت، ثم وجدت الطيران الإسرائيلي يحلق فوق رأسي!!



طلقة (١٢)

(في غرفة العمليات أكتوبر ٧٣)



وغابت القيادة عن ساحة المعركة

هو يوم المهزلة... ذلك هو العنوان الأمثل ليوم ٥ يونيو ١٩٦٧ في تاريخ العسكرية المصرية.. عندما اكتشف كبار القادة أن الطائرات الإسرائيلية تدك موقع اجتماعهم وقد كان المشير عبدالحكيم عامر على وشك الوصول إليه بطائراته.. وبعد ١٢ ساعة من المعاناة عاد سعد الشاذلي إلى مجموعته التي كانت تتمركز بالقرب من الحدود الفلسطينية.

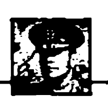
اكتشف الشاذلي أن الاتصالات مقطوعة مع القيادات كلها.. والطيران الإسرائيلي يدور في الأجواء أو بمعنى آخر يختال ومجموعة الشاذلي مكشوفة في الصحراء وفكر في الاستماع إلى إذاعة العدو لعله يجد خبرا أو إشارة أو معلومة يتصرف بناء عليها وسمع عجباً.

«أيها العرب لقد وصلت القوات الإسرائيلية إلى رفح والعريش وعلى الأهالي رفع الرايات البيضاء».. وجلس الشاذلي مع رجاله يفكر ماذا يكون التصرف في هذا الجو الضبابي الغامض.

ومرة أخرى عاد الطيران الإسرائيلي وفي هذه المرة صوب نيرانه.. وكانت الخسائر في مجموعة الشاذلي طفيفة وهي في تلك العزلة القاتلة.. ووضع الخريطة أمامه ووجد أن أمامه منطقة جبلية على بعد ٢٠ كيلومتر داخل حدود إسرائيل، ولم أكن أمتلك الامكانات لمواجهة الطيران لذلك كان الاعتصام بالجبل من الحلول الجيدة حتى أجد الغطاء المناسب.

أي أن هذا القائد ذهب عكس الاتجاه.. جيش بلاده ينسحب إلى الغرب وهو يتعمق في أرض العدو ويختبئ من طيرانه داخل حدوده أو ما تسمى كذلك فكلها فلسطين المغتصبة وكان الاختيار في منطقة بها بئر ماء للشرب.

كانت مجموعة تضم ١٢٠ فردا بين ضابط وجندي وخلال عمليات التوغل كانت الخسائر لا تتجاوز ثلاثة أفراد بين شهيد وجريح.. وكانت المجموعة تضم



٣٠ دبابة.. وعندما يصل الطيران لا يستطيع أن يضرب لان الجبل كأنه يحتوي الجيش بين أحضانه وطبيعة الوادي المعوج تعطي هذا الحماية.

القاعدة العسكرية تقول اذا لم تستطع القيام بالعمل الايجابي ابحث عن أقرب عمل سلبي صحيح.. لان هروبك من خسائر العدو.. هو انتصار لك.

كانت هذه أطول ليلة في تاريخ الشاذلي العسكري وفي تاريخ مصر كلها..

ومجدداً حاول الشاذلي الاتصال بالقيادة لكن دون جدوى وبعث بأحد الضباط لاكتشاف الأوضاع على ارض الواقع والوصول إلى القيادة ولكنه لم يعد وبدأ الطيران مرة أخرى يكشر عن أنيابه عن تلك الفريسة التي أصبحت مثل اللقمة في الزور لان الجيش تقريبا انسحب أو في طريقه للانسحاب والطيران يصطاد بكل بسهولة لكن مجموعة الشاذلي كأنها دخلت تحت جلده.

«افتحوا الراديو يا ولاد!».. هكذا طلب من ضباط الإشارة وان يحاولوا التقاط إذاعة مصر ليعرف الخبر اليقين.. اقل القليل هو ما يصل أو يقال أو أنها معلومات مغلوطة تماما عكس ما هو على ارض الواقع فقد كان الإعلامي أحمد سعيد في صوت العرب يحصر الطائرات الإسرائيلية التي تسقط، وطيراننا كله قد تلوى على الأرض بين قتيل وجريح وهذا ما رآه الشاذلي بعينه في مطار فايد وعلى طول طريق العودة إلى كتيبته..وهو يعيش تحت رحمة الطيران الإسرائيلي كان هذا هو قدرك يا سعد ومعك رجالك، السماء تمطر فوق رأسك بقذائف الطيران وسماء الإعلام تمطر بالأكاذيب وأنت هناك وحدك في عمق العدو.

وفي عصر يوم ٧ يونيو جاء الاتصال أخيرا من القيادة العامة للقوات المصرية وسألوه: ماذا تفعل عندك؟!.. لقد أصبحت سيناء كلها تحت سيطرة إسرائيل وأنت في هذا المكان شبه محاصر وعليك الانسحاب.

***



كش ملك

توغلت بأقل الخسائر فهل أنت قادر على الانسحاب في تلك الأرض المكشوفة حيث لم يبق للجيش المصري سؤال حاول فيه أن يشرح للقيادة ولكنها لم تكن جاهزة لان تسمع وترى فقد قضي الأمر وعلى الله قصد السبيل بعد اتصال القيادة رسميا بمجموعة الشاذلي أدرك وقتها أن الهزيمة قد وقعت.

وفي أثناء ذلك لم يتوقف الطيران عن مناشداته وكأنه يقول لسعد ورجاله: نحن هنا.. وخاصة أنها القوت الوحيدة الباقية على قيد المعركة.. وكانت حساباته كلها للطيران اما المواجهات البرية فهو كفيل بها.

العجيب في الأمر أن معنويات مجموعة الشاذلي كانت عالية رغم الحصار وانسحاب معظم القوات المصرية لان قائدهم يتصرف أمامهم بهدوء وعقلانية.. وبعد قراره الموفق له أو عليه وعندما تسأل الشاذلي عن ذلك يقول لك أنها مجموعة منتقاة وهذا هو شأن رجال الصاعقة والمظلات الخلاصة.. بين رجال الأسلحة المختلفة. ومع آخر ضوء في نهاية ٧ يونيو.. وكانت ليلة قمرية قررت التحرك جنوبا وبالتالي لا حاجة للأنوار الصناعية وطوال الليل كانت المجموعة قد قطعت حوالي ١٠٠ كيلومتر والبراعة هنا أن تعرف كيف تستدل الطريق وتحدد اتجاهاتك في تلك الصحراء الواسعة وفي ضوء النهار رأى الشاذلي بعينه حجم الكارثة التي حلت بالقوات المصرية وكان هذا المشهد المروع قد شحن داخله بطاريات التحدي للقصاص لدماء هؤلاء الشهداء.

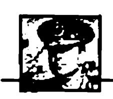
الدبابات والعربات محترقة والطريق مسدود والجثث متفحمة هنا وهناك لعب الطيران الإسرائيلي لعبته في غياب الدفاع الجوي الصاروخي ولم نكن نمتلكه ومن هنا بدأت دروس الأعداء للنصر في قلب الهزيمة.

وأثناء الانسحاب بدأ الطيران ينتقم في هذه الأجواء المكشوفة وزادت الخسائر

عن ذي قبل وهو أمر طبيعي كان يركز على ضرب الدبابات وعلى العربيات الادارية التي تحمل الذخيرة وضربها يجعلها تنفجر يمينا وشمالا وهو ما يؤثر على العربات الأخرى وعلى معنويات الضباط والجنود جرى هذا في مسافة ٩٠ كيلو مترا كانت تفصل مجموعة الشاذلي عن الإسماعيلية والوصول إلى المعابر يوم ٨ يونيو وكان بذلك آخر المنسحبين المحترمين.. وبعدها نسف المهندسون المصريون المعابر أو الكباري حتى لا يستخدمها العدو الإسرائيلي.

عاشت الأسامي

اختلف الخبراء والعسكريون والسياسيون في تسمية حرب الأيام الستة هي: هزيمة يونيو وهي النكسة وهي المذبحة وهي عملية الديك الرومي والمقصود به جمال عبدالناصر وكانت أبرز أهداف هذه الحرب كسر شكوته وايقاف زعامته التي كانت تنمو بقوة في جميع الاتجاهات، الأرقام تقول أن ضحايا ٦٧ أكثر من ٦ آلاف شهيد و١٦ ألف مفقود وتدمير ٨٥ في المئة من القوات الجوية و٨٠ في المئة من القوات البرية. لكن الأستاذ محمد حسنين هيكل يرفض أن يسميها هزيمة ويرى أن الحرب لها هدفان الأول تحطيم القوة المسلحة للعدو.. والثاني تحطيم ارادة العدو ولو قامت الحرب وتحقق هدف من دون الآخر فان الهزيمة لم تحدث والنصر لم يتحقق.. وعلى أرض الواقع تحطمت القوات المسلحة لكن هل تحطمت الارادة المصرية؟.. لا.. لم تتحطم وسنرى بعد أسابيع قليلة من تلك النكسة اكبر الأمثلة على ذلك.. في ردود قوية لعجرفة العدو وفي كل الحروب السياسية والعسكرية في ٦٧ وفي ٧٣ وفي كل الحروب. وكان الشاذلي بعيدا عن شلة عبدالحكيم عامر رجل الجيش الأول وأكثر قربا من جمال الزعيم السياسي في توجهاته وأفكاره.. بل أن هناك صلة أخرى ظهرت من خلال وجود سعد متولي كبير ياورا ناصر وشقيق زوجة الشاذلي، ودخول الحروب بلا خطة أو تدريب معناه أن تلقي بنفسك إلى التهلكة.. لا تنفرد برأيك أيها القائد ولا تحجب المعلومات



فتضلل بها نفسك قبل أن تضلل غيرك والحرب التي تريد أن تكسبها عليك أن تعرف قدرات المعركة وتأمر باغلاق المضايق!

وألقى عبدالناصر بيان التنحي وتحمل وحده أمام الجماهير مسؤولية ما جرى ورغم أن عبدالحكيم عامر طلب منه أن يشترك معه في المسؤولية لكنه رفض وخرجت الملايين إلى الشوارع تطالبه بالعودة وهي تبكي يحركها الانتماء وقد كنت وقتها بالمرحلة الاعدادية وقطعت أكثر من ١٥ كيلو مترا مشيا على الأقدام ورأيت أبي لأول مرة يبكي أمام تلفزيون الجيران الـ١٤ بوصة وقد تجمع الجميع امامه. وكان البيان يطوى صفحة للعسكرية المصرية ويكتب من أول السطر صفحة جديدة.

خارج السياق :

هذا هو فوزي

محمد فوزي أمين فوزي من مواليد القاهرة - العباسية في ١٣/ ٥/ ١٩١٥ متزوج وله أربع ابناء.

العمل : متقاعد من ١٣/ ٥/ ١٩٧١حيث قدم استقالته كوزير للحربية وقائد عام للجيوش العربية المواجهة لإسرائيل، أما المناصب التي شغلها فقد تخرج سنة ١٩٣٦ برتبة ملازم ثاني وتدرّج في الرتبة وفي خدمة وحدات مدفعية الميدان حتى ١٩٣٨ ثم انتقل إلى خدمة المدفعية المضادة للطائرات في اللواء الأول المضاد للطائرات ثم انتقل إلى الخدمة الميدانية في الساحل الشمالي لمصر عام ١٩٣٩ في بداية الحرب العالمية الثانية حيث تولى قيادة البطارية الثالثة م. ط. ب بالمنطقة الغربية في مرسى مطروح إلى الضبعة إلى فوكة إلى العامرية إلى الدخيلة إلى ميناء إسكندرية الغربي، حيث وقعت أعنف المواجهات العسكرية بين وحدتي البطارية الثالثة المضادة للطائرات وبين طائرات المحور ألمانيا - ايطاليا حتى عام ١٩٤٢، وانتدب بالكلية الحربية مدرس توبوغرافيا ثم عاد إلى اللواء الأول م. ط حيث رشح اللواء للعمل في مسرح عمليات فلسطين في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ وكان قائدا للبطارية الرابعة م. ط واشترك بوحدته ضد الإسرائيليين في مستعمرة الدنجور ونستليم ويسليم إلى أن أصيب وأدخل المستشفى بالقاهرة، تأهل عمليا في جميع الفرق العملية لفن المدفعية المضادة للطائرات التي تغير اسمها لتكون الدفاع الجوي عام ١٩٦٨، اشترك في خلايا الثورة منذ عام ١٩٤٨ وبعد نجاحها رشح ليكون كبير معلمي الكلية الحربية ثم مديرا لها، عاصر حرب ١٩٥٦ ثم حرب ١٩٦٧ثم عين قائدا عاما للقوات المسلحة اعتبار من ١١/ ٦/ ١٩٦٧ وعين وزيرا للحربية اعتبار من مارس ١٩٦٨ كان قد وصل إلى رتبة فريق أول أعاد بناء القوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ كما أعاد الثقة للجندي المقاتل في مواجهة

العدو، قاد حرب الاستنزاف من سنة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٠ بنجاح حيث أجبر الجندي الإسرائيلي على الدفاع لأول مرة أعدّ الخطة جرنيت التي تعني تحرير سيناء بقوة السلاح بالتعاون مع القوات المسلحة السورية قدم استقالته يوم ١١/ ٥/ ١٩٧١، ورفضها الرئيس محمد أنور السادات وحولها إلى محاولات انقلاب ضد الحكم وقدم للمحاكمة العسكرية حيث حكمت المحكمة عليه بالسجن ١٥عاما أشغالا شاقة وبضغط من القوات المسلحة حصل على اعفاء صحي بعد ٤ سنوات وشهرين خرج بعدها من السجن ليقوم بمهمة التأليف والنشر والتوعية السياسية والعسكرية.

طلقة (١٣)

(الشاذلي وخلفه مبارك)



مهمة خاصة... إلى بيت عامر !!



فشلت القوات المسلحة ونجح الشعب وتلك هي وجهة نظر الكاتب محمد حسنين هيكل.. اتجهت الجموع إلى السفارة الأميركية تريد أن تنسفها، لكن قرار الرئيس جمال عبدالناصر بالعودة إلى موقعه مرة أخرى أنقذها وأنقذ الجميع وطلب السادات من جميع القيادات أن تقدم استقالتها فكتبوها جميعا الا عبدالحكيم عامر رغم انه أكثرهم حماسا لذلك..

في ١١ يونيو قرر جمال عبدالناصر أن تكون ضربة البداية اعادة بناء القوات المسلحة والشاهد على ذلك أيضا أنور السادات.

وكان الشاذلي حاضرا في المشهد الأخير بين جمال وعبدالحكيم عامر وهو يكتبها على النحو التالي:

تجمع الكثير من الضباط والقادة حول عبدالحكيم عامر الذي أدرك أن عبدالناصر لا يريده.. واستدعى محمد فوزي وعبدالمنعم رياض الشاذلي وطلبا منه أن يتوجه إلى بيت عبدالحكيم بقوة من الصاعقة والقبض على جميع الضباط المجتمعين داخله.

ونزل الأمر كالصاعقة على رجل الصاعقة فكيف يكون الوضع عندما يذهب بقوته ويجد نفسه وجها لوجه مع زملاء من الصاعقة أو من الأسلحة الأخرى وكانت أصعب مهمة يمكن أن يكلف بها رجلا مثل الشاذلي يحسب لكل خطوة ألف حساب.. ودعا الله من كل قلبه أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويحل له العقدة بفضله وبينما هو في الطريق كانت السماء قد استجابت لدعوة الرجل وصدر الأمر بايقاف المهمة وكأن شيئاً لم يكن.

في اليوم الذي قرر فيه عبدالناصر اعادة بناء القوات المسلحة صدرت الأوامر بان يتولى الشاذلي قيادة القوات الخاصة التي جمعت بين الصاعقة والمظلات معا وأطلق البعض على الشاذلي موحد القوتين.



وكان عبدالناصر بعيد النظر عندما دمج بين الصاعقة والمظلات لان هذه القوة سيكون لها دورها الكبير خلال فترة حرب الاستنزاف وهي المنطقة المجهولة التي لم يتوقف عندها المؤرخ العسكري بما يكفي.

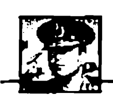
حاول عبدالحكيم عامر بكل السبل الاستمرار ورفض الاستقالة ومنصب نائب رئيس الجمهورية بعد أن عزله عبدالناصر من مناصبه العسكرية وأسندها إلى الفريق محمد فوزي.. ولما أدرك تصميم عبدالناصر على ابعاده وتحديد اقامته انتحر وحزن لأجله كثيرا فهو صديقة المقرب وقال للسادات: تصور يا أنور أنا وأنت وعبدالحكيم.. كنا أصدقاء لسنوات طويلة وعندما يموت حكيم لا نستطيع أن نمشي في جنازته.. ولا احد من الزملاء سيشارك أيضا في الجنازة خوفا من ثورة أهله!

رأس العش

بعد أسابيع قليلة كان العالم كله يتحدث عن معركة رأس العش التي أدرك من خلالها العدو أن الجيش المصري قد استعاد زمام أمره وفي ٨ سبتمبر ١٩٦٨ فتحت المدافع المصرية نيرانها الكثيفة على امتداد الجبهة كلها وأمطرت القوات الإسرائيلية بأطنان من القنابل المدمرة.. وكانت اشارة أن تحولات قد جرت في الجيش المصري.. وقبلها نجحت البحرية المصرية في اغراق المدمرة ايلات.. أي أن الصحوة العسكرية تشمل كافة الأسلحة.. وكانت هذه رسالة لإسرائيل بان القوات البحرية لاتزال تحتفظ بكل قوتها.

في البحر الأحمر

وفي عام ١٩٦٩ جرت تغييرات جديدة في صفوف القوات المسلحة وتم ابعاد أحمد إسماعيل رئيس الأركان على اثر غارة جوية شنتها إسرائيل على رأس غارب واختير محمد صادق بدلا منه وكان إسماعيل قد تولى منصبه بعد استشهاد عبدالمنعم رياض.



وهو بطل سنتوقف أمام سيرته بالتفصيل خارج السياق وكان السبب في اختيار الشاذلي قائدا لمنطقة البحر الأحمر أنها متسعة وإسرائيل تستثمر ذلك في غارات هدفها الايحاء بأنها قادرة على الوصول إلى العمق المصري حيث تهبط طائرة أو طائرتين في صعيد مصر ليلا ويتم ايقاف السيارات وانزال ركابها واصطحاب بعضهم إلى إسرائيل ثم الاعلان عن أنهم أسرى وذات مرة أخذوا ضابطا وذبحوه وفي مرة ثالثة داسوا بدباباتهم على سيارة المحافظ وهي بالوصف العسكري عمليات رخيصة ووجدوا أن رجل الصاعقة والمظلات الشاذلي هو من يستطيع ايقاف العدو عند حده.

وبدأ الرجل يقسم المنطقة إلى أقسام وينظم عمل دوريات عسكرية كانت تعمل من بعد الغروب إلى الصباح ولم يتوقف الأمر بالنسبة للشاذلي عند هذا الحد.. بل انه قام بتدريب بعض الضباط على القيام بعمليات وغارات خلف خط بارليف قامت بها الكتيبة ٨٣ صاعقة وفي احداها قتل ٣٥ إسرائيليا وأسر اثنان من كتيبة الجولاني وفي العمليات الثانية دمر اللواء ١٣٥ مشاة احدى النقاط القوية داخل خط بارليف وقتل ١٣ إسرائيليا وأسر جندي واحد وهو ما دفع غولدمائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية في ذلك الوقت للاستغاثة بالرئيس الأميركي نيكسون حيث عرضت عليه مبادرة لوقف اطلاق النار وتم ذلك بالفعل تقديم مبادرة روجز في عام ١٩٧٠ وكانت فرصة لقواتنا لبناء قواعد الصواريخ.

وإذا كانت الأضواء قد ذهبت إلى الأبطال الذين خاضوا حرب أكتوبر فان الواجب يحتم أن نرصد قصص وأسماء وحكايات هؤلاء الأبطال في فترة حرب الاستنزاف ولولا جهدهم وإخلاصهم العظيم في فترة عصيبة ما بلغنا نصر أكتوبر.

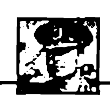
الهجوم بدلاً من الدفاع

في مذكراته يقول الشاذلي: لم نكف عن التفكير في الهجوم على العدو الذي يحتل أراضينا حتى في أحلك ساعات الهزيمة في يونيو ١٩٦٧، لقد كان الموضوع ينحصر فقط في متى يتم مثل هذا الهجوم وربط هذا التوقيت بامكانات القوات

المسلحة لتنفيذه وفي خريف ١٩٦٨ بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة تستطلع امكان القيام بمثل هذا الهجوم على شكل مشاريع استراتيجية تنفذ بمعدل مرة واحدة في كل عام، وقد كان الهدف من هذه المشاريع هو تدريب القيادة العامة للقوات المسلحة- بما في ذلك قيادات القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي، وكذلك قيادات الجيوش الميدانية وبعض القيادات الأخرى- على دور كل منها في الخطة الهجومية- لقد اشتركت في مشاريع عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ بصفتي قائداً للقوات الخاصة قوات المظلات وقوات الصاعقة، واشتركت في المرة الثالثة عام ١٩٧٠ عندما كنت قائدا لمنطقة البحر الأحمر العسكرية.

وقد جرت العادة على أن يكون وزير الحربية هو المدير لهذه المشاريع، وان يدعى رئيس الجمهورية لحضور جزء منها، لكي يستمع إلى التقارير والمناقشات التي تدور خلالها، وقد استمرت هذه المشاريع خلال عامي ١٩٧١ و١٩٧٢.

أما المشروع الذي كان مقررا عقده عام ١٩٧٣ فلم يكن الا خطة حرب أكتوبر الحقيقية التي قمنا بتنفيذها في ٦ أكتوبر ١٩٧٣. وحيث أن إسرائيل كانت تتفوق علينا تفوقاً ساحقاً في كل شيء خلال عام ١٩٦٨ والأعوام التالية، فقد كان مديرو هذه المشاريع الاستراتيجية يفترضون امتلاكنا لقوات مصرية ليست موجودة واقعياً، وذلك حتى يكون من الممكن تنفيذ مشروع الهجوم بأسلوب لا يتعارض مع العلم العسكري. وبمعنى آخر فان المديرين كانوا يضعون الخطة الهجومية على أساس ما يجب أن يكون لدينا، اذا أردنا القيام بعملية هجوم ناجحة. ولا يمكن أن نعتبر هذا خطا كبيرا حيث أن مثل هذه الخطط وان كانت غير واقعية، فانها تظهر بوضوح حجم القوات المسلحة التي يجب توافرها لكي يمكن تنفيذ خطة هجومية ناجحة. وفي خلال السنوات ٦٩ وما بعدها أخذت قواتنا المصرية تزداد قوة، وأخذت خططنا في تلك المشاريع الاستراتيجية تبدو اقل طموحا- نتيجة ربط الأهداف بالامكانات الواقعية- وبذلك أخذت الثغرة بين امكاناتنا



الهجومية وخططنا الهجومية في المشاريع الاستراتيجية تضيق شيئا فشيئا، حتى تم اغلاقها تماماً في أكتوبر ١٩٧٣. وهكذا أصبحت خطتنا الهجومية عام ٧٣ مطابقة للامكانات الفعلية لقواتنا المسلحة.

ان السيطرة على قوات مسلحة قوامها حوالي المليون ضابط وجندي هي عمل صعب للغاية، فعندما شغلت منصب رئيس الاركان كان حجم القوات المسلحة حوالي ٨٠٠٠٠٠، وقبل اندلاع حرب أكتوبر ٧٣ كانت القوات المسلحة قد بلغت مليونا وخمسين ألفا في الجيش العامل، يضاف إلى ذلك ١٥٠٠٠٠ كان قد تم تسريحهم وتنظيم استدعائهم خلال السنتين السابقتين للحرب، وبذلك وصل حجم القوات المسلحة إلى مليون ومئتي ألف ضابط وجندي، كان حوالي ٥٨ في المئة منهم لا ينخرطون ضمن الوحدات الميدانية، ولاشك أن هذه النسبة تعتبر نسبة عالية اذا ما قورنت بالنسب السائدة في القوات المسلحة الأجنبية، ولكننا اضطررنا إلى هذا الموقف نتيجة للعاملين التاليين:

١ - أن تفوق العدو الجوي الساحق جعل بامكانه توجيه جماعات منقولة جوا لتدمير وتخريب أهدافنا الحيوية المتناثرة في طول البلاد وعرضها، وان البنية التحتية والأهداف الحيوية في مصر، هي أهداف مثالية لجماعات التخريب المعادية، فهناك مئات الكباري فوق النيل والرياحات والترع، وهناك خطوط أنابيب المياه والبترول التي تمتد مئات الكيلومترات عبر الصحراء وكذلك خزانات المياه والنفط ومحطات الضخ والتقوية وتوليد الكهرباء، الخ.

٢ - أن التوسع المستمر في حجم القوات المسلحة كان يفرض علينا زيادة طاقة المنشآت التعليمية حتى تستطيع أن تلبي مطالبنا المتزايدة في تدريب الكوادر المطلوبة لقواتنا المسلحة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا بمزيد من تدعيم هذه المنشآت بضباط الصف المعلمين والاداريين الذين يرفعون من طاقة هذه المنشآت. أن هيئة أركان الحرب العامة هي جهاز مركب تركيبا غاية في التعقيد،



أنها تضم حوالي ٥٠٠٠ ضابط و ٢٠٠٠٠ من الرتب الأخرى، وعلى قمة هذا الجهاز يجلس رئيس أركان حرب القوات المسلحة وتحت إمرته المباشرة ٤٠ ضابطا برتبة لواء، كل منهم على قمة فرع أو تخصص أو إدارة لمعاونة رئيس الأركان في السيطرة على القوات ولتسهيل عملية السيطرة على تلك القوات ذات المليون جندي، فقد تم تجميعها تحت ١٤ قيادة هي البحرية- الطيران- الدفاع الجوي- الجيش الثاني- الجيش الثالث- قوات المظلات- قوات الصاعقة- منطقة البحر الأحمر- المنطقة الشمالية- المنطقة الغربية- المنطقة المركزية- المنطقة الوسطى- المنطقة الجنوبية- قطاع بور سعيد. لقد تعودت في الماضي أن اخلق نوعا من الاتصال المباشر بيني وبين الرجال الذين أقودهم، لم أكن قط من ذلك الطراز من القادة الذين يستمعون إلى تقارير مرؤوسيهم المباشرين ويعتمدون عليها اعتمادا كلياً في اتخاذ قراراتهم.

مؤتمر الرئيس

بعد أن تم انتخاب السادات رئيسا للجمهورية في ١٤ من أكتوبر ٧٠ دعا إلى اجتماع مع قادة القوات المسلحة يوم ١٩ من أكتوبر، وفي هذا الاجتماع أثنى على المرحوم جمال عبدالناصر، ووعدنا بأنه سيسير على هدي خطواته وفي ٣٠ من ديسمبر من العام نفسه حضر اجتماعا آخر مع القادة، ولكن في هذا الاجتماع كان المتكلم الرئيسي هو وزير الحربية الفريق فوزي وقدم تقريره وبعدها أكد السادات انه لن يتم تحديد وقف اطلاق النار وعلينا أن نتأهب للمعارك والا نصدق الدعاية الأميركية. في ٢٣ من مارس ١٩٧١ عقد الرئيس مؤتمرا عاما للضباط وقد طلب الي أن أحضر معي ٤ ضباط من مختلف الرتب من منطقة البحر الأحمر العسكرية لحضور هذا المؤتمر، وقد بدأ الرئيس حديثه بشرح الأسباب التي دعته إلى تمديد فترة وقف اطلاق النار التي انتهت في ٤ من فبراير الماضي فقال: أن جهود مصر الدبلوماسية قد نجحت في عزل إسرائيل عن العالم فقد تم عزلها عن أميركا وبريطانيا ودول أوروبا

الغربية واسبانيا وايران، وعن موقف إسرائيل قال السادات: لأول مرة تعترف إسرائيل في وثيقة رسمية أرسلتها إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٢١ من فبراير ٧١ بأنها لن تنسحب إلى خطوط ٤ من يونيو ٦٧، وبذلك وضحت نواياها أمام العالم أجمع، وعن علاقاتنا مع أميركا قال: نحن لا نثق بأميركا فقد وعدتنا كثيرا ولكنها لم تف بوعودها، وقد أخطرت نيكسون بأننا لا نثق بوعود أميركا ولكننا على استعداد لان نثق بالأفعال، وعن المعركة مع إسرائيل قال السادات: أن المعركة القادمة هي معركة شعب وليست معركة القوات المسلحة، ويجب علينا أن نحصل على التوازن الدقيق بين مزايا بدء المعركة الآن وبين مزايا الانتظار، وأني أعدكم بأننا لن نقدم ميعاد المعركة يوما واحدا ولن نؤخرها يوما واحدا عن توقيتها الصحيح، وفي خلال قيام الرئيس بالقاء كلمته وزع على الحاضرين خريطة تبين الأراضي التي تريد إسرائيل أن تحتفظ بها، والأراضي التي هي مستعدة لاعادتها إلى العرب وقد علق الرئيس على هذه الخريطة وهو يستثير حماس الضباط هل تريدون أن تقبلوا هذا الهوان ؟، وكان الرد حماسيا من الجميع لا- لا لن يكون هذا.

خارج السياق : (عبدالمنعم رياض)

ولد الفريق محمد عبدالمنعم محمد رياض عبدالله في قرية سبرباي احدى ضواحي مدينة طنطا محافظة الغربية في ٢٢ أكتوبر ١٩١٩، ونزحت أسرته إلى الفيوم، وكان جده عبدالله طه على الرزيقي من أعيان الفيوم، وكان والده القائم مقام (رتبة عقيد حاليا) محمد رياض عبدالله قائد بلوكات الطلبة بالكلية الحربية والتي تخرجت على يديه الكثيرين من قادة المؤسسة العسكرية.

درس في كتاب القرية وتدرج في التعليم وبعد حصوله على الثانوية العامة من مدرسة الخديوي إسماعيل التحق بكلية الطب بناء على رغبة أسرته، ولكنه بعد عامين من الدراسة فضل الالتحاق بالكلية الحربية التي كان متعلقا بها، انتهى من دراسته في عام ١٩٣٨ م برتبة ملازم ثان، ونال شهادة الماجستير في العلوم العسكرية عام ١٩٤٤ وكان ترتيبه الأول، وأتم دراسته كمعلم مدفعية مضادة للطائرات بامتياز في انكلترا عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٦. أجاد لغات عدة منها الانكليزية والفرنسية والألمانية والروسية، وانتسب أيضا لكلية العلوم لدراسة الرياضة البحتة، وانتسب وهو برتبة فريق إلى كلية التجارة لإيمانه بان الاستراتيجية هي الاقتصاد.

في عام ١٩٤١ عين بعد تخرجه في سلاح المدفعية، وألحق باحدى البطاريات المضادة للطائرات في المنطقة الغربية، حيث اشترك في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا وايطاليا.

وخلال عامي ١٩٤٧ ١٩٤٨ عمل في ادارة العمليات والخطط في القاهرة، وكان همزة الوصل والتنسيق بينها وبين قيادة الميدان في فلسطين، ومنح وسام الجدارة الذهبي لقدراته العسكرية التي ظهرت آنذاك.

في عام ١٩٥١ تولى قيادة مدرسة المدفعية المضادة للطائرات وكان وقتها برتبة مقدم.

في عام ١٩٥٣ عين قائدا للواء الأول المضاد للطائرات في الإسكندرية.



من يوليو ١٩٥٤ وحتى أبريل ١٩٥٨ تولى قيادة الدفاع المضاد للطائرات في سلاح المدفعية.

في ٩ أبريل ١٩٥٨ سافر في بعثة تعليمية إلى الاتحاد السوفييتي لاتمام دورة تكتيكية تعبوية في الأكاديمية العسكرية العليا، وأتمها في عام ١٩٥٩ بتقدير امتياز وقد لقب هناك بالجنرال الذهبي.

عام ١٩٦٠ بعد عودته شغل منصب رئيس أركان سلاح المدفعية.

عام ١٩٦١ نائب رئيس شعبة العمليات برئاسة أركان حرب القوات المسلحة وأسند اليه منصب مستشار قيادة القوات الجوية لشؤون الدفاع الجوي.

في عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣ اشترك وهو برتبة لواء في دورة خاصة بالصواريخ بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات حصل في نهايتها على تقدير الامتياز.

وفي عام ١٩٦٤ عين رئيسا لأركان القيادة العربية الموحدة.

ورقي في عام ١٩٦٦ إلى رتبة فريق، وأتم في السنة نفسها دراسته بأكاديمية ناصر العسكرية العليا، وحصل على زمالة كلية الحرب العليا.

وفي ١١ يونيو ١٩٦٧ اختير رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية فبدأ مع وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الجديد الفريق أول محمد فوزي إعادة بنائها وتنظيمها.

وفي عام ١٩٦٨ عين أمينا عاما مساعدا لجامعة الدول العربية.

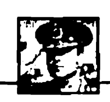
حقق عبدالمنعم رياض انتصارات عسكرية في المعارك التي خاضتها القوات المسلحة المصرية خلال حرب الاستنزاف مثل معركة رأس العش التي منعت فيها قوة صغيرة من المشاة سيطرة القوات الإسرائيلية على مدينة بور فؤاد المصرية الواقعة على قناة السويس وذلك في آخر يونيو ١٩٦٧، وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ وإسقاط بعض الطائرات الحربية الإسرائيلية خلال عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨.

طلقة (١٤)

(القفز متعة يجيدها بالعقل)



الشك يحيط بالمآذن العالية !



يعرف السادات جيدا كيف يناور كأنه لاعب كرة ماهر يوحي لمنافسه انه سيحضر في الاتجاه إلى اليمين وهو إلى اليسار أسرع بكل ما يملك فقد أعلن في يوليو ١٩٧٢ إجلاء الخبراء السوفيت من مصر وكانت له فلسفته وقناعته أن وجود السوفيت أثناء الحرب سوف ينسب إليهم كل جهد في الانتصار عندما يتحقق كما أنهم تباطؤوا كثيرا وناوروا في إمدادات السلاح وقبل هذا القرار بشهر تقريبا دعا السادات إلى اجتماع في استراحته في القناطر الخيرية وحضرها عدد محدود من القادة منهم الفريق صادق وزير الحربية والشاذلي والجمسي ومحمود علي فهمي عن الدفاع الجوي واللواء المسيري عن القوات الجوية واللواء جوهر من التنظيم والإدارة وكان الهدف من الاجتماع أن يقرأ علينا تقريرًا كتبه مدير المخابرات العامة أحمد إسماعيل وقد حذر فيه من القيام بعمليات هجومية نظرا لضعف قواتنا الجوية وعدم وجود دفاع جوي متحرك وبالتالي يجب تأجيل أي عمليات حربية حتى تتساوى قواتنا الجوية مع الإسرائيلية في القوة وهنا يؤكد الشاذلي..

هذا الكلام معناه أن خطة المآذن العالية التي وضعتها هي خطة محددة وتهدف إلى عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف والتمركز شرق القناة وكانت الخطة سرية ولا يعلمها إلا عدد محدود جدا لا يتجاوز عددهم سبعة إلى ثمانية.. وهذا معناه أن السادات لم يكن ينوي فعلا أن يدخل الحرب عام ٧٢ وقبلها أطلق على عام ١٩٧١ سنة الحسم ولم يحسم.

والسادات بدوره ألقى باللوم على السوفيت لأنهم لم يلتزموا بما تعهدوا به في عام الحسم هذا بما أحرجه مع شعبه.ويذكر السادات انه اتصل بالهند لكي يحصل منها على السلاح الروسي بطريقة غير مباشرة لكن الهنود عادوا إلى السوفيت لاستئذانهم ولكنهم رفضوا..

وحقيقة الأمر أن السادات كان يكره الروس من الميراث السوفيتي الذي سارت عليه مصر في أمور كثيرة وكان يميل أكثر إلى كل ما هو أميركي وهو أيضا ما ورثه

حسني مبارك من بعده وقد أعرب عن سعادته بطرد السوفيت لأنهم يتسمون بالخشونة والفقر على حد تعبيره لمحمد حسنين هيكل وقد طلب السادات لقاء السفير السوفيتي في مصر وطلب منه إبلاغ الكرملين بما سيقوله كرسالة رسمية.. وهنا لعبها ببراعة حيث لا شيء مكتوب وفي ذلك قوة من الراسل واستخفاف بالمرسل إليه.. وقال:

ارفض أسلوب تعاملهم معي وقد قررت الاستغناء عن الخبراء الروس وعددهم ١٥ ألفا وأن يعودوا إلى بلادهم في ظرف أسبوع من اليوم وسأبلغ وزير الحربية بذلك وهناك معدات سوفيتية وهي أربع طائرات ميغ٣٥ وهناك محطة للحرب الالكترونية ويعمل عليها طاقم سوفيتي وأما أن تبيعوها لنا او تسحبوها معكم.. ولم يصدق السفير ما سمع، وحلل السوفيت والغرب وإسرائيل هذا القرار بأنني لن ادخل المعركة وهو ما أفادني استراتيجيا وقد أدركنا أن السوفيت بدأوا يشعرون أن لهم وضعا ممتازا في مصر وسفيرهم تحول إلى مندوب هؤلاء الخبراء في المحطة الالكترونية لا يعملون إلا بعد تلقي الأوامر من موسكو والأخطر أنهم تصوروا أنهم وضعوا مصر في جيبهم وان الاتحاد السوفيتي هو ولي أمرنا وقد اصطدم الشاذلي مع صادق.. الأول يرى أن تكون خطتنا حسب ما نمتلك من إمكانيات خاصة بعد طرد السوفيت والثاني يرى أن ننتظر حتى تكتمل الإمكانيات ومعنى ذلك إطالة أمد الانتظار.. والناس قد فاض بها.. ولذلك أسرع السادات بإبعاد صادق كما انه استشعر انه ينوي الانقلاب عليه مع مراكز القوى.

والشاذلي من المدرسة التي تضع خطتها وفق ما تملك وما يملك العدو وبهذه الفلسفة انتصرنا في أكتوبر ومع ذلك إلى جانب خطة المآذن العالية السرية جدا وضع خطة أخرى بعنوان ٤١ أو التوجيه ٤١ وتعمد أن ينشرها وان تصل إلى الروس.. وتعتمد على أن الوصول إلى المضايق يلزمه كذا من السلاح وبذلك هي مذكرة مطالب أكثرها منها خطة حتى انه ذهب بها إلى كلية أركان الحرب وناقشها



مع الدارسين وكان منهم سمير فرج الذي كان رئيسا للشؤون المعنوية ثم رئيسا للأوبرا ومحافظا للأقصر وعن ذلك يقول في مقال نشرته جريدة الفجر.

للحق والتاريخ.. فإننا يجب أن نتذكر أن الفريق سعد الشاذلي كان صاحب فكرة هذا التوجيه.. وأنه خلال فترة حرب الاستنزاف أصدر سلسلة من التوجيهات.. وهي ما يطلق عليها توجيهات رئيس أركان حرب القوات المسلحة.. وكانت عادة تصدر بعد حدوث أعمال قتالية خاصة.. كان على الفريق سعد الشاذلي أن يقوم بتجميع خبرة القتال من أعمال القوات المصرية.. والدروس المستفادة.. بعد الحدث مباشرة.. ويتم توزيعها على عناصر القوات المسلحة للاستفادة منها في أي أعمال قتالية مشابهة مستقبلاً.. وكان منها على سبيل المثال التوجيه الخاص بتأمين الرادارات في المناطق المنعزلة وذلك بعد الغارة الإسرائيلية على أحد الرادارات المصرية المنعزلة.

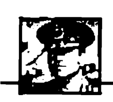
لكن هذه المرة صدر هذا التوجيه قبل بدء العمليات، وبدأ التفكير في إصدار ذلك التوجيه عندما كان الفريق سعد الشاذلي يراجع خطة العملية الهجومية.. لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف.. ووجد أن هناك العديد من المشاكل التي تعوق وتؤثر في التخطيط للعملية الهجومية.. فأصدر أوامره بتشكيل لجنة خاصة لإعداد هذا التوجيه ليكون منهاجاً لخطة الحرب.. ولكن بعد أن انتهى العمل من هذا التوجيه، أصبح هو الخطة التفصيلية لعبور قناة السويس واقتحام خط بارليف للقوات المسلحة بالكامل.

وأتذكر وأنا طالب في كلية أركان حرب.. في منتصف عام ١٩٧٣ وقبل الحرب بأشهر قليلة.. أن أبلغنا مدير الكلية.. أن الفريق سعد الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة سيزور الكلية وسيقضي يوماً كاملاً مع الطلبة الدارسين لكي نناقش معه التوجيه ٤١ وهي الخطة التفصيلية لعبور واقتحام قناة السويس.. واعتقد أن الفريق سعد الشاذلي كان بذلك القرار شديد الذكاء.. فبعد دراسات استمرت عدة

شهور من لجنة الإعداد التي ضمت عناصر من جميع أفرع وقوات وإدارات القوات المسلحة.. لوضع خطة تفصيلية دقيقة لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف وإنشاء خمسة رؤوس كباري شرق القناة تحدد فيها دور كل جندي.. وضابط.. وقائد.. كان اختيار الفريق سعد الشاذلي لإشراك طلبة كلية أركان حرب قراراً سليماً.. لمناقشة تفاصيل هذه الخطة بصورة نهائية.. أولاً لأن الدارسين في كلية أركان الحرب في هذا التوقيت كانوا نخبة متميزة من ضباط القوات المسلحة والتحقوا بالدورة بعد امتحان مسابقة من بين ١٥٠٠ ضابط.. وثانياً أن هؤلاء الدارسين هم من جميع الأفرع والقيادات والأسلحة الرئيسة والمعاونة والإدارية في القوات المسلحة، ثالثاً أن الدارسين كانوا منهمكين في الدراسات النظرية لمدة عام.. التي اعتمدت على الأرقام والحسابات.. علاوة على ما لديهم من الخبرات الشخصية والميدانية والتي على أساسها تم قبولهم في هذه الكلية، وأخيراً أن كلية أركان حرب في هذا التوقيت بالذات كانت قد تم طرد الخبراء الروس منها.. وأصبح أعضاء هيئة التدريس جميعهم من الضباط المصريين.

وتم توزيع مسودة التوجيه ٤١ على جميع الدارسين قبل اللقاء بعدة أيام.. قمنا بدراسته.. بالتفصيل.. والواقع أننا فوجئنا بحجم هذا العمل الرهيب.. الدقيق.. ولم يسمح لنا خلال فترة دراسته أن نأخذ معنا أي أوراق إلى منازلنا للحفاظ على السرية.. ولذلك كنا نظل ندرس ونتناقش في الكلية يومياً.. حتى وقت متأخر ونترك أوراقنا في خزائن الدراسة.. حتى صباح اليوم التالي.

ولقد حققت هذه المناقشات داخل الكلية لنا كطلبة دارسين من مختلف الأسلحة والتخصصات التنسيق المتكامل.. المبني على الفهم العلمي.. الأكاديمي.. لكل مراحل العبور.. واقتحام النقاط القوية.. وصد الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية.. ومطالب كل مرحلة من مراحل العبور.. وهكذا عمل ١٥٠ طالباً من الكلية كمجموعة متجانسة.. متعاونة.. تنسق مع بعضها.. هذه الخطة..



وتحقق مطالب كل فرع من الأفرع.. وأعتقد مثلاً أن ضباط سلاح المهندسين هم أكثر من كنا نتعاون معهم.. ويتم التنسيق معهم.. نظرا لأن الخطة أساساً كان محورها العبور بوسائل ومعدات سلاح المهندسين.

ولقد بدأ الفريق سعد الشاذلي هذا التوجيه بوضع جميع المشاكل.. والمصاعب أمام المخطط المصري لعبور القناة وتدمير خط بارليف.. وكان أمام مجموعة العمل أن تضع الحلول أمام كل مشكلة.. فلقد كانت أعقد المشاكل التي قابلت المجموعة الساتر الترابي على الضفة الشرقية للقناة... هو الذي أعطى للجانب الإسرائيلي ميزة السيطرة بالنيران.. والملاحظة ضد القوات القائمة بالعبور.. وأدى ذلك إلى اقتراح ضرورة بناء نقاط قوية مرتفعة مزودة بمصاطب دبابات على الضفة الغربية للقناة.. تسمح للجانب المصري أن يؤمن قواته التي تعبر القناة بالنيران والمعلومات. وأتذكر أن موشيه ديان عندما شاهد الجنود المصريين يقومون ببناء هذه النقاط سخر منهم، وقال أمام وكالات الأنباء.. أن المصريين دائماً مغرمين ببناء الأهرام.

وأمام مشكلة عمل فتحات في الساتر الترابي أمام الكباري.. فكان أحد أعظم الحلول التي وضعها المفكر المصري.. وهو استخدام خراطيم المياه.. والتي تم نقل فكرتها أثناء بناء السد العالي في أسوان.. كما تم إعداد سلالم من الحبال لصعود جنود المشاة للساتر الترابي.. ومعهم معداتهم.. وأسلحتهم.. وذخائرهم.. وكان الفريق سعد الشاذلي.. خلال محاوراته معنا.. يركز على أنه يجب أن نعتمد على الأفكار والحلول المصرية.. وأن نعتمد على المواد المصرية.. وأذكر أن الشيء الوحيد ربما.. تم استيراده من الخارج.. كان مضخات الدفع المائية.. لعمل الفتحات الشاطئية.

وعند بحث مشكلة مواسير النابالم.. التي وضعها الجانب الإسرائيلي.. مع نقاط خط بارليف لكي تحول سطح القناة إلى كتلة لهب مشتعلة يستحيل على قوارب المطاط أن تعبر منها.. فقد تم التغلب عليها بتشكيل مجموعات تقوم بالعبور تحت ستار نيران المدفعية لسد فوهات وفتحات أنابيب النابالم.. وللتغلب على

مشكلة مصاطب الدبابات الإسرائيلية على الجانب الشري من القناة.. فلقد ركز التوجيه ٤١.. على دفع مجموعات اقتناص دبابات لتحتل هذه المصاطب قبل عبور القوات.. لمنع الدبابات الإسرائيلية.. من احتلالها وتدخلها ضد القوات المصرية المهاجمة.. ثم جاءت مشكلة اقتحام النقاط القوية الإسرائيلية في خط بارليف.. حيث تم تكوين قوات خاصة لمهاجمة هذه النقاط اعتمد تكوينها.. على حجم النقطة وتسليحها.. وعدد الدبابات الموجودة بها.. وشكل وحجم المواقع الدفاعية التي تحوط بهذه المنطقة.. وبالتالي.. خرجت الخطة بشكل وأسلوب الهجوم.. سواء بالمواجهة.. أو على الأجناب.. أو من الخلف.. طبقاً لطبيعة دفاعاتها.. وهكذا يمكن القول أن هذا التخطيط الدقيق.. المبني على معلومات دقيقة.. تفصيلية.. كان من أهم عوامل نجاح عملية التنفيذ. كما تمت دراسة بعض العوامل الأخرى.. مثل تغير سرعة التيار في قناة السويس وعمليات المد والجزر.. ومدى تأثيرها على عمليات العبور بالقوارب.. أو المركبات البرمائية.. وعمليات فتح الكباري.. كل ذلك تم وضعه في الاعتبار في أعمال التخطيط للعبور.

ولعل أكبر المشكلات التي واجهت مجموعة إعداد التوجيه ٤١ برئاسة الفريق سعد الشاذلي هي التعامل مع الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية التي كان المخطط لها أن تتدخل ضد قوات رأس الكوبري المصرية شرق القناة، حيث كان على قوات المشاة المصرية المترجلة أن تتعامل مع هذه الاحتياطيات حتى صباح اليوم التالي بدون أي دعم من المدرعات.. ومن هنا ظهرت براعة مجموعة التخطيط، حيث تم حساب توقيت تحريك كل احتياطي من الاحتياطيات الإسرائيلية.. ثم حساب حجم الأسلحة المضادة للدبابات المطلوب تواجدها في هذا التوقيت في منطقة رأس الكوبري لصد وتدمير هذه الاحتياطيات.. ومن هنا جاء ترتيب عبور القوات بالدعم اللازم.. طبقاً لتوقيت تدخل هذه الاحتياطيات الإسرائيلية شرق القناة.. بل وصل الأمر إلى تحديد تسليح كل جندي.. وحجم الذخيرة التي سيحملها هذا الجندي..



سواء لتسليحه أو لسلاح آخر سيعبر معه في هذا القارب.. وتم التخطيط بحيث يحمل كل جندي لغمين من الألغام المضادة للدبابات.. لإنشاء حقول ألغام متحركة أمام القوات.. للمعاونة في صد الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية.

ويمكن القول أن التوجيه ٤١ قد عالج ١٣٢ مشكلة كانت تقف عائقاً أمام المخطط المصري الذي كان يضع خطة العبور واقتحام قناة السويس.. وتدمير خط بارليف.. وإنشاء رءوس الكباري شرق القناة.. وكانت معالجة هذه المشاكل.. بأفكار مصرية.. بسيطة.. ووضعتها هذه اللجنة بخبرتها ومستفيدة بالخبرات التي ظهرت خلال التدريبات على العبور في دلتا نهر النيل.

وجاء يوم مناقشة الخطة.. حيث وصل الفريق سعد الشاذلي إلى كلية القادة والأركان وأمامه ١٥٠ دارساً من أكفأ ضباط الجيش المصري وأعضاء هيئة التدريس.. وبدأ النقاش من الثامنة صباحاً حتى السابعة مساءً.. واستكملنا النقاش في يومين.. ويمكن القول أن هذا التوجيه في النهاية كان يتضمن.. الخطة التفصيلية لعبور القوات.. بدءاً من عدد الجنود في كل قارب.. وتسليح كل جندي.. وحجم الذخيرة التي يحملها.. سواء لنفسه.. أو للقوات المعاونة.. ووصل الأمر إلى توقيت دخول معدات العبور لمنطقة القناة ابتداء من القوارب المطاطية.. إلى معدات الكباري.. وأسلوب حمايتها.. ومواقع مولدات الدخان.. والدفاع الجوي.. الخ.. المهم أن ذلك التوجيه ركز على كل التفاصيل الدقيقة للغاية.. ولم يترك للقادة.. إلا التنفيذ الدقيق.

كما تناول التوجيه ٤١، علاوة على ما سبق، أساليب مهاجمة نقاط خط بارليف.. ومجموعات فتح الثغرات في الساتر الترابي.. وعمل مجموعات إغلاق أنابيب النابالم.. وتوقيت وأسلوب دفع مجموعات المفارز المصرية المتقدمة التي ستحتل مصاطب الدبابات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة لمنعها من التدخل ضد قوات العبور.. ثم عمل مجموعات الدخان لعمل ستائر تعمية مناطق المعابر.

كما ركز التوجيه ٤١ على توقيتات عبور القادة على جميع المستويات اعتباراً من

قادة فصائل المشاة.. مع الموجات الأولى للعبور.. وقادة السرايا.. وقادة الكتائب. كما شمل التوجيه ٤١ على تصميم سترة خاصة لكل جندي يرتديها لتناسب ما يحمله من الأسلحة والذخائر والألغام.. سواء كانت له.. أو لسلاح معاون آخر سيحمل له ذخيرته، وبالتالي تم حساب الذخائر المطلوبة للمعركة حتى صباح اليوم التالي بعد بناء الكباري ووصول العربات المحملة بالذخائر.. ولم ينس التخطيط في التوجيه ٤١ دور الخدمات الطبية ضمن موجات العبور.. لتقديم المعاونة الطبية خلال مراحل القتال كما ضمت موجات العبور ضباط الملاحظة وإدارة النيران للمدفعية.. التي لم تكن قد بدأ عبورها بعد.. كما تم التخطيط لدفع مجموعات من حاملي الصواريخ سام ٧ المحمولة على الكتف.. للتعامل مع الطيران الإسرائيلي عند مهاجمته لقوات العبور على ارتفاع منخفض متجنباً حائط الصواريخ المصري.. ورغم أنه لم يحدث اقتراب للطائرات الإسرائيلية أو تدخلها ضد قوات العبور.. إلا أن التخطيط كان لمجابهة كل التوقعات.

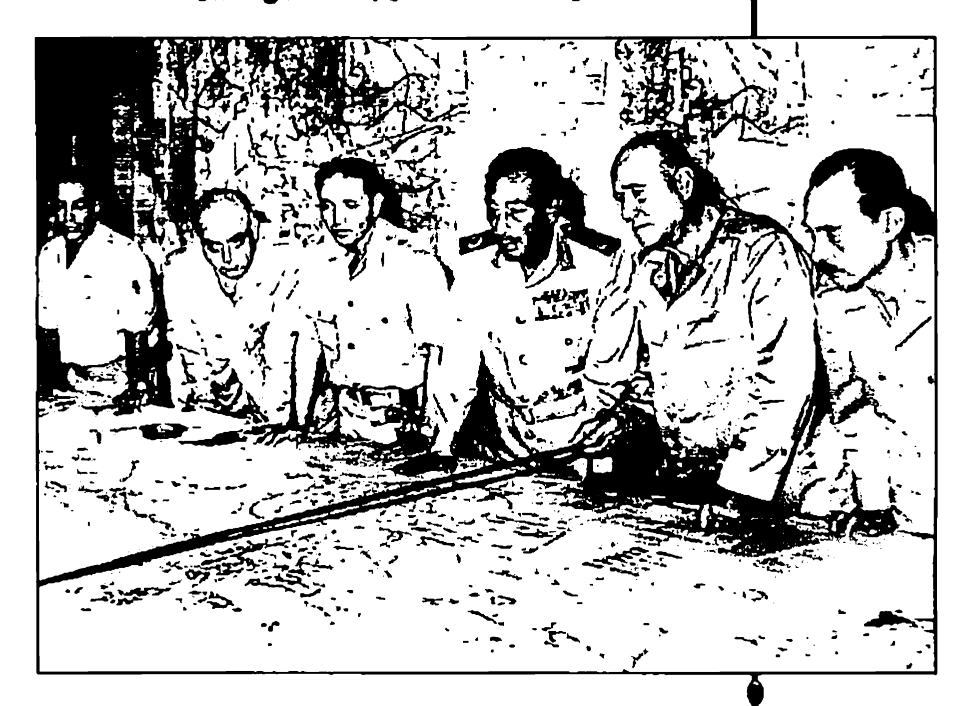
ويمكن القول أن هذه المناقشات كانت تفصيلية إلى أكبر درجة ممكنة.. وأدارها بالكامل الفريق سعد الشاذلي الذي كان ملماً بكل التفاصيل الدقيقة.. وسمح بنقاش ديموقراطي.. علمي.. عسكري.. ميداني.. سمح لكل الأطراف بعرض رأيها.. دون رهبة.. أو خوف.. فالكل كان يعلم أن مصر هي الهدف.. ولذلك كان هذا اللقاء مع طلبة كلية أركان حرب هو بمثابة المراجعة النهائية للخطة التفصيلية للعبور التوجيه ٤١ بعدها تم إصداره في خطط تفصيلية للقوات المشتركة في عبور القناة.

وهكذا جرب الشاذلي خطته العامة وسط ابنائه الضباط لكي يعرف كيف يطور خطته السرية وهكذا هو أحد أسرار نجاح حرب أكتوبر ومهندسه الأول.



طلقة (١٥)

(الصورة الأصلية لحرب ٧٣ قبل تغييرها)



عندما اكتمل لحن الأوركسترا !

لا يحب الشاذلي أن ينسب كل شيء في حرب أكتوبر لنفسه دون غيره ويؤكد أن المشاريع الاستراتيجية للعبور كانت قد بدأت من عام ١٩٦٨ أيام الفريق فوزي وزير الحربية.. وهو ما سوف نسمعه في اعترافات فوزي لاحقا..

استمر التدريب على المشاريع ثلاثة أعوام تولى بعدها الشاذلي رئاسة الأركان وكانت المشاريع تعتمد على تحرير سيناء في ١٣ يوما وعندما تسلمت مهام المسؤولية رأيت أن هذا الكلام لا يمكن تحقيقه على ارض الواقع ولا يتناسب مع الإمكانات الفعلية لقواتنا المسلحة في هذا الوقت.. وبدأت أفكر في خطة هجومية في حدود الإمكانات بحيث نعبر القناة لمسافة ١٠:١٢كيلومتراً فقط تحت حماية مظلة الدفاع الجوي ثم جاء الفريق صادق كوزير حربية واختلف معي في هذا وكانت خطتي معروفة بالمآذن العالية والمشكلة هنا كيف توفق بين الجندي والسلاح المتطور.. وفي أي فترة زمنية يمكن أن يتحقق ذلك والوضع لا يحتمل التأجيل.. وكلية الطيران مثلا تقوم بتخريج عدد محدود كل عام.

ونقاط الضعف في إسرائيل قلة العدد.. وبالتالي عدم قدرتها على خوض حرب طويلة الأجل.. لأنها تعتمد في تعبئة الجيش على ١٨٪ من الشعب الإسرائيلي.

ووقف السادات كرئيس للدولة وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة يتابع الخلافات في وجهات النظر... مجموعة تصر على عدم خوض الحرب ألا بعد تجهيز أنفسنا وأنا في الجانب الأخر أرى أن نخوضها بما نملك ونفرض ذلك على عدو اعتمد على أقوى ما عندي.. واضغط على اضعف ما عند عدوي.. وسلاحي كذلك أن احرمه من استخدام مزايا.. وعلى سبيل المثال اذا خاض العدو معركة بالدبابات يمكن لطيرانه أن يغطيه في دقائق معدودة بينما الحال عندنا مختلف تماما.. لان استخدامه لابد أن يتم بموافقة القيادة العليا لان قوتنا الجوية محدودة..

الشاهد على ذلك هذا المؤتمر أو الاجتماع الذي جرى عقده باستراحة السادات في القناطر الخيرية بحضور كبار قادة الجيش لكن من لهم حق الكلام



ثلاثة فقط.. لكن اذا هناك ما يخص قادة الأسلحة تكلموا في شأنهم وفي هذا اليوم لم يحضر قائد سلاح الجو حسني مبارك لسبب غير معروف للشاذلي الذي يروي هذه الوقائع ويومها حضر نائبه اللواء المسيري وأكد على صحة رأي الشاذلي بخصوص جاهزية واستعداد القوات الجوية..

وكان السادات يتحدث بطريقة إنشائية أو بالبلدي يمسك العصا من المنتصف وأحيانا يمزح حتى انه قال للمسيري: اذا لم ينجح سوف أعلقك على الشجرة..

وجاء أحمد إسماعيل كوزير حربية وبذلك اخذ الخلاف دائرة أوسع نظرا لأنني على المستوى الشخصي ما زلت اذكر ما جرى في الماضي وتحديدا في الكونغو والنفوس شايلة.

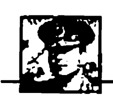
كانت خطة الوصول إلى المضايق معروفة بالتوجيه ٤١ أو الخطة غرانيت وهي المعلنة والتي تم ابلاغ روسيا بها وعند خروج الروس بدأ الاعتماد على الطيارين المصريين.

ونفس الخطة تقريبا تم عرضها على السوريين لاقناعهم بدخول الحرب مع مصر وبناء على حوار جرى مع احمد إسماعيل..لكنها عندهم على مرجعيتها الأولى تتمثل في العبور والثانية في الوصول إلى المضايق..

وبدأت النية تتجه في القيادة لتنفيذ الجزء الأول من الخطة وقد أيد السادات ذلك ويؤيد كلامي هذا ابوغزلة وحافظ إسماعيل في مذكراته وأكدوا أن الخطة تعتمد على العبور لمسافة ١٠:١٢ كيلومتراً خططت لها.

ويفسر الشاذلي سبب رفض السوريين للحرب مع المصريين.. وهو المعروف بتوجهه القومي العربي وقناعته بالوحدة.. ويقول:

المسألة أن مشاركة سورية سوف تؤدي إلى كشف أجناب الجيش المصري الأمر الذي يمنح الطيران والدبابات الإسرائيلية أن تظهر تفوقها.. واذا ضربت



الأجناب استطاعت أن تصل إلى مؤخرة الجيش أيضا.

وقد سافر احمد إسماعيل إلى سورية يومي ٤،٣ أكتوبر لوضع اللمسات الأخيرة والتنسيق مع الأشقاء هناك وكانت هناك فكرة بدخول الأردن إلى المعركة ولكن لأسباب سياسية تم أبعادها أو رفضها..

وحتى هذا الوقت لم يكن هناك من يعرف التوقيت النهائي.. لساعة الصفر كنا نفكر في أخر ضوء ليلا وفي سورية يفكرون في ساعة الفجر مع أول ضوء ومع ذلك تم ارسال اللواء نوفل إلى الأردن لاخبارهم باحتمال وقوع الحرب خلال الأيام المقبلة دون تفاصيل أكثر من ذلك..

وقد جاء اختيار يوم ٦ أكتوبر بعد حسابات ودراسات للمد والجزر في قناة السويس وكذلك الليالي القمرية وتم مناقشة ذلك مع القيادات السورية في اجتماع تم عقده في ٢١ أغسطس ١٩٧٣ وجرى ذلك في زيارة سرية قام بها الرئيس السوري حافظ الأسد مع وزير دفاعه وقادة الأسلحة وكان دور اللواء نوفل التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية.. وتم وضع عدة أيام مناسبة أمام قيادة البلدين لاختيار الموعد النهائي واذكر من هذه الأيام الفترة من ٥ الى١٢ أكتوبر أو ٧ إلى ١١ أو ١٢ سبتمبر على أن يتم اخطار القيادة العسكرية قبلها بـ١٥يوما وكل هذا يجب فيه مراعاة السرية التامة . وقد تم عمل محضر رسمي من صورتين بهذا الكلام وقع عليه رئيس الأركان المصري ونظيره السوري يوسف شكور وتم رفعه إلى السادات والأسد ورجحت كفة أكتوبر لان بها عدة أعياد لليهود منها يوم الغفران الذي يصادف ٦ أكتوبر.. وأصبح جيشنا جاهزا تماما..

وعندما سأل الإعلامي احمد منصور ضيفه الفريق الشاذلي في برنامج شاهد على العصر عن تفاصيل يوم ٦ أكتوبر من حياة رئيس أركان الجيش وصاحب خطة العبور كانت أجابته بكل بساطة: عادي!!

وتفسير ذلك أن كل شيء قد تم اعداده ألا انك تتابع ما خططت له وكيف يتم على أرض الواقع لكن قبلها وتحديدا يوم ٥ أكتوبر (يوم جمعة) اتجه الشاذلي إلى الجيش الثاني وأيضا الثالث لتفقد الأوضاع والتقى هناك باللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث ووجده يقرأ خطبة حماسية كان يعدها لكي يلقيها على رجال الجيش واستغرب الشاذلي وسأله كيف ستلقيها على جيشك الذي يمتد ٩ وحدات على مدى ٤٠ كيلومتراً وهل ستجمع القادة في هذا الوقت العصيب لأجل هذا ودارت في ذاكرة الشاذلي صورة تجمع القادة في ٥يونيو١٩٦٧ عندما تم ضرب مطار فايد أمام أعينهم وقد ذهبوا إلى هناك للاجتماع بالقائد العام للجيش المشير عبدالحكيم عامر.. وكانت النكسة..

وسألني: ماذا افعل؟

وبدون تفكير قلت له: يكفي جدا أن يقولوا الله أكبر.. بحيث نجمع الأفراد وعلى كل كيلو من قطاع المواجهة نضع فردين معهما ميكروفونات.. يقولوا الله اكبر والكل يردد خلفهما وبذلك نغطي مسافة الـ٤٠كيلو كلها لان العدو لا يمكن أن يخترق كل هذه المسافة مرة واحدة..

«الله أكبر» أقصر خطبة أقوى خطبة يقولها المسلم ويقولها المسيحي وكانت المشكلة في الميكروفات وعلى الفور اتصلت بمدير التوجيه المعنوي وطلبت منه أن يوفرها وحسبتها بالمسافة وعممت المسألة على الجيش الثاني أيضا وأبلغت مدير التوجيه بضرورة الاتصال بي للتأكد من تنفيذ هذا الأمر.. وكانت الله أكبر هي المدخل الرئيس للمعركة وظل الجميع يرددها طوال فترة الحرب.

وقفة مع السادات

يحكي السادات في كتابه البحث عن الذات عن ساعات ما قبل الحرب فيقول: استدعيت السفير السوفيتي في مصر وأخبرته انني وسورية سندخل الحرب



والمطلوب معرفة موقف بلادك بشكل واضح..

واتفقت مع الأسد أن يستدعي السفير الروسي في دمشق يوم ٤ أكتوبر ويبلغه بأمر المعركة لان علاقة السادات بروسيا كانت سيئة بعد طرده للخبراء الروس.. وفي اليوم التالي طلب السفير السوفيتي مقابلة السادات وكانت المفاجأة انه طلب الموافقة على ارسال ٤ طائرات لنقل العائلات الروسية الموجودة في مصر وهم من كانوا يعملون في المصانع المدنية وطلبوا أن يتم سفرهم من مطار حربي.. ولم يتلق السادات رداً على سؤاله الأهم ما هو موقف الاتحاد السوفيتي في حالة الحرب؟

وقد رصد الإسرائيليون الطائرات الروسية واعتقدوا أنها تحمل امدادات إلى مصر وكذلك في سورية لان الأمر نفسه تكرر هناك.

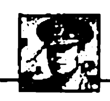
في يوم ٨ رمضان انتقل السادات إلى قصر الطاهرة حيث تم تجهيزه كمركز للعمليات ويقول السادات:

كنت في أقصى درجات السلام الروحي بعد صلاة الجمعة وأنا أدنو إلى الغد موعد المعركة لم يكن يشغلني سوى بعض التفاصيل التي لم تكن ألا مجرد رتوش حول المعركة.. وقد يعجب الناس من الطريقة التي سلكتها في حياتي ولذلك عندما استيقظت في الصباح قمت بالتدريبات الرياضية اللازمة وسرت على برنامجي اليومي كالعادة وكان عقلي في منتهى النشاط وفي الساعة الواحدة من ظهر السبت ٦ اكتوبر حضر المشير احمد إسماعيل حسب اتفاقنا وركبنا العربية الجيب الخاصة بالجيش وكنت ارتدي الزي العسكري وتوجهنا إلى غرفة العمليات حيث جلست في مكاني والقائد العام عن يميني وكانت التعليمات أن الجميع يجب ألا يلتزموا بالصيام.. واصدر احد المشايخ فتوى بذلك وكنت أتصور أن القادة قد نفذوها وسألتهم:

انتم ما بتدخنوش ليه؟ ليه مابتشربوش سجاير! العلمية عايزه انتباه ولاحظت

عليهم حرجاً شديداً فطلبت الشاي لنفسي وأشعلت غليوني وأخذت أدخن وعلى الفور فعلوا مثلي وفي الساعة الثانية تماما وهي اشارة عبور الطيران وصل الخبر بان طائراتنا قد عبرت قناة السويس وكانت ٢٢٢طائرة نفاثة سرعتها فوق سرعة الصوت وانتهت من ضربتها الأولى في ثلث ساعة بالضبط فقدنا فيها خمس طائرات فقط كما فقدت في تلك اللحظات الأولى من الحرب أخي الطيار الشهيد عاطف الذي كان في منزلة ابني فقد ربيته ولكنهم اخفوا علي حينذاك نبأ استشهاده ونجحت ضربة الطيران كاملا ومذهلا للجميع وبنسبة نجاح فاقت التسعين في المئة وبخسائر لم تزد عن ٢٪ وأدهشت العالم كله!

هذه رواية السادات فماذا عن رواية الشاذلي؟!



خارج السياق :

لغز.. عبد الحكيم!!

هو المشير محمد عبد الحكيم عامر ١١ ديسمبر١٩١٩/ ١٤سبتمبر ١٩٦٧ كان وزير الحربية في مصر، واحد من الضباط الأحرار.

عامر شارك مع الجيش المصري في حرب ١٩٤٨ وفي ثورة ٢٣ يوليو وقاد الجيش المصري في حرب السويس ١٩٥٦ وفي حرب اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧وفي حرب ١٩٦٧.. وقد جمعته علاقة قوية مع عبد الناصر وحاولا دراسة الحقوق ولم يكملا لظروف الثورة وعبدالحكيم هو ابن شقيق حيدر باشا وزير الدفاع.. ويقال انه توسط لجمال لكي يدخل الحربية..

وقد أثارت مذكرات عبدالحكيم عامر الكثير من الأقاويل حولها وهل ما نشر منها هنا وهناك هو فعلا ينتمي إلى المشير أم أنها أوراق مدسوسة عليه والهدف منها ضرب عبدالناصر من وراء ستار وهنا استشهد بما جاء في مقال للكاتب عمرو صابح وقال فيه : المدهش في الأمر أن هناك كتب عربية عديدة ظهرت كان مرجعها الأساس والرئيس هو كتاب (لعبة الأمم) مثل كتاب (ثورة يوليو الأميركية) لمحمد جلال كشك، وقد راجت تلك الكتب وأصبح بعض الموتورين يستعينون بها في إطار هجومهم على ثورة ٢٣ يوليو. والحقيقة أن الوثيقة الوحيدة المكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر والتي ظهرت حتى الآن هي مشروع البيان الذي أعده المشير، لكي يذيعه من الإسماعيلية في حال نجاح الخطة التي كانت مرسومة لوصوله إلى موقع القوات المسلحة هناك أثناء محاولة الانقلاب التي كان يعد لها مع رجاله عقب النكسة، وقد قام الأستاذ محمد حسنين هيكل بنشر هذا البيان في كتابه (الانفجار ١٩٦٧)- طبعة الأهرام في الصفحات من ١٠٨١ إلى ١٠٨٩.

وفى هذا البيان المكتوب بخط يد المشير الراحل، يقول عبد الحكيم عامر: نتيجة لكل ذلك.. اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القنال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال.

هذا اعتراف صريح من المشير الراحل بأنه هو الذي أصدر قرار الانسحاب غرب القناة، وفيه رد مفحم على بعض الأقلام التي مازالت تصر على أن الرئيس عبد الناصر هو الذي أصدر قرار الانسحاب، وفرضه على المشير عامر.

من المحزن أن شهداء مصر في اليوم الأول للقتال كان ٢٩٤ شهيدا، وبعد قرار المشير المنفرد بالانسحاب يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ وبالطريقة التي تم تنفيذ القرار بها، وصل عدد الشهداء المصريين إلى ٦٨١١ شهيدا مساء يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ عندما قبلت مصر قرار وقف إطلاق النار.

والآن طالما لم تظهر ورقة واحدة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر بعد مرور ٤٣ عاما على وفاته؛ فيمكننا القول بعدم وجود أي أساس من الصحة لتلك الأقاويل عن وجود مذكرات مكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر؛ وإلا فأين ذهبت تلك المذكرات؟ ومن يمتلكها؟ ولماذا يخفيها حتى الآن؟!!

طلقة (١٦)





اليوم ... يوم الملحمة !

كان كل شيء في صبيحة يوم السادس من أكتوبر كما خططنا له كنت أشعر بالارتياح وسلمنا أمرنا لله سبحانه وتعالى بعد أن قمنا بواجبنا البشري بأقصى ما كنا نستطيع.

هذه هي كلمات الفريق الشاذلي عن اللحظات القليلة قبل الحرب.. وقد طاف على القوات وعند نقطة مراقبة خاصة للجيش الثالث في الإسماعيلية كانت المسافة بينه وبين العدو ١٨٠ مترا هي عرض قناة السويس امسك بنظارة مقربة ورأى أن الحركة الجانب الأخر عادية تماما.. علم الجنود بميعاد الحرب قبلها بساعات وقد تم إعادة التكليفات عليهم ومع ذلك كان الشعور بالقلق حاضرا رغم الثقة واليقين بان نصر الله آت.

والقلق الايجابي الذي يدفع المرء للمزيد من الإجادة والجهد لا انكر انني فكرت ليلة ٦ أكتوبر في سيناريو لجميع الاحتمالات.. لكن سيناريو النصر كان الأعلى صوتا في داخلي.. والحمد لله صدق هذا التوقع وجاءت الخسائر مع الانطلاقة الأولى بأقل كثيرا مما توقعناها.

الآن أتحدث إليكم من قيادة العمليات أو المركز رقم ١٠ هي غرفة فيها طاولة كبيرة مساحتها حوالي ٩٠ مترا عليها ٣ مقاعد رئيسية يجلس عليها رئيس الجمهورية وعلى يمينه القائد العام وزير الحربية وعلى يساره رئيس الأركان وهناك طاولة أخرى على حرف L يجلس عليها رئيس هيئة العمليات وهناك طاولة عليها خرائط وعليها الخطة وفي المواجهة شاشة توضح حركة الطيران المصري.. وطيران العدو وحول الغرفة الرئيسية للعمليات عدة غرف يوجد ضباط لهم اتصالات مباشرة بقادة الجيوش وبكل أجهزة القيادة العامة بحيث أن كل شيء يحدث يتم تبليغه.. باختصار غرفة العمليات هي مركز متصل بجميع قيادات وأفرع الجيش ولان الخطة كانت واضحة ومتفقا عليها لم تصدر عن غرفة العمليات طوال الـ٢٤ ساعة أي أوامر.. كما لو كنا في طابور تدريب تكتيكي بفضل التخطيط التفصيلي بجدول زمني محدد كانت

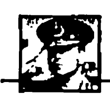
الأوامر تمضي من الأعلى إلى الذي يليه ثم الذي يليه حتى أصغر جندي وكل إنسان يلعب دوره بإتقان تماما مثل الاوركسترا والعزف متناغم تماما.. كنا نتوقع أن نزيل الساتر الترابي في فترة زمنية من ٥:٧ ساعات وتمت قبل ذلك ونشر الكباري في زمن ٦:٨ ساعات وحدث في زمن اقل.. عند الثانية وخمس دقائق انطلقت الطائرات مع المدفعية والمشاة وسلاح المهندسين كل في توقيته...

ويؤكد الشاذلي أن مسألة بناء الكباري هي اشد ما كان يقلقه.. لكن بعد نصبها سوف يتغير الوضع لان ذلك معناه التعرض للهجوم المضاد.. وحقيقة خط بارليف انه يمثل شبكة دفاع إسرائيلية بعمق ٢٠ كيلو لكن في حقيقة الأمر هو مجموعة خطوط متتابعة الخط الأول ملاصق للقناة مباشرة وخلف هذا الخط بحوالي ٥:٨ كيلومتر سنجد الخط التالي سنجد به ١٢٠ دبابة موزعة في نقاط عديدة بمعدل ٤٠ دبابة في كل نقطة وخلف هذا الخط سنجد المحور الثالث وبه ٨٠ دبابة أي أن بارليف مجموعة خطوط متتالية.. وأنت اذا اقتحمت الخط الأول قابلك الثاني وهكذا مع ملاحظة أن الخط الثاني سوف يتقدم نحو الأول عند هجومه وأضف ذلك أن عدد حصون بارليف كانت ٣٥ حصنا على مساحة ١٦٠ كيلو متر.. موزعة على فراغات فيها دبابات.

إلى الجبهة

في يوم ٨ أكتوبر انتقل الشاذلي إلى الجبهة ووجد فرحة عارمة بين الجنود والضباط بما تحقق وقد عادت الثقة إلى الجميع وأحاط الجميع بالشاذلي يهتفون باسم التوجيه ٤١ أو الخطة التي تم بها العبور ومع ذلك لم تكن الجبهة قد استقرت بعد الآن وبعض الحصون كانت ماتزال لم تسقط بعد وكانت الخطة التي تم تنفيذها على أرض الواقع هي المآذن العالية.

لكن مع الوصول إلى يوم ١٣ أكتوبر بدأت الأصوات ترتفع بتطوير الهجوم لتخفيف الهجوم على الجبهة السورية.



وهنا يعود الشاذلي بالذاكرة إلى مقر الجامعة العربية وتحديدا في نوفمبر ١٩٧١ حيث كان يقود اجتماع مجلس الدفاع العربي المشترك الذي يتكون من وزراء الدفاع ووزراء الخارجية في الدول العربية وحضره الشاذلي بصفته رئيس الأركان وسكرتير المجلس الذي عرض عليهم الخطط العسكرية وأمامهم جميعا قال: ليكن معلوما لدى الجميع نظرا للوضع المركزي الذي تتمتع به إسرائيل ونظرا لتفوقها الساحق في الطيران فلا الجبهة المصرية تستطيع أن تخفف الضغط عن السورية أو العكس فيما لو حدث وركز العدو على احدى الجبهتين.. لذلك أطالب بان تكون كل جهة لها القدرة على الصد.. وهو يختلف عن الهجوم.. فعملية الصد معناها انك تمنعه من القصف أي أن رأيي معروف مسبقا قبل أن تحدث الثغرة بعامين وقلت هذا في اجتماع رسمي موثق.. أي أن مسألة تطوير الهجوم محسومة قبلها تماما وكان وزراء الخارجية في غاية الاقتناع وفي عام ٧٣ كنت واثقا من قدرة الجبهة المصرية على صد الهجوم.. لكني بالنسبة للجبهة السورية لم أكن كذلك وقلت لهم يجب تدعيم الجانب السوري بكذا وكذا بمعلومات عملية ثابتة.. وقد نجحت الخطة في مرحلتها الأولى بشكل باهر.. وكان في تصوري أن تثبت الوضع لمدة ستة أشهر كانت كفيلة بان يأتي العدو راكعا أمامنا لأسباب ذكرتها من قبل منها عدم قدرته البشرية على الحرب الطويلة وكنت أشبه ذلك بسقوط إسرائيل مثل الثمرة العفنة من الشجرة!

صاحب الفكرة

هل كان السادات هو صاحب فكرة تطوير الهجوم؟!.... الشاذلي يؤكد أن المشير احمد إسماعيل هو الذي طرحها صبيحة يوم ١٢ اكتوبر وناقشته بكل موضوعية كما ذكرت من قبل ونقطة الضعف هي القوات الجوية.

لقد نجحت في أكتوبر لان الخطة واقعية في حدود قوتي وبالتالي كان تطوير الهجوم أن أعطى الفرصة للعدو أن يدمرني مع استحالة نقل معدات الدفاع 'الجوي إلى الشاطئ الغربي حتى يمكن أن تمتد مظلة الحماية لأكثر من ١٢ كيلو متر..

لأنها أسلحة ثقيلة مثبتة على مواقع خرسانة مع وجود معدات دفاع جوى متحركة على شاسيه الدبابة لكن التفوق سيكون للطيران حتما.

كان مقررا في يوم ١٠ أن يتحرك اللواء الأول مشاه من منطقة الجيش الثالث بعد أخر ضوء ناحية الجنوب حيث يكون تأثير الطيران ضعيفا ومهمته أن يحتل الساتر.. فقام قائد اللواء بمبادرة منه فتحرك قبل الغروب بساعتين عن الموعد المحدد ورصده العدو وانهال ضربا عليه وكانت النتيجة تشتيت قوة اللواء.. الا اننا امتلكنا تجربة عملية لمحاولة الخروج عن مظلة الدفاع الجوي ومع ذلك كلمني احمد إسماعيل طالبا تطوير الهجوم واعدت عليه ما قلته وزدت على ذلك الدرس الذي حدث للواء المشاة.. وصمت إسماعيل لفترة ظننت فيها انه اقتنع بكلامي لكنه بعد ساعات كرر طلبه مؤكدا انه تطوير الهجوم قرار سياسي ولكم أن يتصور العقلاء كيف يكون حالي وأنا اصرخ في البرية بالأدلة والبراهين.

وكان أمامي خياران أحلاهما مر. إما أن أنفذ القرار السياسي بتطوير الهجوم.. وأما الاقتناع او الاستقالة.. ومع ذلك كان مستحيلا بالنسبة لي أن أرى قواتنا يتم تدميرها بهذا الأسلوب وكأننا نقدم للعدو هدية مجانية من أرواح ومعدات وأسلحة جيشنا.. ومع ذلك في العسكرية القرار يتحمله القائد العام وقبله القائد الأعلى وهو رئيس الجمهورية الذي يصدر الأمر السياسي لكي يتم تنفيذه عسكريا على مسؤولية وزير الحربية.. تلك هي تقاليد الجيش، تكلم في المناقشات كما تريد لكن عند التنفيذ الأمر للقائد الذي يسبقك.. لذلك فان مسؤولية الثغرة يتحملها السادات أولا ومع احمد إسماعيل. حتى خطة تطوير الهجوم اختلفت عما كنت قد أعددته وخططت له بحسابات دقيقة للغاية وبدأت انفذ الأوامر بدون اقتناع وجاء الاعتراض سريعا من قائدي الجيش الثاني والثالث عبدالمنعم الصاوي وسعد مأمون وحاولت استثمار هذا الرفض لدعم موقفي والتقيت مع احمد إسماعيل قلت له: واصل ومأمون يعتبران تنفيذ خطة تطوير الهجوم من



المستحيلات!! والفشل هو المصير المنتظر..، وطلبت احضارهما للاستماع إليهما.. وحضرا بالفعل وعقدنا اجتماعا قائد الجيش الثاني وقائد الجيش الثالث ورئيس الأركان والقائد العام وزير الحربية واستمر الاجتماع ٦ ساعات كاملة وكنا ندور في دائرة مغلقة وهنا يظهر لماذا استدعى السادات احمد إسماعيل من المعاش لكي يكون وزيرا للحربية انه الولاء المطلق من العسكري للسياسي.. من إسماعيل للسادات وبدلا من أن يكون بصفته القائد العام المصدر الأول لاصدار القرارات أصبح الجهة الأولى لتنفيذ الأوامر.

ووقع المحظور وتم تنفيذ الأمر بغير اقتناع من ثلاثة قادة رئيس الأركان وقائدا الجيش الثاني والثالث ووقعت الكارثة.. وطالبت بعد ذلك بعمل لجنة تحقيق على غرار ما جرى في إسرائيل والمعروفة بلجنة (اجرانات) ونضع كل مسؤول أمام مسؤولياته ومحاكمته على ما جرى فمن الممكن أن تقع الخسائر في الحروب هذا أمر وارد لكن تقع الخسائر وأنت تعرف مقدما.. هذا هو التهاون والتخاذل بعينه.. وقد ذكر السادات في كتابه البحث عن الذات انه كلفني يوم ١٦ بتطويق الثغرة وحصر الإسرائيليين في البحيرات المرة والقضاء عليهم ولكنني تخاذلت وقضيت الليل في جمع المعلومات إلى أن تمكن الإسرائيليين من الدخول حتى وقعت الثغرة فالسادات عنده قناعة بان الثغرة لم تحدث نتيجة لتطوير الهجوم ولكنها وقعت بسبب تباطؤنا.

ولو افترضنا صدق السادات لأنني لم اذهب إلى الجبهة يوم ١٦ وقال إنني عدت يوم ١٩ منهارا وأنني قمت بتضحيم الحدث وسعيت إلى إحباط الخطة التي عارضها.

وحقيقة الأمر أن الثغرة يوم ١٦ كان يمكن القضاء عليها بمنتهى السهولة.. لكن اختلف الحال تماما يوم ١٨!

خارج السياق : نجم من أكتوبر

البطل عبدالمنعم واصل بعد حصوله عى الثانوية العامة التحق بكلية التجارة جامعة القاهرة، بعد حصوله علي البكالوريوس التحق بالكلية الحربية عام١٩٤٠ وحصل علي العديد من الدورات في الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وأمريكا، ويعد من الضباط المصريين القلائل الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، وحرب فلسطين، و١٩٥٦ وكان وقتها قائدا لتشكيل مدرع. تدرج في العمل بالقوات المسلحة الذي استمر لأكثر من ربع قرن.

في حرب ١٩٦٧، كان عبدالمنعم واصل برتبة عميد وقاد اللواء ١٤ مدرع مساندا للواء ١١ مشاه في منطقة أم القطف وجبل لبنى بوسط سيناء ورفض الاستسلام للهزيمة وأدار معركة من أقوي المعارك وكبد القوات الإسرائيلية خسائر بلغت ٤٧ دبابة، ٦ عربات مجنزرة اعترف بها موشي ديان وغيره من قادة إسرائيل. وواصل دوره في اعادة بناء القوات المسلحة لخوض معركة النصر.

كان للفريق واصل دور كبير في صد الثغرة التي حدثت في الدفرسوار خلال معارك أكتوبر ١٩٧٣، ١٩٧٣.

في الثامن عشر من شهر فبراير ١٩٧٣ تم تكريمه ضمن الأبطال المكرمين في الجلسة التاريخية لمجلس الشعب حيث منحه الرئيس السادات أرفع الأوسمة العسكرية، ويعد من القادة العسكريين القلائل الذين منحوا وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.

في السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٧٤ تم تعيينه محافظا لسوهاج، وفي الثاني عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٧٦ تم تعيينه محافظا للشرقية وظل حتى شهر نوفمبر ١٩٧٨.

في يوم الجمعة السابع عشر من شهر مايو عام ٢٠٠٢ انتقل إلى الدار الآخرة، وشيع في جنازة عسكرية.

طلقة (١٧)

جاهزون للحرب



الحقائق تعلن عن نفسها !

ذهب الشاذلي يوم ١٨ أكتوبر إلى مقر قيادة الجيش الثاني وليس كما جاء على لسان السادات في كتاب البحث عن الذات انه ذهب يوم ١٦ المهم انه في يوم ١٨ كان للعدو خمسة ألوية مدرعة قرب القناة ولا يوجد في مواجهتهم سوى لواء مظلات و٤ كتيبة صاعقة حتى الكيلو ١٠١ طريق مصر السويس.. ولما وجدوا أن الطريق أمامهم سهلا زاد عدد الألوية المدرعة إلى سبعة وكان الأمر عسكريا يحتاج إلى مناورة بالقوات بتبديل أماكنها والواضح أن السادات هو الذي كان يدير الحرب نظرا لضعف شخصية إسماعيل ..

كان تطوير الهجوم يعتمد على دفع الفرقة ٢١ والفرقة الرابعة المدرعة من غرب القناة إلى الشرق واعتمدوا في الهجوم على ٤٠٠ دبابة في مواجهة ٩٠٠ دبابة للعدو بالإضافة إلى التفوق الجوي.. ونحن لا نملك القوة الجوية أو الدفاع الجوي فكيف تنجح هجوميا وسط هذا الظروف التي تؤكد الفشل وخسرنا في هذا اليوم ٢٥ دبابة وعادت قواتنا رغم انفها إلى رؤوس الكباري... وهل خففنا الضغط؟ طبعا لم يحدث وكنا نتحرك بـ٤ ألوية مقابل ٨ للعدو كيف نتعامل معه..

على الجانب الأخر ألقى السادات بالمسؤولية على أكتاف الشاذلي وحاول التهوين مما حدث وقال في مذكراته:

طلب مني احمد إسماعيل في منتصف ليلة ١٩اكتوبر أن اذهب إلى القيادة بصفتي القائد الأعلى لاتخذ قرارا مهما .. وذهبت واستعرضت الموقف فوجدت أن لنا خمس فرق كاملة في شرق القناة وعندنا ١٢٠٠دبابة في الشرق أيضا أما في الغرب فعندنا فرقة مدرعة تواجه إسرائيل وفي القاهرة فرقة يمكن سحبها هذا غير الحرس الجمهوري الخاص بي والذي أدخلته الحرب وقاتل قتالا مجيدًا وعاد كاملا بكل دباباته..

وبعدما اتضح الموقف جمعت القادة كلهم وكان معي الفريق أحمد إسماعيل والفريق الجمسي مدير العمليات والفريق حسني مبارك والفريق محمد علي فهمي

قائد سلاح الصواريخ وكانوا جميعا من رأيي وهو انه لم يحدث شيء يستدعى القلق فأعطيت الأمر الذي اعتبره أهم من قرار ٦اكتوبر بان لا ينسحب جندي واحد ولا بندقية واحدة ولا أي شيء على الإطلاق من شرق القناة وانه علينا أن نتعامل مع الغرب حسب الأوضاع الموجودة ثم بدأت اتصل بنفسي مع الفرقة المدرعة في الغرب وكان يقودها ضابط اسمه قابيل وهو بطل من أبطال أكتوبر وقلت له: ثبت الإسرائيليين ولا تجعلهم يتمكنوا من التوسع وإياك أن تشتبك معهم إلى أن تصلك الإمدادات وفي هذه الليلة أعطيت تعليماتي إلى احمد إسماعيل بعزل الشاذلي من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين وفي نفس العملية استدعيت الجمسي وعينته رئيسا للأركان.

لنسمع الجمسي

الأفضل وقد جاء ذكر المشير الجمسي أن نستمع إلى أقواله التي سجلها في كتابه حرب أكتوبر حيث يقول عن المشاركة العربية في الحرب:

يوم ١٠ أكتوبر أرسل العراق بالفرقة الثالثة المدرعة إلى سورية وفي نفس الوقت أعلن الأردن التعبئة العامة لخدمة المجهود الحربي وخصص لواء مدرع للاشتراك في القتال بالجبهة السورية وفي اليوم التالي قررت السعودية إرسال لواء مشاه إلى الأردن لدعم موقفه وعند يوم ١٣ تحرك اللواء المدرع الأردني في اتجاه سورية وبالتالي توقف الهجوم الإسرائيلي على سورية..

ومعنى هذا أن المبرر الذي قيل بان تطوير الهجوم سببه تخفيف الضغط على سورية غير صحيح وبالتالي فإن عملية تطوير الهجوم هذه تمت لأسباب أخرى غير التي ذكرها إسماعيل والسادات وهو كلام يصب في اتجاه الشاذلي ووجهة نظره وان كان هو شخصيا لم يفسر الموقف بهذا الدعم العربي لسورية كما جاء على لسان الجمسي رئيس هيئة العمليات.

كما أفاد الجمسي بأن السادات صباح يوم ١٠ أكتوبر أرسل مستشار الأمن القومي حافظ إسماعيل برسالة إلى الدكتور هنري كيسنجر وزير خارجية أميركا وصورة منها ذهبت إلى السفير السوفيتي في مصر يطالب في تلك الرسالة بوقف إطلاق النار وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ١٩٦٧ مع حرية الملاحة في مضايق تيران تحت إشراف الأمم المتحدة ووضع قطاع غزة تحت إشراف دولي.. وفشلت الرسالة لكنها تكشف أسلوب السادات وتفكيره في الاكتفاء بهذا القدر من الحرب وهو في قمة انتصاره ثم تحويل الورقة العسكرية إلى ورقة سياسية فهل اضطر إلى تطوير الهجوم بعد رفض اقتراحه!!

ونقفز إلى ما ذكره الجمسي تحت عنوان توقيت تطوير الهجوم وقال : لقد استثمر العدو الوقفة التعبوية ودعم قواته وأعتقد أن فترة الانتظار طالت أكثر مما ينبغي بين المرحلة الأولى والثانية من الخطة.

لكن الجمسي يعود ويعترف بان العدو غير من أسلوبه التكتيكي وتطور الموقف ليصبح في صالح إسرائيل ابتداء من يوم ١٠ وهو ما يناقض كلامه هو نفسه لأن تأثير الدعم العربي من العراق والأردن والسعودية لصالح سورية.

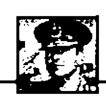
وفي صباح ١٢ أكتوبر اصدر احمد إسماعيل أوامره بتطوير الهجوم صباح اليوم التالي ١٣ مع التمسك برؤوس الكباري وبناء على طلب اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني واللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث وبعد استدعائهما إلى مركز عمليات القوات المسلحة ومقابلة القائد العام يوم ١٣ الأمر الذي ترتب عليه تأجيل عملية تطوير الهجوم ليكون يوم١٤ ..

ويعود الجسمي في مذكراته لكي يستشهد بما جاء في مذكرات الشاذلي وكأنه يبرئ ذمته تماما.. والجمسي له موقف يستحق أن نحكيه هنا.. فقد تم اتهام الشاذلي عند نشر مذكراته بأنه أذاع أسرارا عسكرية وحكمت عليه المحكمة العسكرية في عام ١٩٨٣ إبان حكم مبارك بالسجن لمدة ٣ سنوات مع الأشغال

الشاقة ولكنه كان منفيا في الجزائر بعد معارضته لاتفاقية كامب ديفيد وظل هناك حتى عام ١٩٩٢ وكانت الأحوال قد تغيرت في الجزائر وأوحى إليه البعض بان يعود إلى مصر ولا يخشى السجن.. ووثق في هذا الكلام لأنه من داخله كان يشعر بضرورة الدفاع عن نفسه من هذه التهمة الباطلة ويكفى تجاهله في تكريم أبطال أكتوبر وهو المهندس الحقيقي للحرب.. وعاد ليجد نفسه مقبوضا عليه وتم اقتياده إلى السجن الحربي..

وللأمانة أوصى المشير طنطاوي بمعاملته على أفضل ما تكون المعاملة لبطل اختلفت معه القيادة السياسية وتقدمت أسرته بعد ذلك بمذكرة لإلغاء الحكم وطلبت ابنته شهدان من المشير الجمسي وكان متقاعدا أن يدلى بشهادته ولكنه اعتذر لها بان ظروفه المادية ليست على ما يرام وان مبارك من الممكن أن يضايقه في معاشه الضئيل خاصة انه رفض علاج زوجته على نفقة الدولة وهو يعلم أن الجمسي لا يملك المال لسفرها إلى فرنسا.. ولكنه بمعاونة بعض الأصدقاء أرسلها هناك ولم يستطع أن يستمر معها توفيرا للنفقات ولما توفيت هناك طلبت من مصر للطيران أن تغير طائراتها التي تقلع من باريس مسارها لكي تحضر إلى ليون لاصطحاب جثمان رفيقته واستجابوا له لكن مبارك هاج وماج بعد أن علم بذلك والواقعة رواها الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في كتابة «مبارك وزمانه» ووقتها بكى الجمسي وتأثر بذلك للغاية... ونعود إلى شهد أن الابنة الكبيرة للفريق الشاذلي التي انصرفت من بيت الجمسي آسفة والتمست له العذر لكنها فوجئت في اليوم التالي بتواجده على باب المحكمة وقدم شهادته في أربع ساعات كاملة وكانت سببا في إلغاء الحكم عل الشاذلي وإسقاط التهمة عنه ..

لذلك تبدو شهادة الجمسي هنا مختلفة وهامة جدا خاصة في الجانب العسكري وهو رئيس هيئة العمليات ويقول عن الشاذلي: انتشرت شائعات كثيرة تقول أنني كنت من أنصار الاندفاع السريع نحو الشرق وراحت بعض وسائل



الإعلام العالمية تنشر هذه الشائعة ووصفوني بأنني رجل مظلي قوى وهجومي ..

وقد كنت دائما ضد فكرة تطوير الهجوم نحو الشرق سواء في مرحلة التخطيط أو في مرحلة إدارة العمليات الحربية

وهنا تتطابق وجهة نظره مع الشاذلي لكنه يعاتبه في مودة حول اعتراض الشاذلي على تطوير الهجوم في مرحلة التخطيط إلى قبل العبور

ويستشهد الجمسي بحديث دار بين المشير احمد إسماعيل والكاتب محمد حسنين هيكل ونشر بالأهرام في ١٨ نوفمبر١٩٧٣ ويستخلص منه هيكل ما يلي:

خطة الحرب لا خلاف عليها عسكريا وسياسيا وقد وضعت للوصول إلى المضايق كهدف نهائي للحرب.

لم تحتم هذه الخطة عمل وقفة تعبوية بعد اقتحام القناة وإنشاء رؤوس الكباري بل نصت على تطوير الهجوم شرقا للاستيلاء على المضايق بعد وقفة تعبوية أو بدونها حسب الموقف وكان تطوير الهجوم من أهم عوامل نجاحه لسرعة استغلال النجاح الذي تحقق وكلما كانت فترة الانتظار بعد إتمام المهمة مباشرة يوم ١٩ اكتوبر اقصد كان ذلك أفضل بكثير.

لقد كان القائد العام احمد إسماعيل حذرا أكثر مما يجب وأبطأ مما يجب الأمر الذي دعاه إلى الانتظار الطويل من يوم ١٠ إلى ١٣ اكتوبر وكان يرى كما قال على ألا أغامر وكان عليه أن يغامر بعد أن ضاعت منا فرصة استغلال النجاح بسرعة لتحقيق هدف استراتيجي..

يقع عبء إدارة العمليات الحربية لتنفيذ الخطة على القيادة العسكرية دون تدخل من القيادة السياسية وهو الأسلوب الصحيح لإدارة العلميات وقد حاولت خلال الحرب معرفة مبررات البطء في تطوير الهجوم شرقا.

وهل هناك قيد سياسي على القائد العام للقوات المسلحة يتطلب ذلك إلا أن

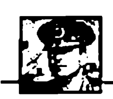


الفريق أحمد إسماعيل لم يفصح لي عن هذا القيد لو كان موجودا ثم اتضح لي بعد أن القرار كان سياسيا..

وكلام هيكل الذي استخلصه من حديثه المطول مع إسماعيل والـذي جـاء في خضم الأحداث وبعد أسابيع من حرب أكتوبر يؤكد وجهة نظر الشـاذلي في مسـألة تطوير الهجوم وكيف كان القرار سياسيا ويعكس الرأي في مخاوف إسماعيل وهو أيضا ما أشار إليه الشاذلي..

وهنا يجب الوقوف أمام كلمات إسماعيل نفسه في تصريحاته لهيكل وقـد قـال فيها:

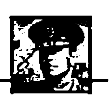
كانت معركة الدبابات خارج نطاق الصواريخ واضطر العدو إلى سحب جانـب من قواته في سورية واستمر طيرانه بعد أن قمنـا بتطـوير الهجـوم ولـذلك فضـلت لقواتنا أن تعود إلى رؤوس الكباري.. إلى مظلة الدفاع الجوي وهو مـا كـان يقولـه الشاذلي .. لكنه تحقق بعد فوات الأوان!!



خارج السياق (عندما تكلم فوزي):

هو الرجل الذي تولى حقيبة الحربية بعد انتحار المشير عبد الحكيم عامر وبدأت معه أولى خطوات إعادة بناء الجيش المصري مواليد ١٩١٠ بمدينة المنوفية وأصوله شركسية وكان والده ضابطًا كبيرا بالجيش وجده ياور خديوي مصر كان رئيس أركان حرب الجيش المصري خلال حرب ٦٧ وتولى صفوف الجيش وتم عزله من منصبه بعد وصول السادات إلى الحكم وجرى اعتقاله مع مجموعة من المسؤولين بتهمة التآمر ضد السادات فيما عرف بانقلاب ١٥ مايو .. عرف عنه الحزم إلى درجة الشدة وأمر مبارك بعلاجه على نفقة الدولة وتوفي في ١٦فبراير٢٠٠٦ وكان مبارك مقدمة مشيعيه وقد دارت معه مقابلة صحافية قبل وفاته بفترة قصيرة وكان في مقدمة الأسئلة سؤالاً حول الثغرة وكيف تم معالجتها ومن يتحمل مسؤوليتها في المقام الأول وكذا سؤال حول حرب ٥يونيو ١٩٦٧.. فقال:

المسؤول عن الثغرة هو الرئيس محمد أنور السادات إذ انه يوم ١٢/ ١٠/ ١٩٧٣ اصدر قرارا رئاسيا خاطئا من الناحية العسكرية أدى إلى الثغرة ويعتبر الفريق سعد الشاذلي كبش فداء لهذه العملية وبدل أن يوجه الاتهام إلى القائد العام جعل الشاذلي كبش فداء لكن الخطأ الأساسي من أنور السادات بإصداره القرار يوم ١٢/ ١٠/ ١٩٧٣ وهو خاطئ عسكريا عرض امن القوات المسلحة في جبهة قناة السويس إلى الخطر الأمر الذي استغله الإسرائيليون ونفذوا خطة الثغرة التي كانت معروفة لنا من سنة ١٩٧١ وكانوا يسمونها الغزالة وتدربت عليها القوات المصرية تدريباً يسمح بفشل أي هجوم عليها ولكن الظروف تغيرت واغلب القادة دخلوا السجن ومن حل محلهم لم يحضروا حرب الاستنزاف بالكامل لا المشير أحمد إسماعيل ولا الشاذلي الذي كان موجوداً في منطقة البحر الأحمر وجميع قادة الفريق أحيلوا على المعاش مع احمد إسماعيل بعد سنة ١٩٦٧



فكل الأوراق والوثائق الخاصة بعمليات حرب الاستنزاف ضد العدو بما فيها حكاية الثغرة كلها كانت موجودة ورغم ذلك حصلت ، شارون علم منطقة الاختراق بحجر احمر وهي تمتد ٦كلم سنة١٩٧١ ولما حصلت الغلطة التي ارتكبها السادات كان ديان موجوداً في الجانب الأخر وربت على كتف شارون وذلك بعدما زودته الطائرات بصور وقال له يبدو انك ولدت وفي فمك ملعقة ذهب ، نفذ الخطة ونفذت الخطة ونجحت .

طلقة (١٨)

النصر قريب يا رجال



نعم لإسرائيل .. لا لأمريكا !



«في يوم ١٩ أكتوبر بعد اجتماعي بالقادة عدت إلى قصر الطاهرة وبدأت في الحال تنفيذ قراري طلبت منهم أن يستدعوا السفير السوفيتي والى أن حضر كتبت برقية إلى الرئيس الأسد قلت فيها إنني قبلت وقلبي ينزف دماً مبدأ وقف إطلاق النار لأني مستعد أن أصيب إسرائيل مهما طال الوقت لكنني غير مستعد على الإطلاق لمحاربة أميركا كما أني لا أسمح بأن تدمر قواتي المسلحة مرة أخرى أو أن يدمر شعبنا ومنشأته وفي أخر البرقية قلت له إنني مسؤول عن هذا القرار يحاسبني عليه الشعب في مصر وتحاسبني عليه امتنا العربية...

وجاء السفير السوفيتي فقلت له: لقد قبلت وقف إطلاق النار على الخطوط الحالية.. في هذا الوقت كان كسينجر في طريقة إلى موسكو بشأن عملية وقف إطلاق النار فاستأنفت حديثي مع السفير وقلت له: الدولتان العظيمتان يجب أن تضمنا وقت إطلاق النار والتنفيذ الفوري لقرار ٢٤٢ وبالفعل تقرر وقف إطلاق النار في السابعة مساء ٢٢ أكتوبر ويجب هنا أن أقر حقيقة للتاريخ أن قواتنا قاتلت من ١٩ إلى ٢٢ أكتوبر قتالا رائعا مجيدا وأنا أتحدى إسرائيل أن تعلن عن خسائرها الحقيقية في الثغرة».

* إنها كلمات السادات في مذكراته... ولاحظ انه ناور بمسألة وقف إطلاق النار يوم ١٠ أكتوبر ثم يوم ١٩ أي انه كان يريد وفقا لوجهة نظره السياسية أن يحافظ على انتصاره العسكري ويستثمره سياسيا وتخرج قوات مصر بأقل خسائر ممكنة عسكريا واكبر المكاسب سياسيا حتى نرصد حقيقة الثغرة من جميع الزوايا بما لها وما عليها.. أعود للحديث الصحافي للمشير احمد إسماعيل مع هيكل حيث قال: نعم لقد تضاربت الآراء حول الثغرة وفي البداية قلنا أنها سبع دبابات عبرت ثم قلنا إننا احرقنا معظمها ثم قلنا إننا انذرنا الباقي بالاستلام أو الدمار وفجأة بدأت بياناتنا تتحدث عن القتال على ضفتي قناة السويس هذا على صعيد البيانات وكنت احذر دائما من البيانات المضللة وما حدث يعود إلى يوم ١٦ أكتوبر وكنت في مجلس الشعب وعرفت أن عناصر تسللت عبر دبابات برمائية وكنت أعرف أن

القضاء عليها ممكن جدا والقائد المسؤول عن تلك المنطقة حرك كتيبة صاعقة ولكن العدو استطاع أن يخفي دباباته المتسللة في منطقة الثغرة وبها حدائق فاكهة ساعدته على ذلك والعدو استمات وألقى بثقله في الثغرة وكان على استعداد لتحمل أي خسائر لتحقيق هدفه ربما كان يريد ارغامنا على سحب قواتنا من الشرق وذلك ما لم نكن نريده وقد عرف بصدور قرار وقف إطلاق النار وإراد أن يبعثر قواته في اكبر مساحة ممكنة بأسلوب حرب العصابات والدبابات وإنني اسلم بان فترة الثغرة كانت غير طبيعية بالنسبة للقوات المسلحة.

عودة إلى الشاذلي

المصيبة أن رئيس الجمهورية فى بلادنا إذا قال شيئا فان الإعلام بالتالي يصدق عليه ويعتبر ما عداه من الأكاذيب.. هكذا يقول الشاذلي ويضيف: عبرت فرقة شارون كاملة وهي مكونة من لواءين مدرعين وليس مجرد سبع دبابات كما قالوا.

لكن بطولات رجالنا كانت حاضرة فهو لم يستطع بهذه الفرقة أن يصل إلى الإسماعيلية حيث تصدى له لواء مظلات مع كتبتين صاعقة ونجحوا في إيقاف فرقة مدرعة هذه حقائق وعلامات يجب أن تكتب بأحرف من نور في تاريخ العسكرية المصرية واذكر أن قائد المظلات هو إسماعيل عزمي وقائد الصاعقة على ما اذكر أسامة..

ويطالب الشاذلي بالعودة إلى السجلات الرسمية لمركز ١٠ الخاصة بالقيادة العامة والذي يتم فيه توثيق تحركات القادة متى وصل؟ ومتى ذهب؟ إنها الوثائق الرسمية لكل ما جرى في ساحة المعركة.

في يوم ٢٠ كان الوضع في غاية السوء كما يقول الشاذلي وقتها ترك قيادة الجيش الثاني وكان العدو له خمسة ألوية..

واقترحت سحب أربعة ألوية من الشرق وبذلك نتفوق عدديا على العدو لان لنا

لواءين في الغرب ومعناه أن لنا ستة.. ومع يوم ٢١ تم حصار الجيش ولكن احمد إسماعيل كانت لديه عقدة سحب الجيش من البر الشرقي ولما اشتعل خلافي معه طلبت الاحتكام إلى السادات باعتباره القائد الأعلى وكان هدفي أن يوثق كل شيء للتاريخ وكل فرد يتحمل مسؤولياته وقال السادات غير ذلك في كتابه.. وعموما وصل السادات فعلا حوالي ١١.٣٠ مساء ودخل غرفة احمد إسماعيل واستمر معه في نقاش لمدة ساعة وللدقة يجب أن نذكر بان مساحة الثغرة في يوم ٢٠ بعمق ١٠:٢٠ كيلو متر ولم تصل إطلاقا إلى طريق السويس وغير صحيح ما ذكرته بعض المصادر الصحافية حول ما جرى في هذا اليوم لكن حقيقة الأمر أن طريق السويس تم قطعه يوم ٢٤ وتم حصار الجيش الثالث ولذلك يتحدث السادات عن الثغرة دون تحديد دقيق للتواريخ والأيام مع أن كل لحظة لها أخبارها وأحداثها.. وكان واضحا أن السادات بدأ يتجاهل الشاذلي لمعرفته المسبقة بوجهة نظره.

المشهد هذا بحواره الذي كان بين طرفين هما احمد إسماعيل والشاذلي له الكثير من الدلالات لأمور كثيرة تخص الشخصين والأحداث: ويجب أن نعرف بان تاريخ المشهد يعود إلى أربعة أسابيع قبل حرب أكتوبر وهذا هو نصه:

إسماعيل: أخيرا سنقوم بالحرب فإذا سارت الأمور على ما يرام فأن أحدا لم يهتم بتوجيه كلمة شكر لنا أما إذا تطورت إلى موقف سيء فأنهم سيبحثون عن شخص يلقون عليه المسؤولية!

سعد: أنا شخصيا لا يهمني أن أتلقى كلمة شكر أو لا أتلقى أن سعادتي في أرضاء نفسي ولا أخشى كلمة لوم لأني متيقن من ذلك بإذن الله.

المدهش في هذا الحوار أن الشاذلي الذي على كان دراية كاملة بقوة العدو ويردد ذلك كثيرا هو الأشد ثقة في الله وفي تفكيره وكان يدرك أن الحرب مع إسرائيل يعنى الحرب مع أميركا أيضا لان القائد العسكري لابد أن يكون على دراية بالأوضاع من حوله ففي مسار ٩ أكتوبر نقل كيسنجر وزير الخارجية الأميركي إلى

السفير الإسرائيلي قرار الرئيس الأميركي بإرسال جميع قطع الغيار والمعدات المطلوبة وتعويض كل ما تفقده إسرائيل من طائرات ودبابات إلى جانب إرسال دبابات طراز م-٦٠ وهي الأحدث وأقيم لذلك الجسر الجوي ابتداء من ١٣ أكتوبر بأوامر من نيكسون وكانت إسرائيل قد استهلكت مخزونها الاستراتيجي من السلاح ولم تستطع طائرات الجامبو المملوكة لشركة العال الإسرائيلية أن تفي بالغرض وتنقل الأسلحة لذلك تم استئجار طائرات نقل مدنية إلى جزر الازور في المحيط الأطلسي ومنها إلى تل أبيب وتقول الأرقام:

استخدمت أميركا لتنفيذ الجسر الجوي ٢٢٨ طائرة نقل منها ٥١ طائرة إس٥ وعدد١٧ من طراز إس١٤١.. ونفذت هذه الطائرات ٥٦٩ طلعة وصلت إلى إسرائيل تحمل الكميات الآتية:١٤٧ طلعة بواسطة طائرة إس ٥ مصر نقلت ١١ ألف طن من الاحتياجات ، ٤٢٢ طلعة بواسطة طائرات إس ١٤١ نقلت ١١.٥ ألف طن من العتاد الحربي.

وحدد وزير الدفاع الأميركي عدد الطائرات التي يسمح بهبوطها في إسرائيل في اليوم الواحد بعدد ٢٣ طائرة كحد أقصى لاعتبارات سياسية منها ٦ طائرات إس٥، ١٧طائرة س١٤١.

استمر الجسر الجوي لمدة ٣٣ يوما اعتبارا من ١٣ أكتوبر وحتى ١٤ نوفمبر استخدم فيه حوالي ٢٤ في المائة من حجم طائرات النقل التابعة لقيادة النقل الجوي في اليوم الواحد طوال مدة عمل الجسر.

تمكن الجسر الجوي من نقل ٢٢.٤٩٧ ألف طن من الأسلحة والمعدات والذخيرة إلى إسرائيل.

إلى جانب الجسر الجوي أنشأت أميركا جسرا بحريا يوم ٢ نوفمبر بحمولة ٢٣.٢١٠ ألف طن من الدبابات والمدافع والعربات وبلغ إجمالي ما تم نقله ٧٤ في

المئة من خطة الإمدادات وقد تكلف الجسر الجوي ٨٨.٥ مليون دولار وبلغت الإمدادات ذروتها أيام ١٥،١٦،١٧،١٨ أكتوبر لدعم الثغرة ومن دون ذلك ما أمكن لإسرائيل أن تحقق نجاحا يذكر في الثغرة.. والأرقام سالفة الذكر نشرها الجمسي في مذكراته مستنداً إلى تقرير مراقب عام الدولة الأميركي.

وعلى الجانب الأخر يعرض الشاذلي فاتورة الدعم العربي لمصر وسورية في الحرب بشيء من التفصيل وقد تصدرت العراق الدول العربية التي قدمت لمصر عدة أسلحة قبل الحرب تمثلت في سرب طائرات هوكوهنتر وفرقة مدرعات وفرقة مشاه كما بعث بسربي طيارات على الجبهة السورية أما الجزائر فقدمت إلى مصر سرب ميغ٢١ وأخر سوخوي وثالث ميغ١٧ أما ليبيا فقدمت سربي ميراج احدهما يقوده طيارون ليبيون والأخر يقوده طيارون مصريون كما قدمت السعودية معدات وطائرات وذخيرة وكذلك فعلت المغرب وشارك لواء سوداني في الحرب.

ولو تم مقارنة المدد الأميركي بالمدد العربي سنجد أن المقارنة ليست منصفة.. ومع ذلك كانت الثقة هي النقطة الفاصلة في العقيدة القتالية التي حاول الشاذلي أن يبثها في روح جنوده وضباطه وقد بلغ بهم اليأس مداه بعد النكسة لاسترداد الأرض وتلقين العدو المتغطرس درساً من خير أجناد الأرض وقد إصابه الغرور بتلك الحرب التي كسبها عام ١٩٦٧ بدون نزال أو تنافس ميداني حقيقي.. فهل يعقل بعد ذلك أن يقول أحمد إسماعيل وهو على فراش المرض يعاني آلام السرطان أمام السادات:

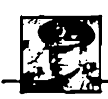
والله يا فندم لقد عاد رئيس الأركان سعد الشاذلي من الجبهة ويقول من الضروري أن نسحب الجيشين الثاني والثالث من سيناء لان اليهود قد دخلوا الثغرة وأنهم سيطوقون الجيشين وان شيئا مروعاً من الممكن أن يحدث ولابد من الانسحاب حفاظا على القاهرة وبناء على ذلك تم عزل الشاذلي.. لكن كمال حسن علي قائد المدرعات له رأي أخر يكشف الكثير من الأوراق!

طلقة (١٩)

كل جندي له دوره



تفاصيل الأخطاء الجسيمة !



«في رأيي أن قرار تطوير الهجوم لم يجانبه التوفيق ليس في التوقيت فحسب وإنما في استخدام الاحتياطات المدرعة في القيام بهذا الهجوم الجديد، فالمعروف من المبادئ الأولية لاستخدام المدرعات أن الدبابات ليست أنسب الأسلحة لمهاجمة النقاط المحصنة إذ أنها بهذه الطريقة سوف تفقد أهم خاصية في استخدام المدرعات وأقصد بها استغلال خفة حركتها وقدرتها على الاندفاع والاختراق للوصول إلى عمق دفاعات العدو لإرباكه بعمليات التطويق والالتفاف حول مؤخرة خطوطه الدفاعية ولذلك يجب دفع الدبابات لمهاجمة المناطق الضعيفة لا المناطق المحصنة ما يعرضها لنيران كثيفة تكبدها خسائر فادحة وبالمصادفة كان قائدا الجيش الثاني والثالث من ضباط المدرعات فطنا إلى هذه النقطة ونبها القيادة العامة إليها ولكن كان من الواضح أن قرار الهجوم قد تقرر سياسياً للتخفيف عن الجبهة السورية وبدلاً من أن يتم تطوير الهجوم بجميع وحدات فرق المشاة الرئيسة فقد اكتفى بدفع الاحتياطات المدرعة من غرب إلى شرق القناة الأمر الذي أدى إلى كشف المنطقة خلف الجيوش الميدانية في غرب القناة مما يعرض هذه الجيوش لاختراق المدرعات الإسرائيلية للغرب وتهديد مؤخرة الجيوش وهذا ما حدث بالفعل بعد تطوير الهجوم لقد كان تطوير الهجوم محكوماً عليه بالفشل منذ البداية»..

هذه هي وجهة نظر جديدة صاحبها اللواء كمال حسن علي قائد المدرعات في حرب أكتوبر، ورئيس الوزراء فيما بعد، وذكر هذا في كتابه «مشاوير العمر».

ولأن الثغرة نقطة تحول تاريخية في مسار حرب أكتوبر اختلفت حولها وجهات نظر كبار القادة سياسياً وعسكرياً، كان ضرورياً النظر إليها بعين الاعتبار من جميع الزوايا وكان ضحيتها الشاذلي ولأنه بطل هذه الحلقات كان واجباً أن نطرح الموضوع بجميع الآراء ولها جميعاً كل الاحترام وعلى القارئ أن يستنبط ولو أن الحقيقة في نهاية المطاف ستتحدث بنفسها عن نفسها.

الأخطاء القيادية

في مذكراته وفي الفصل رقم ٤١ يكتب الشاذلي تحت عنوان الأخطاء القيادية

الجسيمة يقول:

• أطالب بإلغاء منصب القائد العام للقوات المسلحة هذا المنصب الذي لا نجد له مثيلاً في دول العالم الثالث المتخلفة.

• لو أن السادات لم يرتكب جريمة في حق الوطن سوى أنه عين أحمد إسماعيل قائداً عاماً للقوات المسلحة وهو يعلم أنه كان مريضاً بالسرطان لكان ذلك كافياً لإدانته بارتكاب جريمة الخيانة العظمى في حق الوطن.

• أن القائد الذي يخشى أن يسحب جزءاً من قواته من القطاعات غير المهددة للزج بها في القطاعات المهددة بحجة أن ذلك قد يؤثر على الروح المعنوية هو قائد انهزامي ولن ينجح قط في تحقيق أي نصر في أي معركة.

• لقد عارض السادات وأحمد إسماعيل اقتراح الشاذلي سحب الفرقة المدرعة واللواء ٢٥ المدرع من الشرق إلى الغرب يوم ١٦ ولكنهما قاما بسحب الفرقة الرابعة المدرعة يوم ١٩ وعارضا اقتراح الشاذلي بسحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب يوم ٢٠ ولكنهما قررا الأخذ بهذا الاقتراح يوم ٢٨ أكتوبر وفي الحالتين جاء القرار متأخراً ولم يحقق الهدف من هذه المناورات. لماذا لم تشكل لجنة قضائية عليا حتى الآن لتقصي الحقائق عن حرب أكتوبر كما حدث في إسرائيل ويحدث في الدول المتحضرة في أعقاب كل حرب؟!.

ويواصل الشاذلي قائلاً: فكرت كثيراً قبل أن اختار عنوان هذا الفصل «الأخطاء القيادية الجسيمة» وكان العنوان الذي في رأسي أول الأمر هو أخطاء السادات وأحمد إسماعيل، حيث إنهما هما اللذان ارتكبا تلك الأخطاء دون غيرهما، غير أن المناقشات والتصريحات التي أدلى بها بعض القادة وبعض المحللين العسكريين بعد الحرب كان بعضها يؤيد هذه الأخطاء، وحيث أن تلك الأخطاء هي التي سوف أسردها تتعارض مع أصول العلم العسكري وما نقوم بتدريسه لأبنائنا في الكليات والأكاديميات العسكرية فقد خشيت أن يقتنع بعض القادة الحاليين



وبعض طلاب العلوم العسكرية بتلك الأخطاء فتكون مصيبة كبرى بالنسبة لمستقبل مصر والبلاد العربية ولذلك فقد اخترت العنوان الذي ذكرته ليكون في الوقت نفسه رداً لكل من يؤيد تلك الأخطاء بالصمت أو بالكلمة.

العسكرية والسياسة

المحافظة على الغرض مبدأ أساسي من مبادئ الحرب، بل إنها هي المبدأ المحوري الذي تتأثر به جميع مبادئ الحرب الأخرى ولذلك فإن المهمة التي تخصص للقوات المسلحة يجب أن تكون واضحة وأن تكون في حدود إمكاناتها، وحيث أن الحرب هي امتداد للسياسة بوسيلة أخرى فإن القيادة السياسية هي التي تخصص المهمة التي تكلف بها القوات المسلحة، ولكن القيادة السياسية تلجأ عادة إلى مناقشة هذه المهمة مع القادة العسكريين قبل إصدارها حتى تضمن إمكان نجاح القوات في تنفيذها ومنذ اليوم الأول لميلاد الخطة الهجومية المآذن العالية في أغسطس ١٩٧١ كان القيادتان العسكرية والسياسية على قناعة بحقائق ثلاث: هي تفوق العدو الساحق في مجال القوات الجوية وتفوقه في مجال الحرب البرية الخفيفة الحركة BLITZKRIEG كنتيجة حتمية لتفوقه الجوي وفي وسائل الاتصال المؤمنة في الجو والأرض، والثالثة والأخيرة في هذه الحقائق أن أميركا تؤيد إسرائيل تأييداً مطلقاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وفي ظل هذه الحقائق كان يجب أن يكون الهدف متواضعاً حتى أن الرئيس السادات كان يقول في مؤتمر القادة قبل الحرب: أريد منكم أن تنجحوا في احتلال عشرة سنتيمتر على الضفة الشرقية وأن تحتفظوا بها وسوف يؤدي هذا إلى تعديل كبير في موازين القوة سياسياً وعسكرياً.

هذا الكلام معناه أن السادات دخل الحرب مرغماً، حيث لم يكن هناك أمامه من بدائل سواها، وقد أدرك تماماً أن سياسته لن تنجح إلا إذا تحركت أزمته مع إسرائيل بنوع من القوة يجبرها على اللجوء إلى الحلول السياسية بل أن كيسنجر في رحلاته المكوكية الشهيرة اعترف له بذلك صراحة.

تغيير النظام

يرى الشاذلي لفض الاشتباك بين ما هو عسكري وسياسي أن يتم تعيين رئيس الأركان بعد موافقة مجلس الشعب عليه كما يحدث في أميركا.

وقد ابتكرت أنظمة العالم الثالث وغالبيتها غير ديمقراطية مسمى القائد العام للقوات المسلحة في عدة نماذج: أولها إسناد الوظيفة إلى وزير الدفاع فيصبح لقبه وزير الدفاع والقائد العام، والنموذج الثاني أن يحتفظ رئيس الدولة بلقب القائد العام ويصبح وزير الدفاع هو نائبه، والنموذج الثالث أن يحتفظ رئيس الدولة بمنصب وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ويلغي منصب رئيس الأركان ويستبدله بمنصب ذي صلاحيات محدودة يسمى أمين عام وزارة الدفاع، أما النموذج الأخير يلغي فيه منصب وزير الدفاع ورئيس الأركان ويمارس رئيس الدولة سلطات المنصبين من خلال إحدى مديري مكتبه وهذه النماذج وإن اختلفت في الشكل لكنها تتفق في المضمون وهو تمكين رئيس الدولة من ممارسة أكبر قدر من السيطرة على الجيش وفقًا للنموذج الأول وهناك إجماع في الرأي على أن القيادة السياسية هي التي تحدد مهمة القوات المسلحة ولكن جرت العادة أن يتم التشاور بين القيادتين السياسية والعسكرية قبل تخصيص المهمة حتى تكون في حدود إمكانياتها أما بعد ذلك فيجب أن لا تتدخل القيادة السياسية في الأمور الفنية وإن كان هذا لا يمنع من التشاور المستمر للصالح العام.

قد يكون من السهل على النقاد أن يتهموا السادات بالجهل لأنه لم يخدم في القوات المسلحة سوى ثلاث سنوات وهو برتبة الملازم والنقيب في بداية الأربعينيات ولأنه لا يحب أن يجهد نفسه في القراءة والبحث ولكن هذا لا ينطبق على أحمد إسماعيل فلا أحد يستطيع أن يشكك في علمه وثقافته العسكرية رغم خلافي الشهير معه وإن كان قد اشتهر بجموده الفكري وخوفه من تحمل المسؤولية ولكن هل من الممكن أن يصل الجمود إلى حد إهمال مبدأ عام من مبادئ الحرب لا يمكن تحقيق أي نصر بدونه وهو المناورة بالقوات بمعنى تحريكها من أماكنها، ولكن في يوم ٢٥ أكتوبر أمر الفرقة

الرابعة المدرعة بفك حصار الجيش الثالث بينما كانت ألوية العدو غرب القناة تقدر بحوالي ثلاث فرق مدرعة وكان يملك زمام الجو ولولا تمردي ورفضي توقيع هذا الأمر لتم تدمير هذه الفرقة. والبحث عن الأخطاء في حرب أكتوبر التي حققنا فيها نصراً عسكرياً عظيماً الهدف منه ألا تعيش الأجيال المقبلة في وهم التفوق الزائف ويجب أن تستفيد من تلك الأخطاء وتعمل على عدم تكرارها. وآن الأوان بعد كل هذه السنوات من الحرب لأصحاب الآراء المختلفة أن يجلسوا إلى بعضهم البعض وأن يناقشوا فقط الخلاف على الملأ بنية الوصول إلى ما هو صحيح وتأكيده وإلى الخطأ وتجنبه وأن يتم ذلك في مناظرات علنية ونحن لسنا في حاجة إلى استدعاء خبراء أجانب فلدينا الكثير منهم ولكن بشرط أن يتم ذلك في مناخ ديموقراطي وألا يضار صاحب رأي برأيه، والمناظرة التي أقصدها وأعنيها ليست مثل تلك التي جرت عام ١٩٧٥ وكان هدفها الدفاع عن الأخطاء التي ارتكبتها القيادة السياسية والعسكرية خلال الحرب، والتاريخ لن يرحم ما جرى من تزييف للحقائق فهل من مناظر؟! كانت تلك الدعوة التي أطلقها الشاذلي في ختام مذكراته هي أقرب إلى المثالية، فقد كان نظام مبارك يتعمد تجاهل وشطب اسمه، بل وتنافس بعض المحررين العسكريين نفاقاً له كرئيس للدولة أن اختصروا حرب أكتوبر كلها في الضربة الجوية ولا ينكر أحد على المستوى التاريخي دور مبارك كقائد للقوات الجوية، لكن الانتصار تحقق بفضل جهد جماعي ومن الظلم أن ننسبه لفرد دون غيره.

ورغم أن السادات أدرك فيما بعد كارثة الدفرسوار إلا أن الآراء التي طرحت عليه للتغلب عليها كانت صحيحة وكانت وجهة نظره هي الخاطئة لذلك أراد بعدها أن يبحث عن كبش فداء، بعد أن اتضح له وللجميع أن مسألة تطوير الهجوم كما قلت له: كارثة وفي اجتماع جرى بالقيادة العامة قال لي السادات أن وجودك في الجيش الثاني يا سعد ليلة ١٨ أكتوبر كان سبباً في الثغرة وكان ردي بكل ثقة: يجب أن نحدد من هو المسؤول يا سيادة الريس وكنت أعني ما أقول، حتى قال لي أحمد إسماعيل بعد انتهاء الاجتماع ووداع الرئيس: كيف تخاطب رئيس الدولة بهذا الأسلوب!!

خارج السياق : (اعرف عدوك)

موشيه ديان، وزير الدفاع الإسرائيلي حتى عام ١٩٧٤، ظل لعِقد من الزمان رمزاً للحماية المقدسة لليهود وحامي نجمة داوود المقدسة، ولد في فلسطين ويعتبر من الصابرا الجيل الإسرائيلي الذي ولد في فلسطين ولم يشهد الشتات ، كان والده من رواد الاستيطان وقد عاش لفترة في إحدى مزارع الموشاف ودرس الزراعة بها وانضم للهاجاناه وعندما بلغ ١٤ عاماً، التحق دايان بمنظمة الهاجاناه العسكرية والبالماخ في بداية تكوينها قبيل الحرب العالمية الثانية. وعمل مع مجموعات الحراسة التي نظمها الانتداب البريطاني لمواجهة المظاهرات العربية، كما اشترك في الوحدات التي نظمها وينجت للحراسة الليلية وتأثر بنشاطه في العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية، وقبضت عليه السلطات البريطانية لنشاطه السرى فى الحركة الصهيونية المسلحة عام ١٩٣٩ وأفرج عنه عام ١٩٤١ لكى يقود جماعات البالماخ التي كانت مكلفة بمهام استكشافية وليست قتالية إبان الغزو البريطاني حين فقد عينه اليسرى في اشتباك مع القوات التابعة لحكومة فيشى، وقد عمل مع المخابرات البريطانية في إقامة شبكة إذاعية تعمل في حالة وقوع فلسطين تحت الاحتلال الألماني، كما عمل كضابط اتصال وتخابر مع البريطانيين في القدس حتى١٩٤٤، وفى حرب ١٩٤٨ قاد ديان عمليات القوات الصهيونية في وادي الأردن كما قاد القوات التي استولت على اللد والرملة وعمل في جبهة القدس. قبل اشتراكه في محادثات رودس ١٩٤٩ مع الأردن كرئيس للوفد العسكري في لجان الهدنة المشتركة، وفى عام ١٩٥٠ عين قائدا للقطاع الجنوبي، ثم قائدا لقطاع الشمال، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات الحربية، وفى عام ١٩٥٢ تولى رئاسة الأركان العامة ثم رئاسة أركان الجيش عام ١٩٥٣ وبهذا يكون قد تولى أهم المناصبَ الرئيسة في الجيش الإسرائيلي، وقد قام ديان بتدبير سلسلة من الأعمال الانتقامية ضد مصر وسوريا والأردن ولبنان عام ١٩٥٥، ويبدأ نجمه في الصعود بعد توليه قيادة حملة سيناء عام ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي). وفي أواخر عام



١٩٥٧ درس القانون والاقتصاد و العلوم السياسية، وقد تولى دافيد بن جوريون حضانة ديان سياسياً فدخل الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٥٩، وأسندت إليه وزارة الزراعة في عام ١٩٥٩ إلا أنه ترك اوزارة عام ١٩٦٤ على أثر نشوب خلاف بينه وبين ليفى أشكول، وما لبث أن انشق عن الماباي مقتفيا خطى بن جوريون لتكوين حزب رافى، وذهب بعد ذلك إلى فيتنام الجنوبية لدراسة أسلوب مقاومة الشعب الفيتنامي للجيش الأميركي الذي يستخدم معدات حربية متقدمة، وقد كان لآراء ديان بصدد ضرورة التفوق العسكري الإسرائيلي كأسلوب للتعامل مع الدول العربية المجاورة أكبر الأثر في تدعيم التصور الصهيوني للأمن وفي تزايد سطوة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وقد كان من الطبيعي أن يتولى وزارة الدفاع الإسرائيلية في أغسطس ١٩٦٦ أبان إعداد إسرائيل لشن حرب يونيو ١٩٦٧ . وفي الفترة التالية للحرب صار ديان رمزاً لتسلط فكر المؤسسة ا عسكرية على المجتمع، وتولى إدارة الأراضي المحتلة من خلال الحكم العسكري وباعتباره وزيرا للدفاع كان ديان مسؤولا عن تنفيذ سياسة إسرائيل تجاه الأراضي العربية المحتلة باستخدام أسلوب العقاب الجماعي ونسف المنازل وتبني سياسة الجسور المفتوحة والردع الجسيم ضد الفدائيين الفلسطينيين في أعقاب أي من عملياتهم العسكرية .

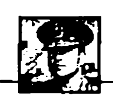
وفي أيامه الأخيرة أبدى مواقف معارضة لأي تنازلات للعرب قد تقوم بها وزارة رابين، وكان موشيه ديان سببا في تهجير العديد من يهود المغرب واليمن والحبشة الفالاشاه إلى إسرائيل، وكان من أهم ألقاب موشيه ديان في إسرائيل لقب «حامل المينوراه».

طلقة (٢٠)

سنحاربهم .. برًا وبحرًا وجوًا



وداعًا أيها الجيش !



في حياة الفريق الشاذلي الكثير من المنعطفات قد تكتشف بعضها وأنت تتوغل في السيرة، وقد لا تكتشف البعض الآخر منها، إلا بعد معاناة ومشقة وفي كل الأحوال حتى تمتلك السيرة بين يديك، عليك أن تتسلح بمعرفة كاملة، عن العسكرية والسياسة والدين ونفوس البشر.

وفي الرحلة تواريخ ضد النسيان منها ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ وهو التاريخ الذي خلع فيه الشاذلي مرغماً البدلة العسكرية بعد ٣٣ عاماً من الخدمة بلغ فيها رتبة الفريق ورئاسة أركان جيش أي الرجل الثاني في المنظومة العسكرية.

فهل يختلف المقاتل في ميادين الحرب عن الدبلوماسي في مضمار العمل السياسي والمناورة بالأقوال.

نعم أراد السادات إبعاده عن الجيش لكنه ربما أحس بالذنب بينه وبين نفسه، وأسند إليه مهمة دبلوماسية في عاصمة مهمة هي الثانية عالمياً، إنها لندن وهو سفيرنا هناك ومع ذلك لم يقبلها الشاذلي من أول مرة ورفضها وفي ذلك قصة تستحق أن تحكي بالتفاصيل، والحقيقة أن الحياة العسكرية أخذت بيده نحو الدبلوماسية في وقت ما وكما سنرى.

في يوم ٣٠ من يوليو ١٩٧١ وفي اجتماع عادي لمجلس الجامعة العربية في القاهرة أديت اليمين القانونية بصفتي الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشؤون العسكرية، وبموجب هذا المنصب فإني أصبح رئيساً للجنة الاستشارية العسكرية للجامعة العربية والتي تتكون من رؤساء أركان حرب القوات المسلحة في جميع الدول العربية، وأقوم بتقديم توصيات اللجنة الاستشارية إلى مجلس الدفاع في الدول العربية، وقد بدأت عملي في هذا المنصب بأن قمت بدراسة دقيقة لمعاهدة الدفاع المشترك ولجميع المحاضر والقرارات التي اتخذت منذ عقد هذه المعاهدة، وقد خرجت من هذه الدراسة بأربع نقاط رئيسة، كانت النقطة الأولى هي التحمس الواضح والخطب الرنانة التي كانت تلقى خلال هذه

الاجتماعات من جميع الأعضاء، ثم القرارات القوية التي يتخذها المجلس حتى ليتصور المرء ورجل الشارع العربي أن كل شيء يسير على أحسن ما يكون، وكانت النقطة الثانية هي أن الدول العربية سواء كانت من دول المواجهة أم من غير دول المواجهة كانت تنظر إلى الدعم العربي على أنه معونة مالية فحسب، وكأن كل ما تطلبه دول المواجهة هو الدعم المالي، وكانت الدول العربية الأخرى تعتقد أنها بتقديم الدعم المالي لدول المواجهة قد أدت دورها النضالي نحو القضية العربية، وكانت النقطة الثالثة هي عدم فاعلية قرارات مجلس الدفاع المشترك، فعلى الرغم من أن قرارات مجلس الدفاع المشترك طبقاً لمعاهدة الدفاع المشترك تعتبر ملزمة لجميع الأعضاء، إذا اتخذ القرار بأغلبية ثلثي الأصوات، إلا أن هذه القرارات ولاسيما ما يتعلق منها بالدعم المالي كانت تبقى معطلة وكان يتوقف تنفيذها أو تنفيذ جزء منها على مدى النشاط والزيارات التي يقوم بها المسؤولون في دول المواجهة إلى الدول الأخرى، أما النقطة الرابعة والأخيرة فهي أن مؤتمرات القمة العربية هي المؤتمرات الوحيدة التي يتحقق فيها شيء من النجاح، لأن الملوك والرؤساء هم الأشخاص الوحيدون الذين يمسكون بزمام السلطة في البلاد العربية.

توزيع الأعباء

قمت بإجراء دراسة تشمل الدخل القومي والإنفاق العسكري في كل من الدول العربية وإسرائيل، فكانت الأرقام تثير الدهشة حقاً، كان إجمالي الدخل القومي للدول العربية ذات الـ ١١٠ ملايين نسمة، هو ٢٦٠٠٠ مليون دولار، بينما كان الدخل القومي لإسرائيل (٢.٨٢٢٠٠٠ نسمة) هو ٣٦٧٢ مليون دولار، وهذا يعني أن متوسط دخل الفرد العربي في العام هو ٢٣٦ دولاراً بينما متوسط دخل الفرد الإسرائيلي هو ١٣٠٠ دولار في العام، فإذا نظرنا إلى كيفية توزيع الثروة في المنطقة العربية فإننا نجد تبايناً واضحاً، ففي بعض الدول العربية نجد أعلى متوسط لدخل

الفرد في العالم، وفي دول عربية أخرى نجد أقل مستويات الدخل في العالم.

الاجتماع المصري ـ السوري

في تمام الساعة الثانية يوم ٢١ من أغسطس ٧٣ دخلت ميناء الإسكندرية باخرة ركاب سوفيتية وعليها ٦ رجال سوريين كان يتوقف على قرارهم مصير الحرب والسلام في منطقة الشرق الأوسط، كان هؤلاء هم اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع، واللواء يوسف شكور (ر. أ. ح. ق. م. س)، واللواء ناجي جميل قائد القوات الجوية والدفاع الجوي، واللواء حكمت الشهابي مدير المخابرات الحربية، واللواء عبدالرازق الدرديري رئيس هيئة العمليات، والعميد فضل حسين قائد القوات البحرية، كانوا جميعاً بملابسهم المدنية ولم يخطر وسائل الإعلام في مصر أو في سورية بأي شيء عن هذا الموضوع سواء قبل وصول الوفد أم بعده، كنت أنا في استقبالهم على رصيف الميناء، حيث خرجنا دون أية مراسم إلى نادي الضباط، حيث نزلوا خلال فترة إقامتهم بالإسكندرية، وفي الساعة السادسة من اليوم نفسه اجتمع الوفدان المصري والسوري في مبنى قيادة القوات البحرية المصرية في قصر رأس التين بالإسكندرية، كان الوفد المصري يتكون من الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية، والفريق سعد الدين الشاذلي (ر. أ. ح. ق. م. م)، واللواء محمد علي فهمي قائد الدفاع الجوي، واللواء حسني مبارك قائد القوات الجوية، واللواء فؤاد زكي قائد القوات البحرية، واللواء عبد الغني الجمسي رئيس هيئة العمليات، واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية، كان هؤلاء الرجال الثلاثة عشر هم المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية المشتركة، وكان يقوم بأعمال السكرتارية لهذا المجلس اللواء بهي الدين نوفل، كان الهدف من اجتماع هذا المجلس هو الاتفاق على ميعاد الحرب، وحيث أن قرار الحرب هو في النهاية قرار سياسي وليس قراراً عسكرياً فقد كانت مسؤوليتنا تنحصر في إعطاء الإشارة للقيادة السياسية في كل من مصر وسورية بأننا جاهزون للحرب في حدود الخطط

المتفق عليها، وأن نحدد لهم أفضل التواريخ المناسبة من وجهة نظرنا استمرت اجتماعاتنا خلال يوم ٢٢ من أغسطس، وفي صباح يوم ٢٣ من أغسطس كنا قد اتفقنا على كل شيء وأخذنا نعد الوثائق الرسمية لهذا الاجتماع التاريخي، وكان قرارنا يتلخص في أننا مستعدون وجاهزون للحرب وفيما يتعلق بتاريخ الحرب فقد اقترحنا توقيتين أحدهما خلال الفترة من ٧ إلى ١١ من سبتمبر والثاني خلال الفترة من ٥ إلى ١١ من أكتوبر ٧٣، وعلاوة على ذلك فقد اقترحنا أفضل الأيام داخل كل مجموعة من التوقيتية وقد طلبنا للقيادة السياسية بأن تخطرنا بالقرار الخاص بتوقيت الحرب قبل بدء القتال بخمسة عشر يوماً، وقد حرر محضر الاجتماع من صورتين وتم التوقيع عليهما من قبل كل من ر. أ. ح. ق. م السوري والمصري (اللواء يوسف شكور عن الجانب السوري، والفريق سعد الدين الشاذلي عن الجانب المصري)، كان انتخاب توقيت سبتمبر يعني أن القيادة السياسية يتحتم عليها اتخاذ القرار وإخطارنا به قبل يوم ٢٧ من أغسطس أي بعد ٤ أيام على الأكثر من تاريخ انتهاء المؤتمر، فلما جاء يوم ٢٨ دون أن نخطر بشيء بدا واضحاً أن الحرب ستكون في ٥ من أكتوبر أو بعد ذلك بقليل.

الأسطول السوفيتي

في الساعة ٢٠:٠٠ يوم ١٩ من مايو ٧١ اجتمع وفد عسكري سوفييتي مع وفد عسكري مصري لبحث التسهيلات البحرية التي يطلبها الجانب السوفيتي في الموانئ المصرية، كان الوفد السوفييتي برئاسة الجنرال يفيموف Yeflmov وعضوية الأدميرال فاسيلي Vassily والجنرال أوكينيف OKUNEV، وكان الوفد المصري برئاسة الفريق صادق وزير الحربية وعضوية اللواء الشاذلي (ر. أ. ح. ق. م.) والعميد أمير الناظر الأمين العام لوزارة الحربية، وكان الجانب السوفييتي يطلب زيادة في التسهيلات البحرية التي كان يمارسها فعلاً، وكانت هذه الطلبات الجديدة تشمل ما يلي:

مرسى مطروح

١ - تعميق الميناء ثمانية أمتار أخرى.

٢ - بناء أو تأخير أماكن لإيواء الأفراد بحيث تكون قريبة من الميناء، وبحيث تكفي لإيواء ٢٠٠٠ رجل و١٦٠ عائلة.

٣- بناء مطار على مسافة ٣٥-٤٠ كيلومتراً غرب الميناء.

٤ - رفع كفاءة المطار الحالي في مرسى مطروح بحيث يصبح قادراً على استيعاب لواء جوي سوف يتم إرساله من الاتحاد السوفييتي لتأمين الميناء.

٥ - بناء محطة رادار على مسافة ١٠٠ كيلومتر شرق مرسى مطروح، وأخرى على مسافة مماثلة غربها.

الإسكندرية

طلب الجانب السوفييتي تأمين مبنى واحد كبير أو مجموعة من المباني المتجاورة حتى يمكنهم أن يجمعوا فيها عائلات رجال بحريتهم المتناثرة داخل المدينة الإسكندرية، وكان المطلوب هو تأمين مكان مجمع يتسع لـ ٢٠٠ عائلة، وقد اقترحوا الحصول على فندق سان ستيفانو، أجاب الفريق صادق بأن هذه الطلبات لها جانب سياسي وأنه لا يستطيع البت في هذه الأمور قبل بحث الموضوع مع الرئيس، وسيكون جاهزاً للرد على هذه التساؤلات بعد حوالي أسبوع، وبعد انتهاء اللقاء طلب مني الوزير أن أشكل لجنة برئاستي لبحث هذه المطلب، وكان بين أعضاء هذه اللجنة اللواء بغدادي قائد القوات الجوية واللواء محمود فهمي قائد القوات البحرية، وبعد عدة لقاءات تقدمنا بالاقتراحات التالية:

١ - الموافقة على إعطاء البحرية السوفييتية تسهيلات في ميناء مرسى مطروح تشابه التسهيلات الممنوحة لها في كل من الإسكندرية وبورسعيد.



٢- عدم تخصيص أي منطقة محددة لخدمة الوحدات السوفياتية حتى لا يأخذ ذلك شكل قاعدة سوفياتية.

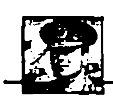
٣- الموافقة على تمركز لـواء جـوي سـوفييتي في مرسـى مطـروح شـريطة ألا تقتصر مهمته على الدفاع عن القاعدة البحريـة، بـل تمتـد مسـؤوليته لكـي تشـمل الدفاع عن الأراضي المصرية ما بين غرب الإسكندرية وحتى الحـدود المصـرية الليبية، وأن يكون اللواء الجوي السوفييتي تحت القيادة المصرية.

٤- يكون تمركز اللواء الجوي السوفييتي في مرسى مطروح بصـفة مؤقتـة وإلى أن تصبح القوات الجوية المصرية قادرة على تحمل مسؤولية الدفاع الجـوى عـن المنطقة غرب الإسكندرية وتقوم بتخصيص لواء جوي مصري لكي يعفي اللـواء الجوي السوفييتي من هذه المهمة.

سعادة السفير

كان رئيس الأركان يمارس في جامعة الدول العربيـة عمـلاً سياسـياً دبلوماسـياً متخصصاً، وفي منصب السفير سيلعب مجموعـة مـن الأدوار في أن واحـد، منهـا العسكري والتجاري والثقافي وأحياناً الطبي، حيـث يوجـد في السـفارات ملاحـق لهذه التخصصات ويكون السفير هو المسؤول عنها.

ويعترف بأن ماديات المنصب ومزاياه أكبر بكثير من موقع رئيس الأركان وقال بالحرف الواحد في كتابه أربع سنوات مـن العمـل في السـلك الدبلوماسـي أن مـا حصلت عليه من مرتبات وعلاوات ومزايا في عام واحد كسفير يعادل ما حصـلت عليه من العمل العسكري في ٣٣ سنة، ولم يكن هذا الأمر بغريب عليه فقد عمل في الستينيات كملحق عسكري في نفس السفارة التي عاد إليهـا بعـد حـوالي ١٢ عامـاً كسفير وكان يشعر في قرارة نفسه أن السادات يلقي إليه بالطعم وأن يقتله كجنـدي عريق بالحياة السهلة المرفهة، يكفي هنا أن نذكر بأن منزل السفير في لنـدن يتكـون



من قصر كبير له ثلاثة طوابق ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر وتزين حوائطه وأسقفه بصور ورسومات رائعة ويقوم على خدمة السفير خمسة من الخدم وثلاث عربات بسائقيها وتتولى الدولة دفع جميع مصاريف السكن من أجور وكهرباء ومياه وتليفونات وتأثيث.

ولأن الشاذلي الذي يترك في كل مكان بصمة تجعله الحاضر دائماً في كل مشهد مهما طال غيابه كانت لندن تنتظره بحملة صحافية رهيبة نظمها اللوبي الصهيوني لدرجة اتهامه بأنه سفاح وعلى علاقة وطيدة بالنازيين وقت أن كان ملحقاً حربياً في الستينيات فماذا هو فاعل؟!

خارج السياق

نص خطاب الشاذلي الذي وجهه إلى النائب العام

السيد النائب العام

تحية طيبة.. وبعد

أتشرف أنا الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣، أقيم حاليا بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية بمدينة الجزائر العاصمة وعنواني هو صندوق بريد رقم ٧٧٨ الجزائر - المحطة بأن اعرض على سيادتكم ما يلي:

أولا: إني أتهم السيد محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بأنه خلال الفترة ما بين أكتوبر ١٩٧٣ ومايو ١٩٧٨، وحيث كان يشغل منصب رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية بأنه ارتكب الجرائم التالية:

الإهمال الجسيم: وذلك أنه وبصفته السابق ذكرها أهمل في مسئولياته إهمالا جسيما واصدر عدة قرارات خاطئة تتعارض مع التوصيات التي أقرها القادة العسكريون، وقد ترتب على هذه القرارات الخاطئة ما يلي:

(أ) نجاح العدو في اختراق مواقعنا في منطقة الدفرسوار ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ في حين أنه كان من الممكن ألا يحدث هذا الاختراق إطلاقا.

(ب) فشل قواتنا في تدمير قوات العدو التي اخترقت مواقعنا في الدفرسوار، في حين أن تدمير هذه القوات كان في قدرة قواتنا، وكان تحقيق ذلك ممكنا لو لم يفرض السادات على القادة العسكريين قراراته الخاطئة.

(ج) نجاح العدو في حصار الجيش الثالث يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣، في حين أنه كان من الممكن تلافي وقوع هذه الكارثة.

تزييف التاريخ: وذلك أنه بصفته السابق ذكرها حاول ولا يزال يحاول أن يزيف تاريخ مصر، ولكي يحقق ذلك فقد نشر مذكراته في كتاب أسماه «البحث عن الذات» وقد ملأ هذه المذكرات بالعديد من المعلومات الخاطئة التي تظهر فيها أركان التزييف المتعمد وليس مجرد الخطأ البريء.

الكذب: وذلك أنه كذب على مجلس الشعب وكذب على الشعب المصري في بياناته الرسمية وفي خطبه التي ألقاها على الشعب أذيعت في شتى وسائل الإعلام المصري، وقد ذكر العديد من هذه الأكاذيب في مذكراته البحث عن الذات ويزيد عددها على خمسين كذبة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

(أ) إدعاءه بأن العدو الذي اخترق في منطقة الدفرسوار هو سبع دبابات فقط واستمر يردد هذه الكذبة طوال فترة الحرب.

(ب) إدعاءه بأن الجيش الثالث لم يحاصر قط في حين أن الجيش الثالث قد حوصر بواسطة قوات العدو لمدة تزيد على ثلاثة أشهر.

الادعاء الباطل: وذلك أنه ادعى باطلا بأن الفريق الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية قد عاد من الجبهة منهارا يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣، وأنه أوصى بسحب جميع القوات المصرية من شرق القناة، في حين أنه لم يحدث شيء من ذلك مطلقا.

إساءة استخدام السلطة: وذلك أنه بصفته السابق ذكرها سمح لنفسه بأن يتهم خصومه السياسيين بادعاءات باطلة، واستغل وسائل إعلام الدولة في ترويج هذه الادعاءات الباطلة. وفي الوقت نفسه فقد حرم خصومه من حق استخدام وسائل الإعلام المصرية التي تعتبر من الوجهة القانونية ملكا للشعب للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات الباطلة.

ثانيا: إني أطالب بإقامة الدعوى العمومية ضد الرئيس أنور السادات نظير

ارتكابه تلك الجرائم ونظرا لما سببته هذه الجرائم من أضرار بالنسبة لأمن الوطن ونزاهة الحكم.

ثالثا: إذا لم يكن من الممكن محاكمة رئيس الجمهورية في ظل الدستور الحالي على تلك الجرائم، فإن أقل ما يمكن عمله للمحافظة على هيبة الحكم هو محاكمتي لأنني تجرأت واتهمت رئيس الجمهورية بهذه التهم التي قد تعتقدون من وجهة نظركم أنها اتهامات باطلة، أن البينة على من ادعى وإني استطيع - بإذن الله - أن أقدم البينة التي تؤدي إلى ثبوت جميع هذه الادعاءات وإذا كان السادات يتهرب من محاكمتي، على أساس أن المحاكمة قد تترتب عليها إذاعة بعض الأسرار، فقد سقطت قيمة هذه الحجة بعد أن قمت بنشر مذكراتي في مجلة الوطن العربي في الفترة ما بين ديسمبر ١٩٧٨ ويوليو ١٩٧٩ للرد على الأكاذيب والادعاءات الباطلة التي وردت في مذكرات السادات. لقد اطلع على هذه المذكرات واستمع إلى محتوياتها عشرات الملايين من البشر في العالم العربي ومئات الألوف في مصر.

الجزائر/ يوليو/ ١٩٧٩

طلقة (٢١)



رتبة مبارك (فريق) بعد ترقيته في فبراير 1974

شرفي العسكري . يمنعني يا مستر!



كانت المسألة معدة سلفاً وعلى أعلى مستوياتها، وأخذت وسائل الإعلام علماً بأن الشاذلي عاد إلى لندن سفيراً لبلاده هذه المرة وبعد معركة أثبت فيها أن للعرب قوتهم إذا ما تم التخطيط والإعداد بالأسلوب العلمي الجاد.. احتشد حول الشاذلي كوكبة من الصحافيين يمطرونه بالأسئلة وأغلبها يصب في اتجاه واحد:

- سعادة السفير ما هي حقيقة اتهامك بقتل الأسرى الإسرائيليين خلال حرب أكتوبر؟

وكان جوابه بكل الثقة والهدوء والابتسامة التي هي علامة من علامات وجهه في أغلب الأحوال:

- شرفي العسكري ومعتقداتي الدينية تمنعني من هذه الأفعال غير الانسانية، وأنا انتهز هذه الفرصة أمامكم جميعاً وأطالب بلجنة تحقيق دولية لكشف هذه الأكاذيب أمام العالم كله!

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الهجوم والاتهامات للشاذلي لكنهم نشروا كتيباً كان قد وزعه خلال الحرب وعنوانه عقيدتنا الدينية طريقنا إلى النصر واقتطعوا منه بعض الآيات القرآنية التي تحض على القتال واعتبروها تحريضاً لقتل وسفح دماء اليهود.

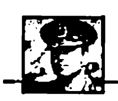
واستغلت وسائل الإعلام البريطانية حادثة سرقة نفذتها سيدتان مصريتان من محل يهودي في نشر أخبار محرفة بأن حرم وزير السياحة المصري وحرم السفير متهمتان بسرقة المحل التجاري وأقام الشاذلي دعوى ضد الاذاعة البريطانية وحصل على حكم باعتذارها، واعتذرت بالفعل.

كان السفير الشاذلي يحارب اللوبي الصهيوني فهو ينظر اليه كواحد من أبطال أكتوبر الأفذاذ الذين حطموا أسطورة الغرور الإسرائيلي وتفوق جيشه اللامحدود، ولأنهم يعرفون جيداً دور هذا الرجل أكثر من غيره في التخطيط والاعداد للحرب،

ثانياً عندهم ملف قديم بتعاونه وصداقته وقت أن كان ملحقاً عسكرياً مع الأحزاب المعادية للصهاينة والمساندة للقضية العربية، وعلى جانب آخر كانت حربه مع السادات لم تتوقف، يكفي أن الشاذلي وهو بطل الحرب شاهد تكريم القادة تلفزيونياً في مجلس الشعب على يد السادات وتم تجاهله تماماً ولو حتى بذكر اسمه، لكنه للأمانة أرسل قلادة إلى الملحق العسكري لكي يقدمها للسفير سراً.

فاصل ونواصل

في مذكرات المشير الجمسي نكتشف أمراً في غاية الأهمية، هو عبارة عن قرار بقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٩ لتكريم قادة القوات المسلحة خلال حرب أكتوبر والاستفادة من خبرات الأحياء منهم وجاء في مذكرة القانون: أن الدول العريقة في الجندية وأصولها تكرم قادتها العسكريين الذين حققوا لها النصر في الحروب المصيرية لأوطانهم بأسلوب يتناسب مع عظمة أعمالهم ويعكس مدى وفاء وتقدير شعوبهم لبذلهم وعطائهم وهناك الكثير من الأمثلة في الدول الكبرى غربية كانت أم شرقية على تقدير وتكريم كبار قادتها وأبطال حروبها والاستفادة بخبراتهم مدى الحياة، وبالنسبة لمصر فقد كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ نقطة تحول تاريخية على المستويين الوطني والقومي وكانت أول مواجهة حقيقية خلال مراحل الصراع العربي الإسرائيلي بين الجيوش العربية والجيش الإسرائيلي ومهدت نتائج هذه الحرب الطريق أمام تحرير الأرض العربية المحتلة وتحقيق السلام القائم على العدل في المنطقة العربية وقد رقي اقتراح مشروع القرار بقانون تعبيراً عن شكر الشعب وعرفانه للقوات المسلحة وقادتها خلال حرب أكتوبر ويهدف هذا القانون إلى جانب تقدير وتكريم قادة هذه الحرب الظافرة إلى تحقيق وضع خبراتهم النادرة في خدمة القوات المسلحة والدولة مدى حياتهم وهي الخبرة التي اكتسبوها خلال خدمتهم الطويلة بالقوات المسلحة، حيث عاصروا نشأتها الحديثة والتطورات التي طرأت عليها والمعارك المتعددة التي خاضتها



وقد توجت هذه الخبرة بما أثبتوه من قدرة عالية في فنون القيادة والقتال خلال عمليات حرب أكتوبر وتحملهم أعباء مسؤولياتهم الجسام أثناء الاعداد للقوات والتخطيط للعمليات وأثناء ادارة أعمال القتال بكل الكفاءة والاقتدار.

ويقضي القانون بأن يستمر الضباط الذين كانوا يشغلون وظائف رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وقادة الأفرع الرئيسة في حرب أكتوبر في الخدمة بالقوات المسلحة وأن يقوم هؤلاء بتقديم المشورة وابداء الرأي عندما يطلب منهم ذلك في الموضوعات العسكرية ذوات الأهمية الخاصة، وصدر القانون بالفعل ولكنه لم ينفذ، بل على العكس رأينا العقل المدبر للحرب يهان ويتم اهماله وتجاهله في التكريم والتقدير، مع ملاحظة أن مشروع القانون يخص رئيس العمليات ولا يذكر رئيس الأركان وهو المنصب الذي كان الشاذلي يشغله، والقانون صدر بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وقد عارض الشاذلي هذه الاتفاقية.

المواجهة

وافق الشاذلي أن يكون سفيراً وهو لم ينكر المزايا العديدة التي سيفوز بها من خلال المنصب، لكنه من داخله يدرك أن السادات يتربص به ولن يتركه في حاله وهو لا شعورياً يشعر بالظلم والاضطهاد مهما قدموا له، ولكنه في ذات الوقت يؤمن بشكل قاطع أن يؤدي عمله في أي موقع على أتم وجه، والا يخفي الحقيقة، والدبلوماسية تلعب بكل الأوراق. وقد تلعب على عدة حبال ولها مبرراتها ويبدو أن الصحافي المخضرم اللبناني سليم اللوزي كان يعرف هذا جيداً وكان وقتها رئيساً لتحرير مجلة الحوادث اللبنانية وتحدث اليه الشاذلي بصراحته المعتادة وقال أن هناك مؤامرة تدبر لعزل مصر عن الأمة العربية مع ملاحظة أن هذا الحديث جرى في عام ١٩٧٤، والمقاطعة العربية لمصر جرت بعد معاهدة كامب ديفيد في عام ١٩٧٩، أي أنها كانت نبوءة مبكرة جداً تكشف الحس السياسي لهذا

الرجل العسكري وقد جاء ذلك بعد أشهر قليلة من توليه مهام منصبه كسفير.

وتحدث عن الثغرة وضرورة تنويع السلاح وبعدها بأيام التقى مع مجموعة من الطلبة العرب وأكد مجدداً على وجود تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

وأعادت جريدة السفير اللبنانية نشر بعض أجزاء من حديث الشاذلي وهي تابعة لمجلة الحوادث وتصدر أيضاً عن دار الصياد، وأبرزت في عنوان كبير انتقاد الشاذلي للسادات، الأمر الذي تحركت وزارة الخارجية على أثره وطلبت استدعاء الشاذلي للقاهرة على وجه السرعة للتحقيق وحضر بالفعل والتقى إسماعيل فهمي وزير الخارجية في هذا الوقت وهو نفسه الوزير الذي سيعلن استقالته المدوية بعد كامب ديفيد. وفي لقاء مع التلفزيون البريطاني انتقد الشاذلي رحلات كيسنجر المكوكية بين مصر وإسرائيل، وطالب بأن يأتي الحل من جنيف وعدم هيمنة أميركا على الحل السلمي.

ثم استطاع الشاذلي أن يكسب احترام المجتمع البريطاني في مواجهة جرت بينه وبين السفير الإسرائيلي واشترط أن يكون كل واحد منهما في مكان بعيد عن الآخر وكأنه بهذا الحديث رد المكائد التي دبرها اللوبي الصهيوني كلها وعلى حساب سفير الصهاينة نفسه.

ومن داخل السفارة نفسها تأتي شهادة لرجل له وزنه وقيمته وهو المفكر والدبلوماسي الشهير مصطفى الفقي، وقد نقلت هذه الشهادة عن كتاب مصطفى عبيد العسكري الأبيض، يقول الفقي:

عندما تسلم الفريق الشاذلي عمله في السفارة استقبلناه بقلق شديد ومخاوف مبررة، فالرجل معروف بصرامته العسكرية وقد لا تكون ادارته لبعثة دبلوماسية كبيرة على هذا النحو المطلوب ولكننا فوجئنا بعسكري مصري مشرف يتحدث بلغة انكليزية طليقة تفوق في جودتها عشرات السفراء المدنيين وبحسه

الدبلوماسي تنبأ لوزيرة التعليم البريطانية بأنها ستكون في الصدارة وقد كانت بالفعل بعد سنوات وأصبح اسم «مارغريت تاتشر» يتصدر المشهد السياسي العالمي بأكمله وعرفت بالمرأة الحديدية لذلك دعاها هي وزوجها إلى عشاء رسمي بالسفارة كما دعي «أسقف كانتبري» ومعه كبار شيوخ الأزهر في المركز الإسلامي وهو تفكير ينم عن سعة الأفق والفهم البعيد لمسألة الوحدة الوطنية وتقديم صورة راقية عن الإسلام وسماحته وقد ساهم في نشر الإسلام بصورة جيدة في انكلترا.

وهكذا تحول منفى الشاذلي الدبلوماسي إلى نجاح مدوي لشخصه وبلده وعروبته وإسلامه، كان الهدف ابعاده وكانت النتيجة اقترابه أكثر من هموم وقضايا بلده في قلب انكلترا حتى أصبح عميداً للسفراء العرب في لندن خلال زمن قياسي، وأقام أنشطة عديدة، ونجح في قلب السحر الصهيوني على الساحر، وأن يكتسب احترام العدو قبل الصديق في عاصمة الضباب.

كان هناك عن بعد ينظر إلى مصر الحبيبة بعين القلب والعقل وهو نفس منهجه كرجل عسكري يعرف ماله وما عليه وبدلاً من أن تأتي المكافأة من السادات للشاذلي الدبلوماسي بعد أن أبى واستكبر أن يقدمها للشاذلي البطل العسكري جاءت هدية أخرى من السادات على لسان إسماعيل فهي وزير الخارجية:

* يا سعادة الفريق مصر تقدر نجاحك الكبير في لندن في هذا الوقت القصير وتثمن جهدك العظيم، لذلك قررت تعيينك سفيراً لمصر في البرتغال!!

البرتغال!!.. قالها الشاذلي مندهشاً ومتعجباً، وكانت المبررات السلطة هناك في البرتغال عسكرية وأنت بخلقيتك العسكرية تستطيع أن تتعامل معها.

لم يكن في البرتغال جالية مصرية بالمعنى الذي يدعو إلى وجود سفارة تقوم على خدمة هؤلاء، ولو أن السفارة مطلوبة في كل مكان وفي كل وقت، ولاحظ أن



التوقيت تم في لحظات مناسبة، حيث قامت الثورة في البرتغال عام ١٩٧٤ وقررت منح الدول الإفريقية التي كانت تحتلها استقلالها، لذلك قررت مصر إعادة العلاقات الدبلوماسية معها، وأن يكون الشاذلي هو المفتتح فهل يقبل هذا الإبعاد الجديد وهذا المنفى الدبلوماسي المصنوع خصيصاً لأجله، فالدولة كانت من الممكن أن ترسل سفيراً جديداً يجيد البرتغالية، لكنها اختارت الشاذلي دون غيره، ووراء الحكاية ألف حكاية وحكاية!



طلقة (٢٢)

من جد وجد



آسف يا سيادة الرئيس !



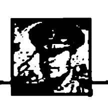
إلى البرتغال يا سعد؟!... وكان عليه أن يراجع شريط حياته كله قبل أن يحزم حقائبه، ويترك لندن بعد أن حقق فيها نجاحاً شهد به العدو قبل الصديق... ونذكر كيف عاش في مركز القيادة من أول أكتوبر وحتى ١٣ ديسمبر ولم يذهب خلالها إلى منزله سوى مرة واحدة لمدة ساعتين فقط وكان ١٣ ديسمبر عيد زواجه، وعندما عاد أخذ معه أوراقه كلها ومذكراته الخاصة ولم يكن يعرف أن خدمته قد انتهت بالجيش، وأن أوراقه سوف تستقر في بيته إلى الأبد.. وبعد أيام عندما عاد إلى مكتبه ليأخذ باقي أوراقه، ووجد أن المخابرات الحربية قد سبقته إلى هناك وقامت بالواجب وأخذت أغلب الأوراق ومنها برقيات تهنئة من جهات عديدة بالعبور .. في مساء ذلك اليوم تلقى الشاذلي مكالمة تليفونية من المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية يطالبه بالحضور إلى مكتبه وبعد نصف ساعة كان هناك ووجد عنده الجمسي وسعد مأمون فأمرهما بالانسحاب لرغبته في الحوار معي على انفراد وظل يتحدث في موضوعات مختلفة حتى انتهى الكلام ولم يجد عنده سوى الخبر الذي استدعاني من أجله:

إسماعيل: لقد قرر رئيس الجمهورية إنهاء خدمتكم كرئيس للأركان وأصدر قراراً جمهورياً بتعيينكم سفيراً في وزارة الخارجية وعليكم التوجه اعتباراً من الثامنة صباحاً إلى وزارة الخارجية في ميدان التحرير.

الشاذلي: أشكر الرئيس على هذا التعيين وأرجو أن تقوم بإبلاغه بأنني اعتذر عن قبول المنصب وأفضل أن أبقى في منزلي.

الوزير: هل تعني أنك ترفض أمر الرئيس الذي يقضي بذهابك إلى وزارة الخارجية؟

الشاذلي: سيادة الوزير يمكنك أن تفسرها كما تشاء إذا كان الرئيس يعتبر أن هذا التعيين خدمة لي فمن حقي أن أقبل الخدمة أو أرفضها وإذا كان المقصود بهذا التعيين هو العقاب فأنا أرفضه وأفضل أن يكون هناك تحقيق ومحاكمة حتى تظهر الحقائق.



الوزير: أن ما تقوله شيء خطير، هل أقوم بإبلاغ الرئيس ما قلته؟

الشاذلي: الهاتف بجوارك ويمكنك أن تبلغه فوراً!!

الوزير: يا سعد اسمعني بهدوء لو سمحت، رفضك سوف يغضب الرئيس وهو يقدر عملك وجهدك بالقوات المسلحة وأراد تكريمك وأنت تعرف أهمية هذا المنصب وقيمته.

الشاذلي: آسف يا سيادة الوزير أنا أصر على الرفض وأفضل أن يتم عزلي على نقلي إلى وزارة الخارجية ومستعد لكتابة الاعتذار بطريقة رسمية وإذا علم الرئيس برفضي هل سيتم محاكمتي؟ إني أفضل ذلك وأريده.

وراح الشاذلي يكتب اعتذاراً رسمياً ثم غادر مكتب الوزير بعد أن أكد له أنه لن يذهب إلى وزارة الخارجية.

وفي البيت شرح لزوجته ما جرى واستقبلت الأمر بشجاعة وأيدته فيما فعل وحمدت الله لأنه كان يريد الاستقالة ولم يجد الوقت ملائماً لذلك وقد جاء قرار العزل ليرفع عنه العبء وكانت سعيدة لسبب آخر إنساني أن زوجها ومنذ أن ارتبطت به يخرج من حرب ليدخل أخرى، وأفنى عمره ووقته كله في خدمات الجيش في مواقع عديدة، وحمد الله أن زوجته لم تنزعج لإبعاده مثل أغلب الزوجات وارتاحت لما جرى رغبة في الراحة والاستمتاع بالحياة العائلية.

وبعد قليل كان الشاذلي ينتظر حضور «بور شجريف» مراسل جريدة النيوزويك الأميركية وكان قد اتفق معه صباحاً على اللقاء، خاصة أنه سوف يسافر إلى أميركا في اليوم التالي، وعندما جاء المراسل، قال له: أنت صحافي محظوظ وحكي له ما دار في مكتب الوزير وكانت زوجته معه وظن لأول وهلة أنه يمزح، خاصة أنه قدم له الخبر وأدهشه ذلك الارتياح بادياً على وجه الشاذلي الذي قال له: هذه فلسفتي لو اجتمع أهل الأرض على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك إلا بشيء كتبه الله

لك ولو اجتمع أهل الأرض على أن يضروك بشيء ما ضروك بشيء كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف، وكان المراسل قد نشر حواراً معي وانتقد فيه السادات وذكرت قصة الثغرة وهنا أعرب عن أسفه ظناً أنه كان سبباً فيما جرى لي.

وبعد مغادرة بورشجريف رن جرس التليفون وكان المتصل اللواء حسني مبارك قائد القوات الجوية وطلب أن يقابلني لأمر مهم وحاولت أن اعتذر له وتأجيل الموعد إلى الغد ولكنه أصر على المقابلة لأنه يحمل رسالة من الرئيس السادات وعند الحادية عشر والنصف جاء مبارك وكان ملخص رسالته:

* الرئيس يقدر تماماً جهدك في القوات المسلحة والخلافات المستمرة بينك وبين الوزير بلغت مرحلة لا يمكن السكوت عليها وتعيينك كسفير لن يقلل من شأنك فسوف تستمر بدرجة وزير وتنال راتب الوزير وجميع مزاياه، ثم أن الرئيس اختار لك أن تكون سفيراً في لندن وهو منصب رفيع يتطلع إليه الجميع، وحتى تطمئن فقد أمر الرئيس بترقيتك إلى رتبة فريق أول والرئيس يتعشم أن تقبل المنصب، وقلت لحسني مبارك: لو أن الرئيس استدعاني ويلغني بهذا الأمر ما رفضته لكن إبلاغي به عن طريق أحمد إسماعيل يحمل الكثير من المعاني، خاصة أنني كنت وما أزال على خلاف شديد معه ومرة أخرى طلبت من مبارك إبلاغ الرئيس السادات رفضي للمنصب.

وغادر حسني مبارك منزلي دون أن ينجح في إقناعي وظهرت الصحف في اليوم التالي تحمل أنباء تعيين الجمسي رئيساً للأركان دون إشارة لمصير الشاذلي، هل أقيل؟.. استقال؟.. عين سفيراً؟.. هل مات؟.. لا شيء على الإطلاق ومع ذلك كانت إجراءات تعيين الشاذلي في الخارجية تمضي في سيرها المعتاد، وخرجت الصحف بعد أيام تحمل خبر اختياره سفيراً في لندن، كل هذا تم بدون علم الشاذلي الذي استفزه ذلك وطلب من رئاسة الجمهورية مقابلة السادات، وبعد أيام اتصل مكتب الرئيس وأبلغني أنه سوف يستقبلني في أسوان يوم ٦ يناير ١٩٧٤ وقبلها كان صدر قراراً جمهورياً بتعييني سفيراً بالدرجة الممتازة ولكنني لم اعترف به، لذلك سافرت على حسابي الخاص

وعندما وصلت الطائرة إلى أسوان كان ما يزال أمامي ساعتان قبل موعد اللقاء واتجهت إلى فندق كتراكت وهناك التقي الشاذلي مصادفة بالكاتب محمد حسنين هيكل وبالطبع جرى الحوار حول حرب أكتوبر وما فيها.

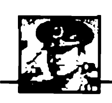
مع السادات

يعترف الشاذلي بأن السادات قابله بمودة ولطف وسأله عن أحوال زوجته وبناته ثم عاتبه بشكل فيه أيضاً الكثير من الظرف وقال:

لا لا. أنا زعلان منك إزاي تعمل كده أنت أتجننت أبعت لك حسني مبارك برسالة ترفضها، وفكرت أبعت أجيبك لكن حسني قال لي بلاش لأنه راكب دماغه دلوقتي ومتعصب. وقال الشاذلي: سيادة الرئيس أنا لست منزعجاً من أن أترك القوات المسلحة هذه سنة الحياة، ولكن ما يضايقني هو الأسلوب الذي أبلغتني به القرار.

وضحك السادات قائلاً للشاذلي: واضح أن حسني مبارك بيخاف منك قل لي ماذا تعمل لكي تجعل مرؤوسيك يخافونك ويخشونك؟

واسترسل الرئيس في حديثه وأثنى كثيراً على الشاذلي وأفاض في ذلك كثيراً وقال له أنت ما تزال موضع ثقتي، وأنا اخترت لك لندن لأني احتاج لرجل ذو خبرة عسكرية في لندن ونحن على اتصال بألمانيا الغربية، حيث ستقوم بإمدادنا بأسلحة متطورة ومتقدمة وسفيرنا في ألمانيا رجل مدني هو محمد إبراهيم كامل وكان معي في السجن أيام قضية أمين عثمان ولا يستطيع أن يتابع المباحثات العسكرية وعليك أن تذهب من لندن إلى ألمانيا لمتابعة هذا الموضوع، مهمتك يا سعد هي تسليح الجيش أي أن عملك كسفير هو امتداد لخدمتك في القوات المسلحة. واعتبر الشاذلي أن كلام السادات هذا يكفي جداً لترضيته وقد أدرك الرجل هذا، وبدأ يتحدث عن العلاقات المصرية البريطانية، وانتهت المقابلة وعاد الشاذلي إلى فندق كتراكت لتناول الغداء في انتظار الطائرة والعودة للقاهرة. وفي الفندق التقى مرة أخرى بالكاتب محمد حسنين هيكل وعرف بما دار في



المقابلة مع السادات وبالتالي وقع في يده خبراً لا بأس به فيما عدا مسألة التسليح من ألمانيا لأنها تدخل في نطاق السرية. وعندما أذيع خبر تعيين الشاذلي سفيراً في لندن تناثرت الأقاويل وقتها أن الهدف ليس فقط إبعاده عن مصر، لكنها مؤامرة لقتله، حيث أن المخابرات الإسرائيلية والطوائف الصهيونية المتعصبة سوف تنتهز هذه الفرصة في لندن وهم يعتبرون الشاذلي عدوهم رقم ١. وقال الشاذلي لنفسه: وما الجديد في ذلك لقد كانت حياتي كلها سلسلة من المخاطر وخدمتي في لندن هي حلقة في هذه السلسلة، ولو أنني مت اليوم سوف أموت سعيداً لقد أعطيت بلادي كل ما أستطيع أن أعطيه وقد رأيت ثمرة كفاحي رأيت جنود مصر بعد أن هزمتهم إسرائيل في ثلاث حروب سابقة، رأيتهم يعبرون قناة السويس ويحطمون خط بارليف ويهتفون الله أكبر ماذا أريد بعد ذلك كله؟، لا شيء أيها الموت أهلاً بك فإني لا أخشاك أن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ولن يستطيع أحد أن يقدم أجلي أو يؤخره عن الوقت الذي حدده الله ولو بثانية واحدة. قبل سفري إلى لندن بأيام طلبني اللواء رفعت حسني نائب رئيس المخابرات العامة وأخبرني أن لديهم معلومات تفيد بأن مجموعة من المتعصبين الإسرائيليين سوف يسافرون إلى لندن لاغتيالي وأن المخابرات الإنكليزية لديها المعلومات نفسها لذلك فإن ميعاد سفري إلى لندن يجب أن يبقى سراً وألا أبوح به لأحد!، وعملاً بنصيحة المخابرات العامة سافر سراً من القاهرة إلى لندن في ١٣ مايو ١٩٧٤ وبعد وصوله بعدة أشهر بدأت تثور الشكوك حول السادات وأهدافه فيما يتعلق بشخص الشاذلي فقد بدأ يصعد هجومه ويوجه إليه الاتهامات بقوة.

وأيقن الشاذلي بأن من مصلحة السادات أن يتخلص منه أكثر من الصهاينة أنفسهم وتذكر الشاذلي كيف مات الفريق الليثي ناصف بطريقة غامضة في لندن (أغسطس ٧٣) وقيدت الحادثة على أنها انتحار، بينما يثور كثير من الجدل والتساؤلات حول وفاته وبطريقة سرية لم يعلم بها أحد من رجال السفارة المصرية أو الليبية وكنت قد حصلت على جواز سفر ليبي لي ولزوجتي وبأسماء مستعارة!.

خارج السياق : بالعبري الصريح

في كتاب إيلي زعيرا رئيس المخابرات الحربية الإسرائيلية في حرب ١٩٧٣ بعنوان حرب الغفران: الأسطورة أمام الواقع نقرأ عن نظرة العدو الصهيوني لهذه الحرب التي عدت انتكاسة إسرائيل الكبرى حتى الآن ، والكتاب صدرت ترجمته للعربية بعد أكثر من عشرين عاما على صدور تقرير لجنة اجرانات التي تم تشكيلها لمعرفة من المسؤول عن الهزيمة في الحرب.

وذكرت الصحف آنذاك أن الكتاب هز الأوساط الأمنية والاجتماعية في إسرائيل مما حدا بالحكومة إلى مصادرته قبل طبعه من قبل جهاز الرقابة العسكرية التابع رأسا للمخابرات الحربية الإسرائيلية وللموساد أكثر من مرة، فهو يكشف أسرارًا لم تنشر من قبل في أي مكان لأن إيلي زعيرا نفسه ظل صامتا بعد إقالته إلى وقت تأليف هذا الكتاب، وبعد أن انتهت فترة الحظر المفروضة على الأسرار العسكرية فتح زعيرا النار على كل من علّقوا به وعليه أخطاء الهزيمة ليقول: كلكم مخطئون عدا المخابرات الحربية وأنا.

في مذكراته هذه التي ترجمها توحيد مجدي يقول زعيرا أن المخابرات المصرية دست معلومات مضللة على غولدا مائير بدون تحليل من المخابرات على أساس أنها موثوق بها وكانت هذه المعلومات هي السبب الأساسي وراء التقديرات الخاطئة التي اتخذتها الحكومة الإسرائيلية.

ويشير إلى أن خط بارليف لم يكن حصنا منيعا كما صورته إسرائيل للعالم، فحين قامت طائرات السلاح الجوي المصري بتصوير الضفة الشرقية لقناة السويس اكتشفوا أن خط بارليف ليس خطا متصلا ولكنه شبكة من المواقع المتباعدة جدا وبين كل موقع وآخر توجد مسافة كبيرة لا يسيطر عليها الجيش الإسرائيلي على الإطلاق، وعلى وجه الخصوص في ساعات الليل.

وفي موضوع الخسائر في الدبابت يقول الباحث: لقد كانت النتيجة أنه من بين ٢٨٠ دبابة كانت موجودة لدى مجموعة عمليات سيناء ظهر السادس من أكتوبر لم يبق في الغداة سوى ١١٠ دبابات، ولقد أصيبت ١٧٠ دبابة نصفها غرق في المستنقعات أو دمر.

ويؤكد المؤلف أنه في حرب أكتوبر فقد سلاح الطيران ١٠٩ طائرات، سبع طائرات فقط فقدناها في معارك جوية، أما الباقي أكثر من مئة طائرة فقدناها نتيجة نيران أرضية من صواريخ متطورة، أما سوريا فكان كل ما فقدته أربع بطاريات صواريخ أرض/ جو، من بين ٣٠ بطارية صواريخ أرض / جو على طول الجبهة.

طلقة (٢٣)

مع إسماعيل.. عفى الله عما سلف



واعترف إسماعيل..
على فراش الموت!



إذا كان الذهاب إلى لندن لعبة لإبعاد الشاذلي فإنها لم تستمر، وظهرت لعبة أخرى لإبعاده إلى البرتغال والمبررات موجودة، حيث قامت هنا ثورة عسكرية ولا بد لعسكري فاهم من أن يتواجد هناك، حتى وان كانت الجالية المصرية غائبة تماماً.

والشاذلي لا يعرف المستحيل كعسكري خبير لذلك بدأ يؤهل نفسه برتغالياً وكانت الخطوة الأولى أن يتقن لغة أهلها في أسرع وقت، وأن يجمع المعلومات عن تلك البلاد التي تقع على جانب المحيط الأطلسي لشبه جزيرة أيبريا تحدها من الشمال والشرق اسبانيا وتشمل جزر الأزور وماديرا وينتشر الملايين من أهلها في فرنسا وألمانيا وانكلترا ويعتنق معظم أهلها الديانة المسيحية الكاثوليكية والعملة فيها الأشكوذو، قامت الثورة هناك في ٢٥ ابريل ١٩٧٤ ولذلك يترأس رئيس الجمهورية المجلس العسكري وهو القائد العام للقوات البرية والبحرية والجوية، ويعمل بالزراعة حوالي ٣٠٪ من الشعب وأهم المحاصيل القمح والذرة والشعير والأرز ويوجد بالبرتغال ثروة معدنية أهمها الفحم واليورانيوم، والسياحة هي أهم موارد الدخل القومي، وقد تم تأميم الاذاعة والتلفزيون بعد الثورة هناك.

والسؤال الآن ماذا سيفعل السفير وأمامه متسع من الوقت في بلد تمرد على حاكمه الطاغية «سالازار» الذي استمر في الحكم ٣٨ عاماً وألغى الأحزاب وزور الاستفتاءات وكان الشاذلي يشبهه بالسادات، وحقيقة الأمر هو أقرب إلى مبارك الذي استمر في الحكم ٣٠ عاماً من الاستبداد.

ولأن الفراغ هو العدو اللدود للشاذلي فكر أن ينتهز الفرصة ويؤدي فريضة الحج وطلب سفير مصر في الرياض ليسأله وبعد أيام فوجئ بسفير السعودية في المغرب يخبره أن هناك دعوة ملكية مقدمة له ولزوجته للحج وحاول الاعتذار ولم يتمكن لأن دعوات الملوك لا ترد وعاد إلى مصر أياماً قليلة التقى خلالها أهله وأصحابه في شبراتنا الذين طالبوه بكتابة مذكراته ووعدهم بأن يفعل قريباً وعندما سافر إلى الحج تلقى دعوة للقاء الملك الذي كان يجمع كبار الشخصيات خلال

موسم الحج وسأل الملك سعد الشاذلي عن رأيه في زيارة السادات إلى إسرائيل فرد أنها قفزة في الظلام وأنه لا يؤيده وقد التقى وقتها علي حمدي الجمال رئيس تحرير الأهرام وقتها وسأله عن رأيه في مبادرة السلام التي أطلقها السادات وأكد أنه لا يؤيدها وسأله أن كان سيكتب هذا الكلام ورد الجمال بالايجاب ولكنه عندما عاد إلى القاهرة كتب مقالاً يمتدح فيه مبادرة السلام العظيمة.

ولعل من أفضل ما خرج به الشاذلي في هذه الرحلة بعد المدد الروحاني أنه فكر بالفعل في كتابة مذكراته وقد استغرق ذلك حوالي سنة، ويبدو أن هذه المذكرات كانت المسمار الأخير في نعش علاقته العاصفة بالسادات بكل ما فيها من مد وجزر.

يستعيد الشاذلي بعد رحلة الحج المباركة كلمات زميله عبد المنعم واصل عندما قال له أثناء حرب أكتوبر: يا سعد تأكد بعد النصر أن البطل الوحيد الذي سيبقى على الساحة هو السادات، فقد مات أحمد إسماعيل نهاية عام ١٩٧٤ متأثراً بمرض السرطان وكان ذلك في لندن وقت عمل الشاذلي كسفير ومن باب الانسانية والواجب زاره في مستشفاه، حيث يعالج، والانسان يستشعر بقرب أجله ويحاول أن يتخفف من أثقاله، لذلك همس أحمد إسماعيل إلى الشاذلي في لحظة صفاء:

- يا سعد.. أنا لم أظلمك لكن السادات هو الذي طلب مني أن استبعد اسمك من احتفالات تكريم أبطال أكتوبر التي جرت في مجلس الشعب!!

ووقتها كان يتابعها كجندي مجهول أمام شاشة التلفزيون مثل غيره من الملايين ، وكأنه لم يحارب أو يخطط للعبور العظيم وأحزنه أن تكرم سوريا أبطالها ومعهم الشاذلي ويتم تجاهله في بلده، واستثمر السادات كتائب الإعلاميين والصحافيين من حوله وأوحي اليهم بمهاجمة الشاذلي، وقد فعلها موسى صبري في كتابه وثائق ١٥ مايو ثم حمدي لطفي في كتابه (العسكرية المصرية فوق سيناء) الذي تناول سيرة أحمد إسماعيل والجمسي وفؤاد ذكري قائد القوات البحرية وحسني مبارك قائد القوات الجوية وسعيد الماحي قائد المدفعية وآخرين من



قيادات متوسطة مثل كمال حسن علي وجمال الدين محمد، بينما تناسي الشاذلي ولم يذكر حرفاً واحداً عن دوره، وعندما أصدرت الشؤون المعنوية كتاباً عن حرب أكتوبر في عام ١٩٧٧ تحدثوا فيه عن الخطط والمعارك والأحداث ولم تشير إلى اسم سعد الشاذلي بأي عبارة سلبية أو ايجابية، واكتمل الأمر بكتاب السادات نفسه (البحث عن الذات) ورأينا سابقاً كيف تجاهل الشاذلي وكأنه لم يكن في صفوف الجيش ثم جاء مبارك من بعده، واستمر على نفس المنوال وزاد ذلك بأن سجن الشاذلي وجرده من أوسمته ونياشينه وامتيازاته وتمت معاملته كمتهم ومجرم حرب أفشي أسرار الدولة، ومضى الإعلام على ذلك النحو نفاقاً لمبارك، الذي استبدل صورة الشاذلي في غرفة العمليات بصورته هو، واختصر الحرب كلها في ضربة جوية قام بها حسني مبارك قائد هذا السلاح وكأن الحرب كلها هي طلعات جوية فقط قادها مبارك وحده، ولذلك كان من الصعب أن يتم تصحيح وضع الشاذلي لأن هذا معناه ببساطة من وجهة نظر مبارك سحب البساط كبطل من تحت قدميه وكشف الحقائق أمام شعبه وهو ما لا يريده لذلك حاول بكل ما يملك ابعاد الشاذلي عن دائرة الضوء، ولما بدأت قناة الجزيرة في فتح صندوق الكنز الكبير المسمى بسعد الشاذلي، كانت ضربة موجهة إلى مبارك لم يقدر على صدها، لأن الشاذلي وقتها كان قد خرج من السجن بعد انقضاء فترة العقوبة ولم يكن سهلاً الإمساك به وقد سجل حلقات شاهد على العصر التي فضح فيها كل شيء، خارج مصر، وشاهدها الملايين في مصر والعالم العربي، ومع ذلك أطلق أجهزة الإعلام المصرية تنافق مبارك على حساب 'لشاذلي حتى تم خلع مبارك من عرشه، في نفس الليلة التي رحل فيها الشاذلي لملاقاة ربه نقياً صادقاً حتى اللحظات الأخيرة.

نقطة تحول

هنا قصة طريفة من الهند كتبها لفرنسي فوليتر عن زيارة قام بها إلى درويش هندي اسمه (بابابيك) كان يجلس عادياً على كرسي مطرز بالمسامير وكأنه جالس على القطن والحرير وكانت النساء تأتي للتبرك بهذا الدرويش الذي يعلق في عنقه

سلسلة ثقيلة وزنها يزيد على ٣٠كيلوجراماً، النساء تسال والدرويش فوق المسامير يجيب ويقدم النصائح ودار بينه وبين صديق للكاتب هذا الحوار:

الصديق: أنني مواطن صالح وزوج صالح وصديق وفي واحترم جيراني وأتصدق على الفقراء فهل تظن أنني سأبلغ الدرجات العليا في الجنة؟

الدرويش: وهل تجلس على المسامير أحياناً؟

الصديق: لا أفعل ذلك.

الدرويش: هذا شيء مؤسف سوف لا تتجاوز السماء ١٩ في حياتك الأخرى.

الصديق: وأنت أيها الناسك المحترم في أي سماء ستكون مع كل هذه السلاسل؟

الدرويش: أعتقد أنني سأكون أقرب إلى الأعالي في السماء ٣٥ مثلاً!!

انها مجرد حكاية بطلها درويش هندوسي، لكن المعنى يصلح لكل شخص، وتبدو كما لو أنها قيلت خصيصاً للشاذلي الذي كان دائماً وأبداً جالساً على المسامير التي توضع في طريقه طوال الوقت وهو يحولها إلى قطن وحرير، ويرتفع بها إلى أعلى.

بطولة الشاذلي الحقيقية كما قال بعض النقاد والكتاب ليست في عقليته الحربية الفذة، لكن في وضوحه الباهر في زمن ضبابي، هو دائماً لا يقصد الا الخطوط المستقيمة والأمور من حوله تلف وتدور وتناور في المنحنيات والدهاليز.

وعندما عاد من رحلة الحج المباركة كانت الكثير من الأمور قد حسمت أمامه وقرر قطع الشعرة الأخيرة مع السادات وأن يواجهه بكل قوة، وأن يلقي اليه غير آسف بالبطاقة الدبلوماسية التي تربطه رسمياً بنظامه وحكومته وقوانينه.

كان يرى الصورة عن بعد من لشبونة عاصمة البرتغال وها هي العلاقات مع أميركا تزدهر على حساب الجانب السوفياتي وقد كان الداعم الرئيسي لمصر في

معركتها رغم كل شيء بعكس أميركا التي قدمت جسراً جوياً رهيباً لإسرائيل، وهو معناه فتح الباب للاستدانة من الخارج وهي القروض التي صنعت انتعاشاً اقتصادياً مزيفاً، حيث أن فوائد هذه القروض بعد سنوات سوف تتحول إلى قيود صلبة ضد اقتصاد مصر الذي اتبع سياسة انفتاح السداح مداح كما وصفه الكاتب الراحل الكبير أحمد بهاء الدين، ثم هذه الحملة الشرسة المنظمة لتشويه صورة عبد الناصر وعصره بكل السبل ومحو انجازات ثورة ٢٣ يوليو واستبدالها، بحركة التصحيح التي أطلقها السادات على انقلاب ١٥ مايو وبذلك استمر خداع الناس باسم الديمقراطية، وبلغت الأمور ذروتها بزيارة السادات لتل أبيب أو الأراضي الفلسطينية المغتصبة في نوفمبر ١٩٧٧، والسعي لاقامة صلحه المنفرد مع العدو، وهو القرار الصدمة لأجيال عربية شبت على كراهية العدو الصهيوني وضرورة استعادة القدس الشريف والمسجد الأقصى السليب أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومركز الحجيج المسيحي في كنيسة القيامة بما تمثله من قداسة في قلب كل مسيحي وكل مسلم أيضاً.

عاد الشاذلي من الحج ونواياه خالصة وقد عقد العزم على مواجهة هذه الأباطيل كلها، وكأنه يودع أهله وأحبابه في مصر، وسافر إلى لشبونة عاصمة البرتغال ولحقت به السيدة زينات السحيمي زوجته بعد أن أخبرها بقراره أنه لم يعد يحتمل الاستمرار في نظام متخاذل على هذا النحو.

وكانت الزوجة بنت الأكابر والأصول تدرك أن سعد يستمد قناعته من ايمانه بالله ووطنه وعروبته، وهي معه قلباً وقالباً، وكانت الجزائر واليمن وسورية والعراق وليبيا قد قررت قطع علاقتها مع مصر احتجاجاً على زيارة السادات لإسرائيل.

ظلت مواعيده كسفير كما هي وبرنامج عمله كالمعتاد، حتى يطلق قنبلته المرتقبة في توقيتها الصحيح، وكما بنى خطته في حرب أكتوبر على عنصر المفاجأة، وقد اعترف بذلك العدو الصهيوني أكثر من مرة على لسان كبار قادته!

حلقة (٢٤)

صورة قديمة مع عبد الناصر



ماذا تحمل المظاريف المغلقة !



إنها الحرب مرة أخرى... ولكنها هذه المرة لا تدور على أرض سيناء بالملابس العسكرية، أن أبواقها تصيح من لشبونة عاصمة البرتغال وتحديداً من مقر السفارة المصرية هناك وعلى وجه الدقة أكثر من داخل مكتب السفير سعد الشاذلي، وعلى مقربة من حفيديه هشام وكريم وقد ذهبا اليه في عطلة الصيف، وكان قد قرر وانتهى الأمر، اتصل به السفير الكويتي الذي أخبره بقرب وصوله إلى البرتغال، واتصل به شقيق زوجته الذي أعلن عن زيارة عائلية قريبة، كل هذا يتم، وفي يوم ١٩ يونيو ١٩٧٨ كان سائق السفارة يحمل عدة مظاريف مغلقة إلى عدة جهات فيها ورقة الخلاص النهائية والقاطعة بينه وبين السادات، كانت المظاريف المغلقة تحمل بياناً من الشاذلي تم توزيعه على وكالات الأنباء والصحف وسنلاحظ أن الرجل استثمر المناخ الثوري في البرتغال والذي يتفق مع قراره وطبيعته وقد قال في بيانه الخطير: لقد اتضح أن نظام السادات ليس أفضل من نظام سالازار أو نظام كايتانو الذي أسقطته الثورة البرتغالية في ٢٥ ابريل ١٩٧٤ كما أنه ليس أفضل من نظام فرانكو الذي سقط في اسبانيا بعد موته في نوفمبر ١٩٧٤ أن إجراءات الانتخابات وخلق بعض المؤسسات الدستورية في بلد ما، لا يعني بحال من الأحوال أن الديمقراطية قد تحققت في هذا البلد.

إن القوانين التي أصدرها السادات مؤخراً لهي أشد قسوة من كل ما أصدره سالازار طوال حكمه من قوانين ظالمة وتحت شعار الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي، لقد كان سالازار يزج بخصومه السياسيين في السجون بموجب قوانين وضعها هو بنفسه وصادق عليها أعضاء البرلمان الذين أتي هو بهم بالتزوير، السادات يكرر المشهد بحذافيره ويستطيع أن يسوق معارضيه إلى السجون أو حتى إلى حبل المشنقة أنه يعتبر كل من ينتقد زيارته للقدس تهديداً للوحدة الوطنية.

ولو أن هناك ديمقراطية حقيقية في مصر لما اختار أبناء مصر هذه السياسة الخارجية الخاطئة التي يدفعنا اليها السادات وقد أدت إلى أن أصبحت إسرائيل أشد تعنتاً في مطالبها، وتدهورت القدرة القتالية للقوات المسلحة لتصل إلى ٦٠٪

مما كانت عليه قبل حرب أكتوبر، واهتز التضامن العربي وبدأ يتفكك ولو أن هناك ديمقراطية في مصر لما تجرأ السادات على نشر مذكراته بينما هو لا يزال في موقعه كرئيس للجمهورية لقد تعودنا أن نقرأ مذكرات كبار السياسيين والعسكريين ولكن بعد اعتزالهم الخدمة أما أن يكتب أحدهم مذكراته وهو لا يزال يشغل منصبه فان هذا لم يحدث قط في بلد في العالم...ان طريق الديمقراطية في مصر هو طريق صعب ولكنه الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله أن تصل مصر إلى مستقبل أفضل، عاشت مصر وعاشت الديمقراطية.

هذا الجزء الأخير من البيان توقفت أمامه طويلاً بعد إعلان انتخاب محمد مرسي كأول رئيس مدني منتخب ، مع منافسه الفريق أحمد شفيق المحسوب على نظام مبارك...تذكرت بيان الشاذلي وكأنه قد كتبه أيضاً في عصر مبارك وفي شكل حلم كان يرواده هو والملايين غيره، ويراه الغالبية صعب المنال لكنه تحقق في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير وقد رحل الشاذلي ليلة انتصارها وخلع مبارك وكأنه قد اطمئن إلى ذلك وكان شديد الثقة أن الديمقراطية مقبلة لا محالة وكما تصورها قبل ٤٠ عاماً تقريباً، وهناك في لشبونة، هناك يلعب العسكري بأدوات وأسلحة السياسة على أعلى مستوى ويخاطب شعب البرتغال بما يعرفه، ولكن البيان القنبلة سرعان ما كان صداه وردود أفعاله مدوية بعد ساعات قليلة من اعلانه في جميع أنحاء العالم، سارعت وكالات الأنباء والقنوات الفضائية للاتصال بالسفير المتمرد وأجرت محطة BBC البريطانية حواراً مطولاً معه، وجرت عدة اتصالات مع مجموعة من السفراء العرب في لشبونة يعلنون تضامنهم الكامل مع الشاذلي ويعرضون استضافته في بلادهم، وعرض صدام حسين نائب الرئيس العراقي وقتها أن يستضيفه، وفي مصر نشرت الصحف يوم ٢٠ يونيو قراراً من وزارة الخارجية بالاستغناء عن خدمات سعد الشاذلي لأن الوزارة علمت أنه على اتصال بالقذافي وأنه وعده بمنصب كبير في الجيش وراتب يوازي أضعاف راتبه كسفير عدة مرات،وقتها أخفى الشاذلي وجهته وطلب تأشيرة سياحية إلى اسبانيا وسافرت معه مجموعة تأمين جزائرية وعراقية إلى مدريد ومن هناك أخذ الطائرة إلى الجزائر، حيث

قوبل بحب وتقدير غير متوقعين وعاش فترة من أجمل سنوات عمره.

وتحكي السيدة زوجته كيف كانت العائلات تتسابق لزيارة الشاذلي في قصره الكبير وقد وفروا جميع أسباب الراحة ولكنه رفض معاملته كلاجىء سياسي، واعتمد على دخله من كتابة المقالات فهو شديد الحساسية في مثل هذه الأمور مهما كانت درجة ترحيب القيادة الجزائرية به وكان أحفاده يذهبون اليه في أجازاتهم الدراسية ولكنه المنفي وان كانت الجنة ولابد من الوطن ولو طال الأمد.

وكثيراً ما كان الرئيس هواري بومدين يلتقى به وكذلك كبار رجال الدولة واعتبرهم المصريون الذين يعملون في الجزائر بالتدريس وجه الخصوص سفيراً لهم يعرضون عليه مشاكلهم ويحاول حلها بكل الطرق، وكانوا قد شددوا الحراسة عليه خوفاً من اغتياله عن طريق السادات ورجاله ولكن حرية الحركة داخل الجزائر ومنها واليها كانت مكفولة له،أما سر اختيار الجزائر دون غيرها فيرجع إلى ثورية الجزائر ونظامها ،الذي ينسجم إلى حد كبير مع أفكاره بعكس حزب البعث العراقي الذي يختلف معه، وقد ارتبط الشاذلي بصداقة وطيدة مع الرئيس الجزائري هواري بومدين عندما كان الشاذلي أميناً مساعداً عسكرياً لجامعة الدول العربية، وقد طلب بعد تعيينه رئيساً للأركان أن يطلب بعض الأسلحة من الدول العربية وكان رد السادات أن الجزائر والمغرب على وجه الخصوص لن يتعاونا مع مصر، لكن الشاذلي تصدى لهذه المهمة وسافر في فبراير ١٩٧٢ إلى الجزائر والتقى بالرئيس بومدين ووعده بأن تقدم الجزائر جميع المساعدات العسكرية المطلوبة بشرط أن تكون هناك نية صادقة للحرب.

وفي سبتمبر ١٩٧٣ قبل الحرب بأسابيع قليلة سافر الشاذلي باسم مستعار إلى الجزائر والتقى بالرئيس الجزائري وأخبره بميعاد الحرب وتباحثا بشأن السلاح وخطة الحرب ووعد بومدين أن يتصل بالسادات للاتفاق معه على التفاصيل وعندما اندلعت الحرب قدمت الجزائر سرب ميغ ٢١ وسرب سوخوي ١٧ وسرب ميغ ١٧ ولواء مدرع



واحتلت المركز الثاني في ترتيب الدول العربية الداعمة لمصر وسورية في حرب أكتوبر، بينما احتلت العراق المركز الأول، وجاءت ليبيا ثالثاً يليها على الترتيب: الأردن، المغرب، السعودية، السودان، الكويت، تونس.

وكان من الممكن للتعاون العربي أن يحقق أفضل صورة مما ظهر به لكن التأخير في ارسال الأسلحة أحياناً ونوعيتها لم تكن تتناسب مع خطط المعركة ومواجهة أسلحة إسرائيل المتقدمة جداً، لكن حسن النوايا هنا يكفي ويستحق الشكر لأن هذا الحشد العربي لم يحدث منذ انشاء دولة إسرائيل.

ويكتب الشاذلي وثيقة وتوصية عسكرية بالغة الأهمية للعرب يقترح فيها بناء نظام دفاع جوي يستطيع الدفاع عن القوات المسلحة ويوفر لها الحماية قبل بدء العمليات الحربية مع العدو.

وتكون أسبقية رفع الكفاءة للجيوش العربية للقوات الجوية والدفاع الجوي ثم القوات المدرعة، ونصح الأمين العام المساعد العسكري لجامعة الدول العربية في هذا الوقت، بشراء السلاح وفق احتياجات كل دولة، وأن تكون الأسلحة حديثة ويتم التدريب عليها أولاً بأول، مع الاهتمام بالانتاج الحربي.

١٣ عاماً

١٣ عاماً قضاها الشاذلي بالجزائر ضيفاً عزيزاً كريماً ومحارباً صلباً ومعارضاً للسادات يتحرك بين الدول التي عرفت بالصمود والتصدي كرجل سياسي وطني، واستثمر وقته على أفضل ما يكون.

نشر مذكرات عن أكتوبر ثم اتبعها بكتاب «٤ سنوات في السلك الدبلوماسي»، وكتاب (الخيار العربي الاستراتيجي) وكان كتابه الرابع (الحملة الصليبية الثامنة)، وعندما دخلت الجزائر في نفق الحرب الأهلية بعد انقلاب القادة العسكريين على نتائج الانتخابات البرلمانية التي جاءت بالإسلاميين إلى الحكم، وعلى أثرهم تم عزل الشاذلي



بن جديد رئيس الجمهورية وتحديد إقامته وتم إعلان الأحكام العرفية وبدأ الجيش الجزائري في الإجهاز على رموز وقادة جبهة الإنقاذ وإثارة الاضطرابات في مختلف أنحاء البلاد وتم تدبير عدة مذابح وإلصاق تهمة فعلها بالإسلاميين لكن الرجل الذي انتصر دائماً وأبداً للديمقراطية رفض أن ينقاد لأعداء الديمقراطية.

وقد استعان العسكر في الجزائر ببطل سابق شارك في ثورة التحرير هو محمد بو ضياف لتولي الحكم بدلاً من الشاذلي بن جديد بدأت مضايقات بعض المسؤولين للشاذلي بعد اغتيال محمد بو ضياف وبدأ البعض يخطط للاستيلاء على القصر الذي يسكنه بمجرد أن علموا بنواياه في العودة إلى مصر.

ويذكر الكاتب مصطفى عبيد على لسان أحد الصحافيين الجزائريين التقى الشاذلي بالخرطوم بعد سنوات حبسه في مصر وسأله أن كانت في نفسه غضة مما فعله بعض الجزائريين فقال ضاحكاً للصحافي:

- يا أخي لا يمكن أن أخذ الشعب الجزائري كله بذنب قلة قليلة، ويكفي أن هذا الشعب قد احتضني بكل الحب سنوات طويلة.

وعاد الشاذلي إلى مصر وهناك من أوحى اليه بان الحكم الذي صدر بسجنه عام ١٩٨٣ بسبب نشر الأسرار الحربية في مذكراته وإفشاء معلومات تخص أمن الدولة، وأبلغ أسرته بعودته، وكانت قد سبقته إلى مصر، ونزلت الطائرة به إلى مطار القاهرة وتأكدوا أنه كان بين ركابها ولكنه لم يغادر المطار، ولم يصل بيته.

وبدأت المخاوف تتسرب إلى قلب زوجته وابنته وعائلته وأدركوا أن المسألة لم تعد تحتمل السكوت، واتصلت الزوجة بقصر الرئاسة وطلبت ابلاغ مبارك بأنها سوف تعتصم أمام القصر اذا لم يتم الاعلان عما جرى له وأين هو، وقامت شهدان ابنته الكبرى بابلاغ الاذاعة البريطانية باختطاف والدها، وفي اليوم التالي تم ابلاغهم بأن الفريق محتجز في التحريات العسكرية وأن سيارة خاصة دخلت إلى حرم المطار واصطحبته من بين الركاب مقبوضاً عليه، ويجب ترحيله فوراً إلى السجن الحربي!!.

خارج السياق : (حقائق للتاريخ)

يرتبط تاريخ الشعب اليهود كما هو وارد في أسفار موسي الخمسة بمصر والمصريين منذ البداية، اذ يبدأ التاريخ بالعبودية في مصر ثم الخروج منها، وهي اللحظة التي تحول اليهود فيها إلى شعب، لهذا أصبحت مصر رمزاً للعبودية والمنفى وتحول المصريون رمزاً للأغيار ، وهذا التاريخ المقدس لا علاقة له بالتاريخ الحقيقي، فالعلاقة بين الإمبراطورية المصرية القديمة والمملكة العبرانية لم تكن دوماً سيئة، كما أنها لم تكن طيبة طوال الوقت، فإذا نظرنا إلى الجانب الايجابي في العلاقة نجد أن العبرانيين كثيراً ما انضموا للقوات المصرية كمرتزقة، وقبل سقوط الهيكل على يد تيتوس الروماني كانت توجد مستوطنة يهودية في جزيرة الفنتين بأسوان، يقوم سكانها من الجنود المرتزقة بحماية حدود مصر الجنوبية، كما كان اليهود يهاجرون بأعداد كبيرة إلى مصر،

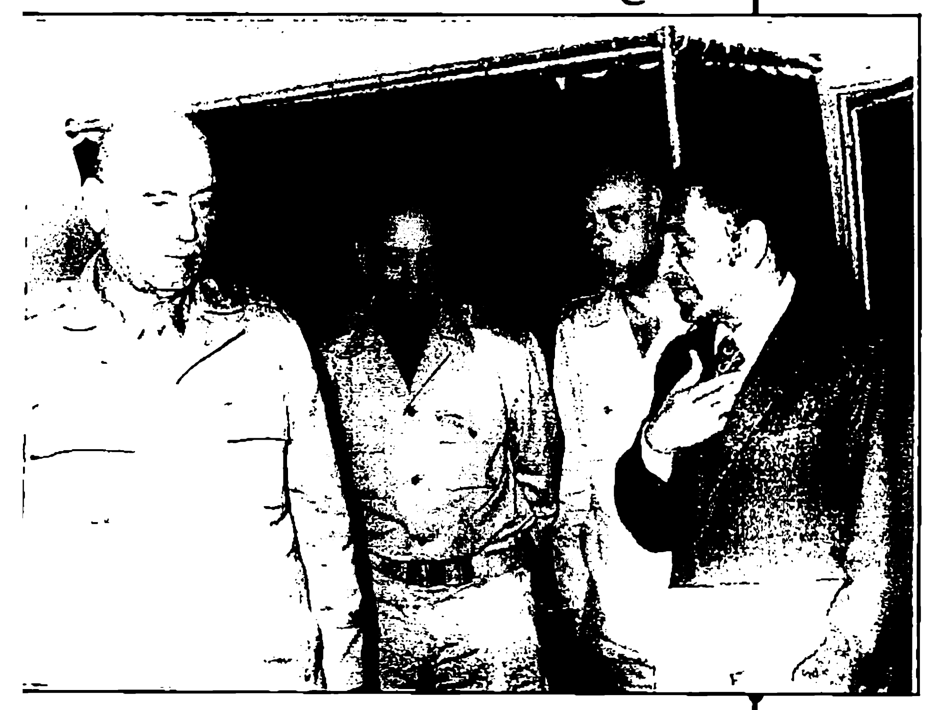
والتاريخ اليهودي المقدس يذكر زواج الملك سليمان من أميرة فرعونية (وان كان هذا الحدث الأخير يؤخذ كمؤشر على مدى تدهور سلطة ملوك مصر الفراعنة، أما من الناحية السلبية فنجد أن كثيراً من ملوك مصر القديمة قاموا باحتلال فلسطين لحماية حدود مصر الشرقية أو ليفرضوا حكومة تابعة لهم، كما أن الأقلية اليهودية في مصر تحالفت مع الغزاة الهكسوس، من كل هذا نستنتج أن علاقة المصريين باليهود كانت علاقة عادية تتسم بالصداقة أحياناً وبالعداوة أحياناً أخرى، ولكن التاريخ المتعين لا علاقة له بالتاريخ المقدس الذي يدرسه الطالب اليهودي (ثم الطالب الإسرائيلي في المدرسة التلمودية أو في دروسه الدينية، وهو التاريخ الذي تنظر أوروبا إلى مصر من خلاله، وهو الأساس الفكري لكثير من الأفكار الغربية العنصرية عن مصر والعرب، وحقوق اليهود المطلقة في أرض الميعاد).

قبل وأثناء حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كان يحكم إسرائيل جيلاً كاملاً

منذ عام ١٩٤٨، وكان هذا الجيل هو الواجهة الديمقراطية للحكم الديكتاتوري للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي كانت تحكم إسرائيل، وكان هذا الجيل دور في خداع الرأي العام الأميركي، حتى أعلنت بعض الأقلام العالمية أكثر من مرة أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي تمارس الديمقراطية.

طلقة (٢٥)

مع هيكل .. العسكرية والصحافة



وتصرف طنطاوي بشهامة الرجال!

فجأة وجد مدير السجن الحربي اللواء محمد أشرف أن السجين الذي يقف أمامه هو الفريق أول سعد الدين الشاذلي أستاذه ومثله العسكري الأعلى، فقام تلقائياً وأدى له التحية العسكرية رغم أن هذا يخالف التعليمات وبعد قليل تلقى مكالمة تليفونية تخبره بضرورة الذهاب صباحاً إلى مكتب وزير الدفاع المشير طنطاوي لأمر مهم، وظل يضرب أخماسا بأسداس للعقاب الذي ينتظره بسبب ما أقدم عليه رغماً عنه ودخل إلى مكتب طنطاوي، وقال له بوضوح:

- الخلاف السياسي مع الفريق سعد الشاذلي لا ينسينا أفضاله على الجيش وعلى مصر كلها.

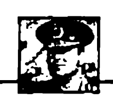
ثم بدأت الاتصالات تنهال على مدير السجن من كبار ضباط الجيش يوصونه خيراً بالفريق المعتقل، وكانت تعليمات طنطاوي صريحة يجب أن توفر كل أسباب ووسائل الراحة للفريق الشاذلي، فقام بتجهيز جزء من مستشفى السجن كجناح خاص به أجهزة رياضية لرجل تخطى السبعين في هذا الوقت وحرصه على الرياضة بلا حدود كان صلباً كسنديانة ويقظاً كشاب يتفجر بالحيوية، صافي الذهن كحكيم شديد الحرص على كل ثانية من الوقت، يحفظ نتائج التحليل الطبي الدوري الذي يجريه ويناقش الأطباء كأنه من خريجي الطب، ويناقش هيئة الدفاع عنه وهم من كبار المحامين مثل: سليم العوا، عبد الحليم رمضان، محمد حلمي مراد، كأنه يحفظ القانون عن ظهر قلب.

هو الآن السجين الذي يسأل عن حقوقه وواجباته، لا يريد أكثر من حقه ولا يزيد رغم أنهم فتحوا له المجال، زيارات بلا حدود، ووضع لنفسه برنامجاً لا يحيد عنه:

الاستيقاظ في السادسة صباحاً يصلي الصبح ويقرأ القرآن الكريم لمدة نصف ساعة ثم يمارس الرياضة على الأجهزة لمدة ساعتين بعدها يأخذ الحمام ثم الإفطار وهو لا يزيد عن ملعقتي فول وقطعة من الجبن، وربع رغيف وكوب من

اللبن ثم يقرأ الصحف ويتابع المستجدات في نشرات الأخبار تلفزيونياً ويسجل ملاحظاته في نوتة لم تكن تفارقه فإذا دقت الثالثة عصرا جلس إلى الغداء المكون من الخضار السوتيه وقطعة لحم لا تزيد على ٩٠ غراماً وملعقتي أرز بالعدد ويرتاح لمدة ساعة، وعند الخامسة يتناول ثمرة طماطم واحدة ومثلها من الخيار، ثم يعود لقراءة الصحف ومشاهدة الأخبار ويكون العشاء زبادي وملعقة عسل وينام بعد نشرة أخبار التاسعة، ويقوم على خدمته مجند خريج سياحة وفنادق وحارس خاص مراسلة، كان يسحب سلك الكهرباء ويحسب بالدقيقة كم يستغرق غلي الماء لكي يفصله، ولا يجلس أمام التلفزيون أكثر من اللازم، وعائلته تعرف أنه سوف يأمرها بالانصراف بعد نصف ساعة هي زمن الزيارة مثل غيره من سجناء ونزلاء السجن الحربي، وكان يلتقي بهم في صالون ملحق بمكتب مدير السجن الذي كان يتعذب وهو يرى هذا القائد في محبسه، وغيره في أعلى المناصب، وطلب منه أن يكتب عفواً لكي يتم الإفراج عنه بقرار من مبارك وحذره من أن يعيد هذا الكلام عليه مرة أخرى حتى لو قضي في السجن ما تبقى من العمر، ولما قضى نصف المدة وهي سنة ونصف السنة كتب مدير السجن اسمه في كشف المفرج عنهم لحسن السير والسلوك وهو أمر متبع في السجون ولكنه أيضاً رفض خوفاً من أن يتم شطب اسمه، أو يظهر أمام مبارك في حالة ضعف وتوسل، وكان مبارك هو الذي يرسل إليه بالمندوبين يخبرونه بذلك وكان يردهم، في خيبة ويفوت الفرصة عليه أن يكسب بطولة زائفة على حساب بطل حقيقي دخل سجنه زوراً وبهتاناً، وحتى يكسر شوكة المهندس الحقيقي لحرب أكتوبر.

وجمعته مع مدير السجن جلسات طويلة ودية، ونصحه خلال إحداها بأن يكثف الحراسة على السجن والرجل يعرف أنه مستهدف، وكان من بين من ذهبوا إلى الشاذلي في محبسه ينصحونه بكتابة التماس إلى مبارك اللواء هتلر طنطاوي وكان وقتها الأمين العام لوزارة الدفاع. وفي لحظات الأنس التي زادت أواصر



المحبة بين مدير السجن وأستاذه الشاذلي تحدث طويلاً عن أمنيته أن يتوحد العرب وأخبره بزيارته للعراق قبل هجوم قوات التحالف لتحرير الكويت فهو يؤمن أن غزو العراق للكويت كان خطيئة كبرى فالكويت دولة عربية ذات سيادة ويجب احترام حدودها، ونصحت صدام بأن يترك الكويت وينسحب ، لأن أميركا تريد استثمار هذه الفرصة ووضع يدها على المنطقة بأكملها، ولكن صدام لم يستمع إلى النصيحة. ولما عرف بأمر الإفراج عنه لمرور نصف المدة انزعج وطلب أن يقرأ نص القرار حتى يتأكد أنه ليس منحة من مبارك أو تفضلاً عليه.

دراما المذكرات

ماذا في تلك المذكرات التي أصر الشاذلي على نشرها وفضح المؤامرة عليه وكشف الحقيقة للتاريخ بعد أن رفضوا محاكمة علانية، وعندما أدرك نظام مبارك بأن المذكرات وكان يعرف بها من أيام السادات وقت أن كان نائبا، استخدم كل نفوذه خارج مصر بالترهيب والترغيب مع دور النشر العالمية والحكاية ترويها شهدان ابنة الفريق الكبرى التي علمها كيف تقفز بالمظلات وفعلتها أمام جمال عبد الناصر، لكي يثبت أن البنت قد تكون أشجع ألف مرة من عشرات الرجال تقول:

توجهت إلى إنكلترا ومعي نسخة إنكليزية من المذكرات وقابلت «باتريك سيل» وهو صحافي ومحلل شهير في صحيفة الأوبزرفر ويمتلك داراً للنشر وله علاقات عربية واسعة واقتنع بأهمية الكتاب ولكنه سرعان ما تهرب ولا يرد حتى على تليفوناتي، واتجهت بالكتاب إلى أميركا وتحديداً إلى مجموعة أراب أميركا ورفضوا نشر الكتاب في بلد الحرية، وبعض الأصدقاء رشحوا لي الدكتور كيالي الفلسطيني الذي يمتلك دار نشر العالم الثالث، ومرة أخرى دخلت في دوامة من الرفض غير المقنع، وعدت مرة أخرى إلى أميركا وعرفت أن اللوبي الصهيوني كان أيضاً يمارس ضغطه لعدم نشر الكتاب الذي يروي حقائق حرب أكتوبر بالأرقام وبكل دقة، وكان هدفهم إفساح المجال للكتب الإسرائيلية وحدها لكي تعطي



انطباعاً للعالم بأن إسرائيل قد انتصرت في حرب ٧٣ ولم تخسرها، خاصة بعد ثغرة الدفراسور.

والمفاجأة التي عرفت بها بعد ذلك اغتيال الناشر الفلسطيني الكيالي بعد أن عاد وأبدى موافقته على نشر الكتاب. وكان الحل الأخير هو نشر الكتاب على نفقة المؤلف وتم ذلك بالفعل وسط مخاوف من مصادرة الكتاب أو منعه وهو ما فعله نظام مبارك بالفعل، حيث لم يتم الإفراج عن المذكرات إلا بعد رحيل مبارك لدرجة أن بعض دور النشر قامت بطبع الكتاب بدون إذن المؤلف في طباعات رخيصة، ورغم الضجة التي أثيرت حول الكتاب إلا أن مبيعاته في بداية الأمر كانت متواضعة وتدريجياً بدأ تسريبه إلى مصر وارتفعت معدلات التوزيع ونفذت الطبعات الواحدة بعد الأخرى في لغات مختلفة بعد أن تناولت كبرى الصحف الإنكليزية موضوع المذكرات. لقد اكتشف الملايين في الشاذلي محللاً سياسياً بارعاً كما عرفوا عنه بطولاته العسكرية التي حاول السادات ومن بعده مبارك على وجه الخصوص حجبها فإذا بها تزداد وتكبر.

ورغم رحيل مبارك عن السلطة، ورحيل الشاذلي عن الحياة في يوم واحد (١١ فبراير)، إلا أن أعوان مبارك حاولوا بكل السبل وفي شركات الإنتاج الدرامي على وجه الخصوص منع ظهور مسلسل تلفزيوني عن الشاذلي كان كاتب السطور قد شرع في كتابته، بعد أسابيع قليلة من هذا التاريخ، خاصة أن الأخبار التي نشرت حول المسلسل أكدت أن حلقاته سوف تكشف بالدليل القاطع جريمة مبارك في حق الشاذلي وسر كراهيته له، والخوف من الشعبية الطاغية التي يتمتع بها هذا البطل، والمعروف أن أغلب شركات الإنتاج الكبرى لها علاقة من قريب أو بعيد بمبارك، وكانت تعليماتهم، بعمل المسلسلات السطحية التي تبعد العقول عن التفكير في هموم الوطن، وصرف الأنظار عن الأبطال الآخرين والتركيز فقط على بطل الضربة الجوية. قمت بزيارة شبراتنا وتقابلت مع العديد من أفراد عائلة

الشاذلي من أبناء عمه، وزرت المسجد الذي قام بتشييده في القرية بجوار فيللا صغيرة خصصها لسكنه خلال تواجده في القرية وقد كان حريصاً على التواصل مع أهله وأقاربه وحل مشاكلهم ومساعدة فقراء القرية وأنشأ لهم بجوار المسجد عيادة طبية مجانية، ومع ذلك حاربت وزارة الأوقاف إقامة المسجد ورفض هو أن ينضم إليها ويصبح تحت ولايتها.

ومن العجيب أنك في مدخل القرية سترى لافتة كبيرة على مبنى المدرسة الابتدائية تحمل اسم حسني مبارك، وبعد ثورة ٢٥ يناير نزع الأهالي هذه اللافتة التي كانت في مرمي البصر للقادم والذاهب من بيت الشاذلي إلى خارج القرية أو داخلها، وكثيراً ما قال لأقاربه. وهو يرتدي الجلباب والعباءة مثلهم: أنا لا أكره مبارك ولا أكن أدنى عداوة، لكني اختلف معه في أسلوب حكمه، وأتمني أن أرى بلادي تعيش حياة ديمقراطية سليمة، يتم فيها انتخاب رئيس الجمهورية عن طريق الشعب.

وفي آخر أيامه كان يحذر من عملية التوريث ويخشى منها، ويرى أن الشعب ربما يستسلم لها في أول الأمر، لكنه حتماً سوف يتمرد عليها ويرفضها ويحاربها، كان يعرف جيداً أن الشعب مهما ظهر صبوراً حمالاً للظلم، لكنه عندما يصل إلى نقطة النهاية يقهر ظالمه مهما كان، ويستشهد في ذلك بالتاريخ العظيم التي قهرت المستعمر عبر معاركها وغزواتها العديدة، لكن أهمها وأخطرها معركة بناء وطن قوي مستقل غير تابع أو ذليل يمد يد التسول إلى أميركا وغيرها، وهو الذي يمتلك كنوز الأرض كما جاء في القرآن الكريم. في أيامه الأخيرة كان يراهن على انتصار الشعب، وفاز في رهانه، ومن يرى أسرته وأحفاده كيف شبوا على الوعي والكبرياء ونزلوا ميدان التحرير مع ملايين الشباب من أمثالهم في ثورة يناير سيدرك أن الشاذلي انتصر في معركته مع العدو وانتصر في معركة الحياة وقهرها في أصعب المراحل والمواقف، لأنه ببساطة رجل ضد الكسر.

طلقة (٢٦)

(بين ثلوج موسكو)



أمتار قليلة بين الجاني والمجني عليه !



في المركز الطبي العالمي قضى الفريق الشاذلي أيامه الأخيرة، وهو لا يعرف أن أمتاراً قليلة سوف تفصله عن مبارك عندما يحل ضيفاً على المركز أثناء محاكمته في قضية قتل المتظاهرين التي حصل فيها على المؤبد، وكان قبلها يعيش في شرم الشيخ بعيداً عن المناطق المشتعلة بالغضب والتي تنادي في أغلب ميادين مصر بالقصاص منه ومن نظامه.

على غير موعد أو ترتيب وبفارق زمني بسيط جمع المركز العالمي على طريق مصر الإسماعيلية المختلفين، الشاذلي الذي اختار أن يكون عسكرياً صادقاً ووطنياً وعربياً إلى آخر المدى مهما كلفه ذلك من تضحيات ومواجع وخسارة خاصة، وبين الذي ارتضى بالسلطة والصولجان حتى لو كان الثمن أن يدوس على أبطال وقيم ومواثيق، وكيف لا وهو الذي انبهر مبكراً بكل ما هو أميركاني وبالتالي بالصداقة مع إسرائيل على حساب شهداء غزة وضحايا الجبروت الصهيوني، بينما اتجهت بوصلة العداء المبالغ فيه نحو ايران بحجة الخوف من التشيع أو الهيمنة، وقبل أن يدخل في مرضه الأخير، كان يصلي الجمعة في أحد المساجد القريبة من بيته ويلتقي مع قادة قدامى أصابهم التجاهل والنسيان وأهملهم الإعلام على حساب محاسيب مبارك ونظامه وكان يقول لهم بابتسامته الشهيرة:

- يا أولاد لقد فعلنا ما فعلناه ليس من أجل الإعلام ولا من أجل التاريخ ولكن ابتغاءاً لوجه الله، وهو وحده سبحانه الذي يعلم النوايا وما تخفي الصدور وسيحاسب كل انسان على عمله ويجب أن نبتهل إلى الله أن يتقبل منا ولا تخشوا شيئاً وسيأتي اليوم الذي تظهر فيه الحقيقة سواء كنا في دار الفناء أو دار البقاء ولا تنسوا أن الملك رمسيس قام بحذف آثار كل من سبقوه ونسب كل شيء إلى نفسه فقط وبعد آلاف السنين عاد الحق إلى أهله والحق أحق أن يُتبع.

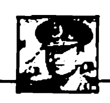
وفي بيته وخلال زيارة قمت بها للأسرة، في حضور ابنتيه سامية وناهد وزوجها والحفيدين طارق وكريم قالت لي زوجة الفريق السيدة زينات:

- عندما يسألني صحافي من أين أتي الشاذلي بهذه النظرة البعيدة التي يستطيع بها تحليل أمور السياسة كأنه أحد رجالها، ثـم يتحـدث في العسـكرية وتاريخـه فيهـا يتحدث عن نفسه، كانت اجابته: لابد للانسان في كل موقـع أن يتسـلح بالمعرفـة، وهي التي تحقق له أن يتخذ القرار الصائب، لقد كنا نعـاني خاصـة في حـرب عـام ١٩٦٧ من العشوائية في اتخاذ القرارات بـدون دراسـة أو علـم أو تخطـيط، ولمـا أدركنا ذلك وبدأنا نصحح هذا المفهوم كان لنا النصر في أكتوبر.

وتضيف السيدة زينات:

كان الفريق الشاذلي لا يبخل بوقته في القراءة ومهما كانت مشاغله فهو يحـرص على متابعة كل ما ينشر هنا وهناك في مجالات المعرفة المختلفة لذلك أجـاد عـدة لغات ساهمت في تعمقه ثقافياً ومتابعة الأحداث العالمية من منابعها، وقد اسـتثمر فترة سجنه وقرأ القرآن الكريم وختمه ثلاث مرات وحفظ الكثير منه، وتدينه هـذا جعله لا يتنازل عن حقه ولا يفرط فيه، واذا كـان خلافـه مـع السـادات كمـا يـراه البعض هو خلاف بين قائد سياسي وقائد عسكري وهذا صحيح، لكن الأصح أن القرار في يد رئيس الدولة لكن وجهة النظر السياسية ليست حكراً على الرئيس، وفي النظم الديمقراطية تتدخل المؤسسات المختلفة حسب تخصصها، وأكثر مـا كـان يزعجه الكذب ومغالطة الواقع والخصومة غير الشريفة بحيث تظهر أمامـه بوجـه ومن خلفه بوجه آخر مختلف تماماً وقد عانى من ذلك كثيراً، وكان يعـرف ويـردد أمامنا أن الانسان مهما أخذ من الدنيا لـن يأخـذ معـه الا عملـه الصـادق والنـافع للناس.

وكان الشاذلي قد أجرى حواراً مطولاً مع صحافي جزائري انتهز فرصـة وجـوده في طرابلس (أكتوبر ١٩٨١) وكان وقتها قد شكل ما يسمى بالجبهة الوطنية وكـان حسني مبارك في مستهل ولايته وبعد أيام من رحيل السادات وقيمة الحوار وأهميته انه يكشف عبقرية الرجل وثوريته التي لم تتوقف يوماً، فقد كان مصرياً عربياً حتـى



النخاع، وفي البداية سأله مالك علي:

من هي الأطراف المشاركة في الجبهة الوطنية؟ وما هو برنامج الحد الأدنى الذي تتفق عليه اليوم القوى المشاركة في الجبهة. واستطراداً: هل جميع الأطراف متفقة على قيادتكم اليوم وفي المستقبل، والعلاقة مع الإخوان المسلمين اذا كانت موجودة، فهل تتخذ طابع التنسيق؟

فيما يتعلق بالقوى الأساسية داخل الجبهة، فهي كما أعلنا في ميثاق الجبهة في ٢٧ مارس في دمشق: خمسة تيارات رئيسية هي: التيار الديني والتيار الناصري والتجمع الوطني المصري في الخارج والمستقلون والماركسيون، هذه هي القوى الرئيسية التي كانت موجودة في الجبهة عند تشكيلها، وهذه هي القوى المنضمة تنظيمياً إلى الجبهة، والتي تتكون منها القيادات في الجبهة، ولكن هناك قوى أخرى تعتبر من القوى المؤيدة للجبهة وان كان ليس لها وجود تنظيمي داخل الجبهة، هذا فيما يتعلق بالداخل.

أما الجزء الثاني من السؤال حول ما يتعلق بالإخوان المسلمين كقوة سياسية فلا يوجد أي ارتباط تنظيمي بين التيار الديني الموجود داخل الجبهة والإخوان المسلمين كحركة سياسية.

** ما موقفكم من النظام المصري بعد ذهاب السادات؟ هل يمكن التعاون مع النظام الجديد، وبأية شروط، ولأي مدى؟

* الخلاف بيننا وبين السادات لم يكن خلافاً شخصياً، لقد كان الخلاف بيننا وبين السادات كنظام وكرمز لنظام معين، نظام ديكتاتوري يفرض ما يريد على الشعب ويصدر القوانين التي يريد ويرفع شعار سيادة القانون، ولكن هذه القوانين هي قوانين ظالمة وكان شعار السادات تقنين الظلم، ولو قرأ المرء ما قام به السادات وقارن بينه وبين سالازار يجد تطابقاً شديداً، لأن سالازار في البرتغال

كان يقتص من القوانين ويعاقب كل واحد بحجة مخالفة القوانين في كل الميادين، والسادات يقوم بنفس العملية، وفي القرن الماضي كانت هناك قوانين تقنن الـرق، فهل معنى هذا اننا يجب أن نأخذ بهذه القوانين؟، كلا!، لأن هذه القوانين تتعارض مع وثيقة حقوق الانسان التي وافقت عليها الأمم المتحدة، ووافقت عليها مصـر، وتعتبر مصر لذلك ملتزمة بها، وأية قوانين تصدرها مصر أو أي بلد آخر تتعـارض مع هذه المبادئ تعتبر ظالمة ولا يجوز الاعتراف بها، نحـن اذن ضـد هـذا النظـام الذي يسن القوانين كما يشاء، فالسادات تجـاوز كـل ذلـك عنـدما أصـدر قـانون العيب، وهذا القانون غريب جداً لم يحدث قبل ذلك وليس لـه سـابقة في التـاريخ، وكلمة العيب هذه كلمة واسعة، والسادات كان يقول دولة العلم والايمان فكيـف يقول بذلك، كان يستخدم هذا القانون ضد كل من يعارضه.

إذن، لم تكن هناك خلافات شخصية بيننا وبين السادات، بـل أن الخـلاف كـان بيننا وبين النظام القمعي الذي نريد أن نسقطه نتخلص منـه، فعنـدما جـاء حسـني مبارك حاولنا أن نفتح له الباب ونعطيه الفرصة، نحن نعلم أن النظام الديموقراطي يمنحه سلطات ضعيفة ومحدودة ويكـون مضـطراً - لكـي يواصـل العـيش - أن يوافق على ارساء ما ليس مضطلعاً به، فأعلنا في البيان رقـم ٢ اننـا لا نعتبـر حسـني مبارك مسؤولاً عن جميع الأخطاء لنفتح أمامه الباب ليستغل هذه الفرصة ويصحح المسار فما كان منه الا أن أعلن انه سيسير على درب السادات في كذا وكذا، وكـأن السادات لم يمت، وفي حديث أجراه مبارك مع النيوزويك قال لهم حول سؤال عن أفكاره الجديدة والمستقبلية أن ليس له أي أفكار بل سيتابع نفس أفكـار السـادات وتصور السادات، اذن السادات لم يمت، وهو يعيش اليوم في حسني مبـارك، وهنـا نختلف مع حسني مبارك، ولابد اننا سنصطدم بالنظام ونعتبره نظامـاً فاشـياً يسـير على نفس أسلوب السادات.

أقول هذا وأضيف انـه في أي وقـت يتخـذ فيـه حسـني مبـارك خطـوة ايجابيـة



فسنكون أول المهنئين بذلك مثل الافراج عن المعتقلين وانهاء قانون الطوارئ وتجميد القوانين الظنية، وهذه خطوة نحو الديمقراطية التي نريدها، نحن نريد حكماً ديموقراطياً سليماً أساسه الجمهورية البرلمانية، حيث لا يتمتع رئيس الجمهورية بأي سلطات سياسية أو بسلطات بسيطة جداً، وتبقى السلطة الحقيقية في يد البرلمان، ويجب طبعاً تعديل الدستور، لأن الدستور المصري كما هو حالياً يجعل من أي مصري ديكتاتوراً لأنه يمنح الحاكم، أي رئيس الجمهورية، سلطات واسعة تجعله ديكتاتوراً حتى لو لم يكن يريد ذلك، خاصة بعد التفاف المنافقين حوله والتأثير عليه، فيصبح الحاكم يحسب نفسه ظل الله على الأرض، كل هذا يشكل خطوة نحو الديمقراطية.

** ما الوسائل التي تعتبرونها أكثر فعالية للوصول إلى أهدافكم هذه؟

* كما سبق أن قلت، أن النظام الأوتوقراطي الديكتاتوري للسادات ومن بعده حسني مبارك هو نظام عنيف لا يقاوم إلا بالعنف المضاد، ونحن نقوم بالعنف المضاد بكل الوسائل الممكنة والمتيسرة لدينا.

** هل تعتبرون أن المعركة مع النظام الحالي هي ذات طابع داخلي بحت أم انها تتخطى ذلك؟

* المعركة الأساسية هي إقامة الديمقراطية، ومعركتنا نحن ضد هذا النظام هي معركة الديمقراطية، لأننا اذ تمكنا من ارساء الديمقراطية تصبح كل المشاكل محلولة، وعلى سبيل المثال هناك اناس كثيرون يقولون عنا أشياء كثيرة خاصة حول كامب ديفيد اذا وصلنا إلى الحكم، كامب ديفيد هو نتيجة للنظام الديكتاتوري، ونحن لا نريد أن نقع بنفس الخطأ ونزور ارادة الشعب، اذا نجحنا في ارساء الديمقراطية فسنلجأ إلى الشعب ويقولوا له لماذا هم ضد كامب ديفيد، وسنتيح لمن أيدوا كامب ديفيد أن يقولوا للشعب لماذا هم مع كامب ديفيد، وكل واحد يأخذ حقه ونفس الفرصة في الرد في الاذاعات والتلفزيون والصحافة، ونستمر في هذا أسابيع وشهوراً

حتى يعرف الشخص العادي ما مزايا كامب ديفيد وما هي مضار وعيوب كامب ديفيد، ثم نسأل الشعب في استفتاء حر غير مزور، فاذا قال الشعب انه يريد كامب ديفيد فسأكون أول من يحترم ارادة الشعب، واذا قال الشعب لا. فمن واجبنا أن نلغي هذه المعاهدة، لأنها أولاً وأخيراً باطلة وهي أبرمت في ظروف تتنافى مع القانون الدولي، فهي عقدت أثناء احتلال الإسرائيليين للأراضي المصرية، وهذا في حد ذاته - ووحده - يبطل الاتفاق من الناحية الدولية، أن من حق كل دولة أن تلغي أية معاهدة تعتقد انها ليست في مصلحتها، واذا كان السادات قد ألغي المعاهدة المصرية - السوفياتية فنحن من حقنا أن نلغي المعاهدة الخاصة بكامب ديفيد اذا تأكدنا من أن الشعب يرفض هذه المعاهدة باستفتاء حر.

بياناتهم متناقضة

** الأوساط الرسمية في القاهرة حملت جماعة التكفير والهجرة مسؤولية اغتيال السادات، وهناك أوساط أخرى ألمحت إلى أن المخابرات الأميركية هي التي تقف وراء هذا الاغتيال، ما هو تعليقكم على ما تردد في هذا الشأن في محاولة لتصغير حجم هذه العملية وتصويرها وكأنها عملية معزولة عن كل تحركات المعارضة المصرية الوطنية؟

* إن السلطات المصرية في القاهرة تتخبط في بياناتها، فأول بيان أصدرته قالت فيه أن هذه العملية عملية خارجية معزولة عن جميع قوى المعارضة المصرية في الداخل أو في الخارج، وبعد ذلك أخذت تقول أن جماعة التكفير والهجرة هي المسؤولة، ومرة أخرى ذكرت البيانات من القاهرة أن هناك ٢٠٠ ضابط قد تم القبض عليهم، هناك تخبط وعدم معرفة للحقيقة، يحاولون تمويه هذه الحقيقة، واتهام جماعة التكفير والهجرة هو مقدمة لضرب المعارضة التي تنضم إلى التكفير والهجرة.

تعتقد الأوساط الغربية - وهو ما أعلنه وزير العلاقات الخارجية الفرنسي كلود

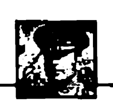


شيسون - أن غياب السادات يزيل عقبة أمام انهاء الخلافات العربية، فهل تعتقدون أن مجيء حسني مبارك يمكن أن يكون سبباً في المصالحة العربية؟

* لا أعتقد أن حسني مبارك سيكون رجل المصالحة العربية، لأنه أعلن منذ البداية وعدة مرات انه ملتزم بخط السادات وبخط كامب ديفيد، وقال نفس كلام السادات، وأعتقد أن هذا الكلام تحاول به الدول الغربية باسم أميركا تقليص قوى الدول العربية المناهضة لكامب ديفيد.

** قدمت السعودية باسم الأمير فهد مشروعاً للسلام، فهل تعتقدون أن هذا المشروع الذي سمى بالسلام المضاد يشكل بديلاً لاتفاقيات كامب ديفيد، وهل توافقون عليه؟

* مشروع الأمير فهد قد لا يكون المشروع المثالي الذي كانت تطمح اليه كل القوى العربية، ولكننا نعتقد أن هذا المشروع فيه الكثير من الجوانب الايجابية التي لا يمكن انكارها، ولذلك فاننا يمكن أن نعتبره كأساس لطرحه على الدول العربية، فاذا وافقت عليه كان به واذا أدخلت عليه بعض التعديلات لتجعله أكثر قبولاً، (وهذا موضوع يخص الدول العربية ككل لا يخص دولة واحدة) يكون المشروع بداية لحوار على المستوى العربي، في أية حال هذا موضوع تبحثه الدول العربية ككل. ولكنني أعتقد أن أميركا لا تؤيد أي مشروع لا توافق عليه إسرائيل، وحسب ما أعرف أعتقد أن أميركا وإسرائيل لن توافقا على المشروع.



الفهرس

